أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في النفيد
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الرابع — ربيع الآخر سنة ١٣٨١ هـ — سبتمبر ١٩٦١م — المجلد الثالث والثلاثون

من ذكريات الأزهر

كيف عرفت الشنقيطي

بقلم : أحمد حسن الزيات

— ١ —

كنت في مولد هذا القرن غلاما ناشئا أهوى الأدب وأحفظ الشعر وأعالج القريض. وكان مجلس المختار يقع في الركن الغربي من الرواق العباسي بالأزهر ، في رفقة من الطلاب كانوا كأنجم الثريا لا يفترقون لا في الدرس ولا في المذاكرة ولا في الرياضة . وكنا على خلاف إخواننا الأزهريين في ذلك العهد نقرأ الصحف ونغشى الأندية ونتتبع المعارك الأدبية في الضياء لليازجي ، ومصباح الشرق للويلحي ، والمؤيد لعلي يوسف . وكان حديثنا وحديث المتأدبين يدور على ما تتناقله الأفواه وتتداوله الصحف من الجدل المضطرم الحاد بين الحافظ الحجة الشيخ محمد محمود الشنقيطي وخصومه من علماء الأزهر وأدباء العصر ، وكان الشيخ قد هاجر منذ قريب من مدينة الرسول إلى قاهرة المعز

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجمهورية العربية المتحدة تتلقى نور محمد باليمين

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

يحتفل المسلمون فى شهر ربيع الأول من كل عام بميلاد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو استجابة الله لدعوة أبينا إبراهيم عليه السلام إذ وقف هو وولده إسماعيل يرفعان القواعد من البيت ويدعوان : « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم » ثم خصا وقالا: « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » .

هذا هو محمد الذى حقق الله به دعوة أبينا إبراهيم ، وهو النور الذى جاء فى قوله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » ثم يمتن الله على المؤمنين نسل إبراهيم فيقول : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ثم يمتن به مرة أخرى فيذكر صلته بهم ، وما يملأ قلبه من الرأفة والحرص على خيرهم : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

كانوا فى ضلال مبين ، ضلوا به طريق الحكمة والهداية والإرشاد وأفسد عليهم تصورهم لحقائقهم وتصورهم لمجتمعهم الإنسانى الفاضل ومالأت قوى الشهوة والغضب ، وحب الاستعلاء والطغيان نفوسهم ، وبذلك ارتدت البشرية فى هذا الوقت رداء قاتما خشنا لا يرى من نسجه منفذ ترسل منه أشعة الهداية ضوءها عليه ، وبذلك قطعت صلتها بخالقها فأنكرت ألوهيته أو عبثت بها ، وعبدت ما لا يسمع ولا يبصر ، وخشعت لما لا ينفع

(*) الكلمة التى وجهها فضيلة الامام الاكبر إلى المسلمين فى عيد الهجرة النبوية الكريمة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا يضر ، وقطعت صلتها بأسرتها ورحمها فوأدت البنت ولها مكانتها في الحياة ، وأكرهت الفتاة على البغاء ولها عفتها وشرفها ، وقتلت الأولاد زينة الحياة الدنيا ، وذخيرة الحياة الآخرة ، وبهم قوام الحياة العاملة وقطعت صلتها بمجتمعها فتحكمت في العقائد والأخلاق وسنن الاجتماع واتخذت أساس معاملتها القوة الغاشمة ، والتسخير والإذلال ، وبذلك خلت من الرحمة والشفقة ، وعزف عنها البر والإحسان

هذا مثل الروح الفطرى بعد ما أفسدته البشرية الضالة . والروح الفطرى روح نقى طاهر لا يسكن في ظل تلك الحياة الفاسدة المضطربة الملوثة بدم الأبرياء وأموال الضعفاء ، فاختلس نظرات ضعيفة يستعطف بها خالقه ، فنفذت تلك النظرات إلى ما وراء تلك الحجب المتراكمة واتجهت إلى مصدر الخلق والإيجاد ، مصدر الرأفة والرحمة ، مصدر الهداية والإنقاذ « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » .

فاستمع الله له وهو السميع العليم ، ونظر إليه ، وهو الرءوف الرحيم ، وفى هذه الآونة انطلقت بشرى الإنقاذ بميلاد محمد بن عبد الله ، فاهتز قلب العالم ، واشرأب الروح الفطرى إلى السماء ، وأخذ يقلب وجهه فيها . وما هى إلا فترة النمو والإعداد حتى وافته رسالة السماء « قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

جاءهم ذلك الشفاء يحمل عناصر دوائه رسول الله محمد بن عبد الله : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » يهدى للتى هى أقوم فى العلاقة بالخالق وبالناس ، فى العلاقة بالبناء والتعمير ، فى العلاقة بالحرية والنظر فى ملكوت السموات والأرض ، فى العلاقة بظاهر الكون وباطنه : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون » فى العلاقة بين الغنى والفقير ، فى علاقة الناس وتعاون بعضهم ببعض : « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

وبهذه الرسالة المحمدية تبوأ الروح الفطرى مكانه من الضمير العالمى ، فبدل قسوته رحمة ، وضلاله هدى ، ومرضه شفاء ، وانحرافه استقامة ، وجهله علما ، وخوفه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أمنا ، واضطرابه استقرارا ونظاما : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » .

هذا هو محمد الذى تحتفل بمولده البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها فى شهر ربيع الأول من كل عام هجرى ، ولقد كان من حظ الجمهورية العربية أن تلقت باليمين نور ذلك النبى وهداية ذلك الرسول ، تلقته الجمهورية العربية باليمين ، واحتضنته ، واحتفظت بمنابعه : ـ كتاب الله وسنة رسوله ، ثم انفردت بحمله والاحتفاظ بتراثه ومعانيه وأحكامه وحكمه ، انفردت بحمله فى أزهرها بعد أن صبت فيه جميع أنهاره وجداوله التى انسابت من أماكنه الأولى ، وكانت الجمهورية العربية بذلك حقا هى الوارث البار للتركة الخالدة وكان الأزهر خادمها الأمين ، وحارسها القوى ، حتى لفت أنظار العالم الإسلامى إليها ، بل العالم كله ، وبه اتخذها المسلمون فى جميع بقاع الأرض كعبة ثانية يحجون إليها فى كل حين ، ويغترفون من منهله العذب ما يضىء لهم طرق الحياة ، ويسعدهم فى الدنيا والآخرة ، وكان مصداق ذلك كله قوله تعالى: « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

وقد تكاملت فى هذا الأزهر ـ وفى هذا العام ـ مواد الهداية والإرشاد ، والبناء والتعمير ، وأصبح المسلمون به فى جميع بقاع الأرض يلتفون حول مائدة واحدة ، هى مائدة العلم بكتاب الله وسنة رسوله ، مائدة البحث ومعرفة أسرار ذلك النور الإلهى الكريم .

أيها المسلمون : استقبلوا ذكرى ميلاد الرسول بالعلم والعمل ، وما كانت حياة الرسول إلا عملا متواصلا لخلق العزة والكرامة فى نفوس المؤمنين ، وخلق البر والإحسان بالفقراء والمساكين .

والسلام عليك يا رسول الله .

محمود شلتوت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كان مولد محمد مولد عالم جديد

للأستاذ حسن عباس زكى

وزير الاقتصاد والخزانه

لم تعرف الحقيقة الروحية ميلادها على هذه الأرض إلا منذ أربعة عشر قرنا . . . . فى ميلاد محمد . . . . ولم تدرك غايتها من الوجود إلا فى وجوده .

كانت الأرض قبله فى ظلام يلفها من أقطارها ، كانت مرتعا خصبا للأوهام والأباطيل ، ومنذ بدأ هذا النور يزحف على ذلك الظلام ، أشرقت الحقيقة ، وأخذت شمسها تصعد إلى سماء المعرفة ، فتجلت مظاهرها فى كل شىء واضحة جلية ملموسة ، وتحركت فى النفوس أشواقها ، ونفضت عنها تراب اليأس ، وأغلال الجهل ، وانطلقت إلى ينبوع الحكمة ، لتعب من أسرارها ، ولتنهل من أحلامها ، ولتستعين بها على كشف الغطاء عن عيونها

[*] نص المحاضرة التى ألقاها السيد الأستاذ حسن عباس زكى وزير الاقتصاد والخزانة فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

بقية المنشور من مقال الأستاذ العقاد

مقصود لأنه يشتمل على تنبيه لا يؤديه هذا الأداء قول القائل « رجل فى الدار » .

أما هذه العبارة بعينها باللغات الأوربية فهى لفظ غير مفيد Phrase سواء تقدم حرف الجر أو كان التقديم للرجل أو للدار فى تركيب من التراكيب كقول القائل « الدار فيها رجل » أو الدار رجل فيها ... وهو تركيب سائغ عند الغربيين .

* * *

وبعد : فهذه مزية من المزايا التى تكشف عنها المقابلة بين لغة الضاد واللغات الأجنبية ، وهى مزية من مزايا كثيرة فى الألفاظ وفى التراكيب ، تستحق التنبيه إليها فى زمان يكثر فيه من يتحدثون من العرب أنفسهم عن اللغات التى تصلح أو لا تصلح للتعبير السليم أو الفصيح فى أبواب العلوم والآداب .

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كانت الأرض تائهة فى فضاء اللانهاية ، وكان أهلها يحسون ، رغم وطأة الظلام الذى ران على قلوبهم ، أنهم فى حاجة ملحة إلى النور الذى ينقذهم . . . إلى الحادى الذى يرشدهم . . . إلى المعلم الذى يقودهم ويهب لهم من نفسه المعرفة ، ومن قلبه الرحمة .

كان ظلام المادة يحجب عن الإنسانية طريق الروح ، ولكن كان هناك بصيص من النور ، يبزغ حينا ، وينطفىء حينا ، يشير إلى هذا الطريق ولم يهتد إليه الناس ، حتى أطل الصباح على الأرض ، وصاح البشير بالبشرى . . . هذا ميلاد حقيقتكم التى فقدتموها ، سوف تجدونها .

لقد ولد محمد ، وولد تاريخكم من جديد .

إنه تاريخ التطور البشرى ، وسبيل الحياة الوارفة الآمنة . إنه مولد العقيدة التى استلت من القلوب . . . والإيمان الذى سلب من الأفئدة .

ليس للإنسانية بعد اليوم أن تحيا بلا غاية . وليس لها أن تعيش فى يأس . هذه النظم المتداعية ستجد سبيلها إلى الإصلاح ، وهذه الثقة المفقودة ، ستأخذ سبيلها إلى الاستقرار.

لن تعيش الإنسانية بعد اليوم بين شقى رحى من الظلم والاستغلال .

لن يكون النهم والطمع حظ الأقوياء ، ولن تكون الفاقة والحسرة نصيب الضعفاء .

هذا نداء البشير يوم مولد محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وبعد ذلك الاضطراب السياسى ، والاستغلال الاقتصادى ، والظلم الاجتماعى ، حيث كانت النفوس تجيش بالثورة ، والقلوب تغلى بالصراع ، والأمانى تتجاوب فى الجوانح تجأر بشكوى الحال ، وتتمنى تغييرا ينقذها مما هى فيه .

فأذن الله بهذا الميلاد الكريم للإنسانية أن تخرج من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن ضلال الرأى إلى هداية القلب ، ومن إسار الاستغلال والاستعباد إلى رحاب الحرية ، ومن مهاوى البطالة والكسل إلى مجال العمل والجد والتنافس ، ومن هيمنة الأوهام إلى سيطرة المنطق والعقل ، ومن التفاوت فى الألقاب والأوضاع إلى الأخوة والمساواة .

وشاء الله لهذا الوليد أن ينمو ، وأن يتحدث العرب عن سمو خلقه ، وعن تفرده بالعقل والتفكير ، وعن حبه للعدل والمساواة ، وعن عمله وأمانته ، وعفة نفسه

ولكن هذا الشاب وهو فى ريعان شبابه وقوة فتوته يعتزل الناس ، ويتخذ من الغار محرابا يقيم فيه . فما شأنه ؟ وما الخطب الجلل الذى ينتظره ؟ . .

لهذا قضى فى هذه العزلة خمسة عشر عاما ، يتصل بالملكوت الأعلى ، يستلهم منه قضية الإنسانية ، ووسائل إسعادها حتى آتاه الله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحكمة وفصل الخطاب ، وأنزل عليه قانونا جامعاً فى كتاب محكم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وجعل بعثته إلى الناس كافة كما جعل حياته وأعماله وأقواله مثلا يحتذى ، وتفسيراً لمواد القانون العامة ... فتجمع بذلك للإنسانية أكبر موسوعة تحوى أعظم التشريعات . مقدرة حاجات الإنسانية فى ترقيها وتطورها ... لأنها من وضع خالق الكون ، ومانحه الجلال والجمال ، المحيط بما يصلحه من نظم وماطبع عليه من أحاسيس ومشاعر .

وعلى هدى ما فى هذا القانون من المبادئ والتعاليم ، أقام المسلمون دولة ممتدة الأطراف وأسرع الناس من كل صوب يحتمون بهذه المبادئ ، ويعملون بهذه التعاليم ، وانتشر هذا الدين وهذه المبادئ والتعاليم انتشاراً كان معجزة التاريخ . ذلك لأن فيه توفيقا بين الدين والدنيا . بلغ به المسلمون ذروة لم يسبق إليها دين ، وخطوا به نظاما لم يصل إليه بعده أى نظام ... غايته تربية العقيدة خالصة لوجه الله ، لا ابتغاء جاه ، ولا طمعا فى مال ولا طلبا لسلطان أو ملك ، وإنما الغاية نصرة الحق وتقويم الأخلاق وتنظيم العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان لتتحقق السعادة لبنى الإنسان على أسس من الشورى والأخوة والمساواة .. ولتتسع قاعدة السلام والحرية ، وتتهيأ فرص التكافؤ والعمل فى شتى مجالات الحياة ... وأخذ المسلمون بذلك مكان القيادة فى الوجود . وما أن اختلفت بهم الأهواء ، حتى تقسموا فرقا ودولا .. وسلط عليهم الأعداء ، فأصابهم الوهن والخوف ، وران عليهم الضلال ، وضربت عليهم الذلة ، وشاع فيهم التخاذل ، وتكونت الأقليات المستقلة ، ورسفت الغالبية فى قيود الفقر والمرض والجهل . وسامهم الخسف من كانوا أقل منهم علما ومالا وعدداً .

ولا خلاص لهم من هذا إلا بالرجوع إلى تاريخهم يستوحونه ، وإلى مبادئهم يستلهمون منها القوة ، وإلى شريعتهم يقتبسون منها النظام ، وإلى عقيدتهم يتخذون منها نبراسا تستضىء به جوانب نفوسهم وقلوبهم وعقولهم .

وهذه ذكرى مولد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فلنجعل من حفاوتنا بها أسوة لنا ، ولنخلط من جهاده ما يؤكد كياننا ، ومن تعاليمه ما يعيننا على تنظيم بيئتنا وتطوير وجودنا ، وتنسيق الصلات بيننا ، لنحقق التكامل فى حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

إن التفاوت بيننا هو علتنا ، وما كان هذا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التفاوت إلا منذ انقطعنا عن تاريخنا وطبعنا ذوقنا ونظمنا بذوق غيرنا ونظمهم. فانطمست شخصيتنا ، وخبت معاني العدل والكرامة في نفوسنا ، وأصبحنا من حيرتنا كالسائر بين النور والظلام على دروب من الخداع والإبهام .

لقد نسينا أن من هنا بزغت شمس المدنية فغمرت أشعتها الوجود كله ، وفاتنا أن السحب التي حجبتها لا بد أن تنقشع ، ولابد لهذه الشمس أن تسطع من جديد ، وان يكون سطوعها ووهجها وسناها إلا من حيث أشرقت . . من هذه الأرض التي اهتزت بالعبقريات ، وازينت بالحكماء وشعت منها مشاعل النور والأمل ترسم سنن الأخلاق ، وتدفع المدنية والحضارة إلى مداها البعيد .

ولابد أن تنحسر الغمرة عن موجة المبادئ الطاغية ، فتتألق الروحية وتأخذ الفضيلة مكانها ، ويحتل الحق موضعه . . وها هو ذا نور اليقين قد بدا ، وصبح الإشراق قد آذن . . . . فعلينا أن نحصن أنفسنا بهذه المبادىء حتى لا يستبدل الله بنا قوما يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . .

علينا أن نأخذ من هذه المبادئ ما ننمي به حياتنا الاقتصادية فنعمل على تداول المال حتى يزيد الإنتاج ، وعلى كل صاحب ثروة أو وظيفة أن يعلم أن لثروته أو وظيفته تكاليفها بالنسبة إلى غيره من أبناء المجتمع الذي يعيش فيه ، فيؤدي هذه التكاليف إلى مستحقيها . . .

إن في الدستور الذي نزل على صاحب الذكرى الكريمة حلا لكل مشكل ، ومخرجا من كل مأزق ، وفرجا من كل أزمة ، فإذا استقمنا على نهجه وافينا غايتنا ، وانتهينا إلى وحدتنا ، ورسمنا للعالم طريق الخلاص مما يرسف فيه . . .

لقد حول هذا الدستور العالم من الجمود والضعف والأثرة ، إلى الحركة المتطورة ، والقوة الدافعة ، والإيثار الخير الكريم ، وجعل من حياة الفرد قبسا يستمد ضوءه من حياة الإنسانية كلها ، ورسم للنفوس التي استبد بها الهوى طريقا يردها إلى خالقها ، ذلك الطريق هو الوازع الديني ، نروضه بالعبادة ، ونوقظه بالتذكير ، ونحرسه بالقانون ، حتى يكون دائما على اتصال بالملكوت الأعلى . . .

وسبيلنا إلى تطبيق ذلك أن نفهم هذا الدستور ، بروح العلم ، ونصوغ معانيه في الأساليب الجديدة ، التي تتطلبها تطورات الزمن ، وتقدم عجلة الحياة ، وتشابك الأمم في معاملاتها واتفاقياتها ، وارتباط بعضها ببعض مهما تباينت النظم ، واختلفت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأوضاع ، ذلك لأنه لا سبيل إلى انفراد شخص بنفسه ، ولا سبيل إلى بقاء أمة بإمكانياتها ...

إننا فى هذه الذكرى أحوج ما نكون إلى منهاج صاحب الذكرى فى الحياة ، حتى تتلاقى عقولنا وقلوبنا ، فنستمد من قوة الله قوة لأنفسنا ، ومن قوة الإيمان وازعا لقلوبنا ، ومن قوة المعرفة قوة العلم ، ومن قوة المحبة قوة العمل لخير هذه الأمة ...

والعالم كله فى حاجة إلى مبادئ صاحب هذه الذكرى ، ليبنى عليها قاعدة السلام ، ويقيم ركائز المحبة ، ويقضى على المادية المقيتة التى لا تستهدف سوى الفناء والدمار ...

وهو فى حاجة إلى هذا التفكير ، ليتجنب الشهوات الصارخة ، ويتحاشى دعاوى التحلل ، وينحى عن بيئته الاستغلال بكافة صوره وألوانه .

ولن يتأتى للعالم ذلك إلا إذا آمن بالله وآمن بوحدة الإنسانية وبحق كل شعب فى الحياة الحرة الكريمة ، ليتيسر للإنسانية أن تبنى مستقبلها على أسس من العدالة والحرية والإخاء والمساواة ، تلك الفضائل التى تستمد أصولها من الإيجابية الروحية ، وتتسق مع الفطرة الإنسانية ، وتساير قواعد العلم الصحيح .

فالإسلام يعتبر الخارجين على حدوده هدامين لبناء المجتمع ، ولذا يطالب كل فرد بحراسة قوانينه ونظمه حماية لنفسه ، وحماية للمجتمع من حوله .

ومن هنا وجب على المجتمع أن يتعاون على إصلاح الفساد ومنع الضرر ، والضرب على أيدى العابثين والمستغلين ، ووجب على القائمين على شئون الأمة أن يسلكوا بأممهم المسالك التى تحقق العدالة والإخاء والمساواة ، وأن يسنوا القوانين اللازمة لذلك لتكون حارساً ومسيطراً على الانجاهات المنحرفة حماية للدولة وللجماعات وللأفراد ، لتهيئ بذلك التربة الصالحة والبيئة النظيفة ، فتشب الأجيال المتعاقبة متشبعة بالخصائص الإنسانية الكاملة ، وتسود بين أفرادها العلاقات الصالحة الطيبة .

فبهذه العلاقات تنمو الحياة الاقتصادية ، ويتوفر كل على إجادة للعمل وكثرة الإنتاج فيه ، فمما يروى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قبل يدا ورمت فى العمل وقال « تلك يد يحبها الله ورسوله » وهو القائل « من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له » .

اشتراكية الإسلام :

ولقد شرح صلوات الله عليه معنى الاشتراكية شرحا لم تصل إليه النظريات المتعددة على كثرتها وتباينها ... فى قوله : من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقال راوى الحديث فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا فى الفضل والزيادة .

وهذه أسمى معانى الاشتراكية التى تكفل لكل فرد مطالب الحياة ، وتوجب على كل مستطيع أن يعين أخاه على الوصول إلى مطالبه بمقتضى التكافل والتضامن والأخوة التى أوجبها الإسلام بما جعل له من حق فيما فضل عن مطالب صاحبه ، لا منة لأحد فى ذلك ، ولا هو من باب الاستجداء .

واشتراكية الإسلام هذه تحارب الاحتكار بكل أنواعه ؛ لأن فيه استغلالا لفضل الأموال غير المشروع ، كما تحارب الربا لأنه استغلال بشع لحاجة الناس ، وتحارب كل ما نهى عنه الدين لأن المال الذى ينفق فيه زائد عن حاجة صاحبه ، وليس له أن يتصرف فيه ، وإنما الواجب عليه أن يسلمه لمستحقيه ...

وكذلك يحارب استغلال صاحب المصنع أو المتجر أو المزرعة أو الشركة للعامل الذى يعمل عنده ؛ لأنه بعمله يشارك صاحب المال فى الإنتاج ، فينبغى أن يعطى من الأجر ما يكفل له ولأسرته مطالب الحياة ... واشتراكية الإسلام تدرك حاجة الأمة إلى المال ، فتحث الشعب على الادخار والاستثمار وتمنع كنز المال وحبسه : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » . وندرك أن المال عصب الحياة الاجتماعية وقوامها ، وعلى قدر ما تنمو الحياة الاقتصادية فى الدولة يكون ثراؤها وتوفير أسباب الخدمات والرفاهية لأبنائها ... وهى لا تغفل الدوافع النفسية لكل فرد فيها فتطالب الدولة بالعمل على توفير الحاجيات التى لا تقوم الإنسانية إلا بها ، ولا تهدأ النفوس والقلوب ، ولا تتهذب الأرواح ، ولا يقضى على الشر إلا بتنظيمها .

ومن هنا كان على الدولة أن تتخذ الوسائل لتمكين كل فرد من الحصول على عمل يحفظ به كرامته ، ويحقق للعقل والجسم والخلق مجال تحسين الإنتاج ، حتى لا تتبدد ثروة الأمة وتضيع بدل أن تزيد وتنمو .

والاشتراكية الإسلامية تربط السياسة الاقتصادية بالسياسة العلمية والثقافية والاجتماعية والخلقية ، حتى تتفاعل هذه السياسات كلها ، فيتولد عنها الرخاء الذى يقضى على أسباب الفساد والجرائم .

وهذه الاشتراكية تتطلب من كل فرد أن يوازن بين موارده ومصارفه ولا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بالاعتدال فى الإنفاق دون إسراف أو تقتير :

« ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تكافؤ الفرص فى رسالة الإسلام

للأستاذ الدكتور محمد البهى

معنى تكافؤ الفرص أن تكون مجالات الحياة متاحة لأفراد المجتمع على السواء . ومعنى تحقيق هذا التكافؤ هو أن تزال العوائق والحواجز التى تفرق بين الأفراد فى المجتمع الواحد ، فتوصد الفرص أمام البعض وتيسر للبعض الآخر . هذه العوائق والحواجز التى هى وراء نشاط الأفراد الإنسانى ، ووراء إمكانياتهم وطاقاتهم وكفاياتهم كبشر ، والتى ترجع إلى فعل القوة فى أى جانب من جوانبها التى سادت يوما ما ، وكذا إلى أثر السلطان الذى مارسه أصحابه فى إقامة التفرقة بين الأفراد فى المجتمع

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وهى تبرز معانى المروءة فتحض على السخاء والبذل فى سبيل الله، وتوجب إقامة المؤسسات العامة التى تعود بالنفع على المجتمع صحيا وتعليميا ، وفتح أبواب العمل للقضاء على البطالة والتعطل .

وهى فوق ذلك كله تحتم على المسلمين أن يلتمسوا العمل الحلال ، والكسب بالطرق المشروعة .

وهى تعد الثروة فى أيدى أصحابها ذات وظيفة اجتماعية من حق الأمة كلها أن تستفيد منها ، ومن حق الدولة أن توجهها للصالح العام ، كما أن من حقها أن تتخذ الوسائل التى تكفل التوازن الاقتصادى والاجتماعى بين أفراد الأمة وطوائفها ، حتى تهيئ للطبقة الكادحة الحياة الهنيئة والعيش الكريم .

إن هذه الذكرى الحبيبة لتشيع فى أنفسنا العز والفخر بهذه المبادئ الجليلة التى جاء بها محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ليختط للإنسانية حياة عزيزة كريمة ، ويرسم لها طريق الفوز والنجاة .

وما أحوجنا نحن المسلمين إلى الاعتزاز بهذه الذكرى لنترسم خطاه . . . ولنا فى رسول الله أسوة حسنة .

حسن عباس زكى
وزير الاقتصاد والخزانة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الواحد ، على أن يمكن للبعض ولا يمكن للبعض الآخر فى مزاولة وجه من أوجه نشاط الحياة الفردية أو الاجتماعية .

تكافؤ الفرص لا يخرج عن معنى العدل الاجتماعى ، وتحقيقه هو تحقيق العدل نفسه والمجتمع البشرى — منذ أن عرف له تاريخ تسوده هذه العدالة ، وبالتالى يتحقق فيه تكافؤ الفرص ، حينا ، ويختفى فيه أحيانا أو قرونا ، ذاك لأن الصراع بين القوة المادية والقوة المعنوية صراع غير متكافئ الطرفين ؛ فالقوة المادية كما تتمثل فى المال والملك ووسائل الغلب المادية ، تتمثل فى جاه الشرف وعراقة الأسرة .

أما القوة المعنوية فيصورها إدراك الإنسان للحياة الإنسانية وأنها حياة مشتركة يجب أن يسود فيها الاستقرار ويتحكم فى توجيهها منطق العقل ، دون قوة السواعد أو دون السيف والمدفع ، ودون القتل والسفك ، ودون التزاحم والاحتكاك . ومنطق العقل الخالص الذى لا يتأثر بالهوى والغرض هو منطق المحبة والأخوة فى البشرية ، ومنطق العدالة الاجتماعية فى المجتمع . وقلما يكون فهم الناس لهدف الحياة الإنسانية وقيمها فى منزلة تأثرهم بمظاهر القوة المادية الفاتنة . ولهذا كانت دائرة القوة المادية أوسع نطاقا وأبعد عمقا فى حياة الإنسان من دائرة القوة المعنوية .

ومن أجل ذلك كان الصراع بين القوتين صراعا غير متكافئ ، وكانت من أجل ذلك أيضا سيادة القوة المعنوية أقصر من العهد أو العهود التى تملى فيها القوة المادية الرأى والتوجيه فى حياة المجتمع .

ولا تأتى السيادة المعنوية - وهى سيادة القيم الإنسانية فى المجتمع وفى مقدمتها العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص - إلا على أثر تحطيم الحواجز والعقبات التى اصطنعتها السيادة المادية ، وهى سيادة المال والملك ، وجاه الشرف . وكلما كانت هذه الحواجز والعقبات قوية فى أثرها وممتدة فى تغلغلها فى المجتمع ، كلما كانت رسالة إعادة الوضع الإنسانى ، ورسالة العدالة الاجتماعية وتحقيق تكافؤ الفرص شاقة ، وكلما احتاج الداعى إلى هذه الرسالة إلى إيمان وجلد وتحمل فى سبيلها .

ولقد كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم هى دعوة لإعادة الوضع الإنسانى فى المجتمع البشرى ، ودعوة لإعادة تقويم القيم الإنسانية على أساس من الأهداف الحقيقية للإنسان فى حياته الفردية وفى حياته فى أمته ومجتمعه . وقد كانت الحواجز والعقبات التى فرقت المجتمع البشرى إذ ذاك قوية فى رسوخها وممتدة فى تغلغلها وبعيدة الزمن فى تاريخ قيامها . حتى أصبح الإنسان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفسه من ملك الإنسان ومتعته ، وأصبح يباع ويشترى بثمن يساوم عليه تبعا لقدرته على العمل أو تبعا لمهارته ، أو تبعا لمنظره ولون بشرته . وأصبح سوق الرقيق تجارة رابحة وأصبح المجتمع يتذوق هذه التجارة كما يتذوق ملك الرقيق نفسه . وبذلك لم يعد الإنسان مساويا للإنسان فى طبيعته البشرية وفى ممارسته لخصائص هذه الطبيعة .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر كان هناك جاه الشرف والملك ، كان هناك جاه الإمبراطوريات الرومانية والفارسية خارج شبه الجزيرة العربية ، وجاه القبائل العربية داخل شبه الجزيرة ، وما لهذا الجاه من أثر استبدادى فى القيادة ، وظلم اجتماعى كون فى المجتمع البشرى حاجز الطبقية ، فأتيحت فرصة الحياة لفريق من الأفراد ولم تتح لفريق آخر منهم : أتيحت فرصة حياة الترف والعبث لفريق ، على حساب الكرامة والحرية البشرية لفريق آخر .

وبالإضافة إلى هذين الجانبين فى المجتمع البشرى ـ وقت دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ـ كان هناك جانب ثالث ، لعله أعمق الجوانب الثلاثة أثرا فى حياة المجتمع إذ ذاك وهو جانب العقيدة ، ومن يمارس دفع الناس إلى الاعتقاد ، كان هناك الشرك فى العقيدة ، وكان هناك الكهان فى دفع الناس إلى الاعتقاد ، أما الشرك فقد ربط الناس بالمحسوس وحجبهم عن إدراك القيم الإنسانية وعن تطبيقها بعد ذلك فى الحياة ، وأما الكهان فقد أقاموا من أنفسهم طبقة لها الوصايا وبيدها الشفاعة والغفران ومحو الذنوب ، ومن رسالتها الإخبار بالمستقبل ، كما تدعى لنفسها من خصوصية الاطلاع على الغيب ، وبذلك حجبوا الناس عن الكشف والاستطلاع بذواتهم ، وبما أعدوا به من عقل ووسائل الملاحظة والتجربة واحتكروا المعرفة ، ولم تكن معرفتهم يومذاك إلا مجموعة من الخرافة تحمل على التشاؤم كثيراً ولا تدع مجالا للتفاؤل إلا فى القليل من الحالات والأوضاع ، ولهذا الاحتكار لمعرفة المستقبل كان من ألقابهم « العرافون » .

ولقوة الحواجز والعقبات فى المجتمع البشرى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا بد له فى نجاح رسالته من قوة الإيمان وقوة التحمل والجلد ، وقد كان عليه السلام مثل المؤمن الكامل برسالته ومثل المتحمل الأول فى الدعوة إليها .

أما رسالته فقد كان يجب أن تكون لتحطيم هذه الحواجز وإزالة تلك العقبات فى المجتمع البشرى ، وهى الحواجز التى اصطنعتها العقيدة القائمة ، وجاه الشرف ، فى ذاك الوقت وسلطة المال والملك التى طغت حتى استرقت الإنسان واستعبدته ، وقد كانت رسالة لهذه الغاية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهى رسالة تحرير ، أو بالأحرى هى رسالة إعادة الوضع الإنسانى على أساس من القيم الإنسانية ، أو رسالة عدالة اجتماعية ، أو رسالة تحقيق تكافؤ الفرص للأفراد جميعا فى المجتمع البشرى :

فأولا :

فى دائرة العقيدة دعا الرسول عليه السلام إلى عبادة غير المحسوس الذى لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، وبذلك رفع العبادة من الارتباط بالمادى المشاهد إلى القيم والمثل ، تلك القيم والمثل التى تتمثل فى صفات الله جل شأنه من العدل ، والرحمة ، والقوة والغنى ، والخلق ، والحياة ، والعلم ... إلى آخر تلك الصفات التى لله جل شأنه .

وعن طريق هذه الدعوة لم يعد هناك مجال للتقرب إلى الله سوى أن يحاكى الإنسان المؤمن به هذه الصفات فيه ويتمثلها فى نفسه هو ويطبقها فى عمله . فيتقرب إليه بتمثل العدل وتطبيقه ، وبفهم الرحمة وممارستها ، وبالإعداد والقوى والمواظبة عليه ، وبدفع الحاجة والسعى إلى الاكتفاء الذاتى ، وبالإيجابية والتفوق ، وبالحرص على الحياة الكريمة وعدم قبول الاستذلال فيها — لأن قبول الذل فى الحياة قبول للفناء فى صورة أخرى له — وبالكشف والاستطلاع وتحصيل المعرفة ... وهكذا يتخذ المؤمن من كل صفة لله مثالا أعلى يسعى نحوه ، ويتقرب منه فى حياته الإنسانية التى يحياها لنفسه وفى مجتمعه .

وبرفع الإنسان العبادة إلى الله مباشرة لم يعد هناك فى الإسلام كهان ، ولا كهانة ، ولم تعد هناك شفاعة ولا وساطة بالمعنى الذى يحيل عبادة الله إلى عبادة أرضية محسة : يقول الله تعالى لرسوله الكريم : « قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » وبذلك حدد وظيفة الرسول ، ونفى عنه ما كان يحترف به الكهان وما تكونت بسببه الكهانة .

ويقول فى موضع آخر : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، وغرتهم الحياة الدنيا ، وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع » . وبهذا أيضاً نفى الشفاعة والوساطة فى صلة الإنسان بالله . كما نفاها نفياً واضحاً فى قوله تعالى : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » ثم أكد المسئولية الفردية بعد ذلك فى قوله : « ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وزر أخرى » . وبهذا كله أبعد الرسول عليه الصلاة والسلام — مع سمو منزلته فى المستوى الإنسانى الخالص ومع قربه من الله جل شأنه — من أن يكون عرافا يتحدث عن الغيب والمستقبل ، ولا وسيطاً يقرب من يشاء ويبعد من يشاء ، ولا بيده محو الذنوب أو غفرانها ، إن هو إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ، وإن كل نفس إلا مسئولة مسئولية فردية عما تعتقد ، أو تفعل وتتصرف .

وبذلك كله قوض الإسلام الطبقية فى دائرة العقيدة وأعاد الوضع الإنسانى للمجتمع فى هذه الدائرة . وهى المساواة فى السعى نحو الله والتقرب منه . وبذلك أيضا حقق تكافؤ فى هذا الجانب ، وأصبحت القربى إلى الله موهوبة بمدى سعى الإنسان نحوه ، وبمدى تحقيقه لرسالته : التى هى فى واقع الأمر صفاته جل شأنه ، والتى عبر عنها قرآنه الكريم . وأصبح التقويم للأفراد مرتبطاً فقط بتحقيق معنى هذه الصفات فى سلوك الإنسان وتوجيهه : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وثانياً —

فى دائرة جاه الشرف دعا الإسلام إلى إزالة حاجز الطبقية الذى اصطنعه هذا اللون من الجاه . فذكر أولا أن الناس جميعا من أصل واحد ومصدر واحد : « وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » . وبذلك أبعد ما استقر فى الأذهان — من طول استبداد جاه المال والشرف — إن الطبائع البشرية تختلف فى أصلها ، فمن بينها سائدة وأخرى مسودة . وبهذا أيضا وضع جميع الأفراد وضعا متساويا ، وحقق لهم فيما بينهم تكافؤ الفرص ، والذى يتفوق منهم بعد ذلك هو الذى يتفوق بحسب بعمله وباستخدام طاقاته البشرية وتنميتها . والطاقات البشرية لا تستخدم ولا تنمى إلا فى طريق إنسانى ولغاية بشرية خالصة . أما الشرف نفسه فلا اعتبار له فى هذا التقويم وفى المفاضلة بين إنسان وإنسان (لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى) .

وبجانب نص القرآن هنا فى هذه الآية على المساواة فى الطبيعة البشرية لجميع الأفراد ، نرى الرسول بعد ذلك يقول : (إخوانكم خولكم) فيؤكد الأخوة البشرية بين صاحب الجاه فى الشرف وخادمه ، ويطلب معاملة كل منهما الآخر على هذا الأساس . وليست المعاملة المادية وحدها ، وإنما قبلها الشعور النفسى الذى يجب أن يتكون فى نفس صاحب الجاه وهو شعور الاحترام والاعتبار وعدم الإهدار لآدمية خادمه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما فى دائرة جاه المال والملك فقد دعا الإسلام إلى التحرر من استغلال الملكية الفردية للأفراد أو للأقوام والشعوب . فحرم الربا كمصدر أصيل لإذلال صاحب الحاجة . ثم عمل على تخليص الإنسان المملوك وإعادة الحرية والكرامة الإنسانية إليه : عمل على تخليصه برصد نصيب معين من الزكاة المفروضة الواجبة : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

عمل على تخليصه بحمل الخيرين من ذوى اليسار على شراء المملوك وعتقه . أو بتوجيه من وقع منه خطأ سلوكى أو نفسى إلى أن يكون العتق هو كفارة ما ارتكب من خطأ : « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا » . « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان : فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ... » .

وأخيراً - فى جانب عدم طغيان المال على حرية الأفراد وكرامتهم - فرض الزكاة وحدد الأنصبة فى الإرث بما يجعل من المال جاها ولكن لا يجعل منه احتكارا لحياة الآخرين ، بما يجعل من إنفاقه قربى إلى الله دون أن يكون تحصيله سبيلا لرق الأعناق والنفوس : « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى ، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

والإسلام بعد هذا كله ليس رسالة للوقت الذى قامت فيه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم . إذ أنه رسالة لإعادة الوضع الإنسانى وتثبيت القيم الإنسانية فى الحياة الفردية والاجتماعية . وهو لذلك رسالة مع الإنسانية طوال قيامها : ولكن أشد الأوقات احتياجا إليه هو الوقت الذى يطلب فيه إزالة العوائق وتحطيم الحواجز فى المجتمع لتحقيق تكافؤ الفرص وسيادة العدالة الاجتماعية .

فإذا زالت العوائق وتكافأت الفرص كان نشاط المال ، ونشاط التفكير ، ونشاط القلب والضمير مجالا للجميع . والسابق من الأفراد بعد ذلك هو المتفوق بذاته ، وليس بشرفه الأصيل ، أو جاهه الماضى ، أو ماله الموروث . وبقاء الإسلام عندئذ والحاجة إليه لضمان عدم الانتكاس والرجوع إلى إقامة الحواجز من جديد ، فهو علاج ووقاية معا .

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

— ٨ —

« قال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عُليَّة عن ابن عون ، عن الحسن ، أن ناسا سألوا عبد الله بن عمرو بمصر ، فقالوا : ترى أشياء من كتاب الله عز وجل ، أمر أن يُعمَل بها ، لا يعمل بها ، فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين في ذلك ، فقدم وقدموا معه ، فلقى عمر رضى الله عنه ، فقال : متى قدمت ؟ فقال : منذ كذا وكذا ، قال : أبإذن قدمت ؟ قال : فلا أدرى كيف رد عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن ناسا لقونى بمصر فقالوا : إنا نرى أشياء في كتاب الله أمر أن يعمل بها فلا يعمل بها ، فأحبوا أن يلقوك في ذلك ، قال : فاجمعهم لى ، قال : فجمعتهم له ، قال ابن عون أظنه قال في يوم ، فأخذ أدناهم رجلا ، فقال : أنشدك بالله وبحق الإسلام عليك ، أقرأت القرآن كله ؟ قال : نعم ، قال : فهل أحصيته في نفسك ؟ فقال : اللهم لا : قال : ولو قال نعم لخصمه ، قال : فهل أحصيته في بصرك ؟ فهل أحصيته في لفظك ؟ هل أحصيته في أثرك ؟ ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم ، فقال ثكلك عمر أمه ، أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله ، قد علم ربنا أن ستكون لنا سيآت ، قال : وتلا « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم » الآية ، ثم قال : هل علم أهل المدينة ، أو قال : هل علم أحد بما قدمتم ، قالوا : لا ، فقال لو علموا لوعظت بكم » .

أورد ابن كثير في تفسيره هذه القصة ، عند قوله تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم » مروية عن ابن جرير بسنده المذكور ، وعلق عليها بقوله : إسناد صحيح ومتن حسن ، وإن كان من رواية الحسن عن عمر وفيها انقطاع ، إلا أن مثل هذا اشتهر فتكفى شهرته .

وهذه القصة جديرة بأن نعقد لها فصلا في هذه النظرات ، فإنها تبين مذهب عمر رضى الله تعالى عنه في جانب من جوانب السياسة الحكمية ، هدفه التيسير على المجتمع وعدم أخذه بسياسة التزمت والإرهاق ، وغرس الثقة في أفراده بأنفسهم ، وعدم إقناطهم بإشعارهم أنهم خارجون على الجادة ، متنكبون سواء الصراط ، وفي هذه القصة لمحات عمرية ، تعتبر أسسا في قواعد الحكم ، وسياسة الشعوب وتبين أن الإسلام ليس دينا مجافيا للواقع العملى ، متأبيا على إدراك ظروف الحياة .

١ — فأول ما يبدو من ذلك ، أن عبدالله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ابن عمرو بن العاص - وكان أبوه أمير مصر - اجتمع إليه جماعة من المصريين ، يمثلون نزعة دينية محافظة ، فيها كثير من التحرج وكثير من التزمت ، فهى تريد أن تراقب المجتمع فى سلوكه مراقبة دقيقة ، لتحمله على تطبيق كل شأن من شئون حياته على الدين وما جاء به الكتاب المبين ، لا فرق بين صغير من هذه الشئون أو كبير ، فإذا رأت المجتمع قد انحرف عن هذا التطبيق قيد أنملة ، هالها منه هذا الانحراف ، وآذنته بالويل والثبور وعظائم الأمور ، وظل أفرادها ومروجو فلسفتها منقبضين لهذا الانحراف ، يتميزون غيظا من هذا المجتمع ، أو حزنا عليه ، وقد ينتهى بهم الأمر إلى الحقد عليه والانكماش عنه ، نجاة بأنفسهم ، وترفعا بمثلهم العليا .

ومن يتتبع تاريخ عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، يدرك السر فى أن هذه الجماعة قد أنست إليه وآثرته بسرها ، والتمست فيه زعيما لدعوتها وقائدا لحلتها . فقد كان عبد الله ابن عمرو رضى الله عنه يعتنق مذهبا شديد الحفاظ والتتبع لكل ما هو دين أو له صلة بالرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى إنه ليروى عنه إلزامه نفسه بأن يجب من الطعام والشراب واللباس ، ما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان يتتبع المواضع التى كان يصلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من المسجد أو غيره ، فيصلى فيها ، ويطيل السجود فى مواضع سجدات الرسول ، ملبيا بذلك ما كان يحمله من عاطفة الحب الكريم للنبى صلى الله عليه وسلم . وقد أشار العلماء إلى هذا الصنيع من عبد الله بن عمرو ، مبينين أن التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يكون فريضة محكمة ، أو سنة متبعة ، فى غير الأمور التى يفعلها الرسول بحكم عادته أو جبلته ، وأن مخالفة ما جاء بحكم العادة أو الجبلة ، لا يعد خروجا على السنة ، ولا مخالفة عن أمر الرسول ، ومع ذلك حمدوا لابن عمرو هذا الصنيع الذى يدل على التفانى فى حب الرسول ، ونظروا إليه على أنه خلق عاطفى فردى لا ينبغى أن يحمل عليه جمهور الناس .

وجد هذا الفريق إذن عبد الله بن عمرو هو أصلح الناس لتقبل زعامة المحافظين ، ورفع لواء دعوتهم والسير بها إلى مركز الخلافة ، حيث يكاشغون بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وكان جوهر هذه الدعوة ، أنهم راقبوا المجتمع ، فوجدوه لا يعمل بكل ما أمر الناس أن يعملوا به فى كتاب الله تعالى ، فكم من أشياء يأمر بأن تفعل ولا تفعل ، ولعلهم توسعوا فى معنى الأمر ، فأرادوا أيضا ، أن هناك أشياء ينهى القرآن عن فعلها وهى مع ذلك تفعل ، ويبدو من القصة ، أنهم إنما كانوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يشكون من بعض الصغائر والهفوات التى لاتخلو عنها المجتمعات عادة ، ولا يمكن أن يعتصم كل الأفراد عنها ، ويتحرزوا من الوقوع فيها . وهذه الدعوة لها فى كل عصر قائمون بها ، ومروجون لها . ولكنها قد تصدر فى بعض الأحيان عن إخلاص وحسن نية ، ورغبة فى التقويم والتهذيب . ويغلب عليها حينئذ الهدوء والحكمة والدعوة بالموعظة الحسنة ، وإسداء النصيحة إلى الأفراد والجماعات ، فى أسلوب لا عنف فيه ، ولا تعكير لصفو الأمن فى المجتمع : الأمن الحسى والأمن النفسى كليهما ، وقد تخرج عن هذا النطاق فى كثير من الأحيان . فتكون دعوة معسولة براقة يراد من وراثها مغنم أو حظ فى الحكم ، وعندئذ يكون لها ما لكلمة الحق يراد بها الباطل ، ويكون لها أثر يتفاوت قوة وخطرا ، بمقدار تفاوتها شدة ومراكز أصحابها شهرة ونفوذاً .

٢ — ذهب هذا الوفد إلى مركز الخلافة فما راع عمر أمير المؤمنين إلا أن وجد عبدالله ابن عمرو ، ذلك الرجل الصالح ، المعروف بتتبع آثار الرسول ، يأتى على رأس هذا الوفد من المصريين . فسأله أسئلة تدل على ما كان يدور بنفسه تلقاء هذه المفاجأة ، قال له : متى قدمت ؟ فأجاب : قدمت منذ كذا وكذا ، وإنما سأل عمر هذا السؤال لأنه فيما أعتقد كان يحس بالأمر الذى جاء فيه عبد الله بن عمرو ، فأراد أن يعرف هل مضت مدة على هذا الوفد فى المدينة ، يمكن أن تتسرب فيها إلى المجتمع المدنى أخباره وأخبار الأمر الذى جاء فيه ، ثم سأله ، أبإذن قدمت ؟ وهو طبعا لا يقصد الإذن من أمير المؤمنين نفسه ، لأنه يعلم أنه لم يأذن له فى هذا القدوم ، ولكن أراد أن يعرف ، هل أمير مصر وراء هذه الدعوة ، ثم أفضى إليه عبد الله بن عمرو بالغاية التى قدم لها الوفد ، وقدم هو على رأسه ، ولم ينكر شيئا ولم يحاول أن يميل بالحقيقة عن وضعها الصحيح ، ففهم عمر الأمر يقينا ، بعد أن كان قد شعر به شعوراً ، وهنا تتجلى موهبة عمر الحكمية . فإنه فصل عدة أشياء فى معالجة هذه الدعوة ، ووأدها فى مهدها ، قبل أن يستفحل خطرها ، وينتشر فى الناس خبرها . أولها : أنه جمع الوفد كله فى بهو خاص ، وكانت العادة أن يكون الاجتماع فى المسجد ، وأن يخطب أمير المؤمنين خطبة عامة ، ولكنه أراد أن يعالج هذا الموضوع فى سر وانقطاع عن الناس . ثانيها : أنه ناقشهم فيما جاءوا به مناقشة علمية بالأسلوب الذى يصلح لهم ، لأنه أراد أن يستل هذه الفكرة من نفوسهم ، فلا يكتفى بأن يريح المجتمع منها ، حتى يريحهم منها هم أيضاً ، وكان أسلوبه فى ذلك منطقيا . فإنه سأل كلا منهم أقرأ القرآن كله فأجابوه : نعم ، ثم سأل كلا منهم هل أحصى كل ما جاء فيه ، فى نفسه بأن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

طبق جميع أوامره ونواهيه فى خاصة نفسه ؟ فكلهم أجاب : « لا » . وإذن فهم معترفون فى هذه الإجابة ، بأن الإنسان معرض بحكم بشريته إلى الوقوع فى بعض الهفوات ، أو التقصير فى بعض المأمورات ، فلما تهيأوا لذلك قال لهم : ثكلت عمر أمه ، أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله ، قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات ، وتلا « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما » ، وبذلك انتهى فى محاجتهم إلى حد مس فيه شغاف قلوبهم ، وتركهم مقتنعين اقتناعا صحيحا ، بأنهم كانوا على خطأ حين طلبوا المحال ، بمحاولة إيجاد مجتمع مثالى لا تقع منه هفوة ما ، كأنه مجتمع من الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ثالثها : أنه سألهم هل علم أهل المدينة بما قدموا فيه ، قالوا : لا ، قال : لو علموا لوعظت بكم ، ومعنى هذا أنه أدرك من موقفهم حسن نيتهم ، وأنهم إنما فعلوا ما فعلوا ، ابتغاء وجه الله ، لم يريدوا به شغبا ولا إحداث فتنة ، ولا إرجافا بسوء ، وإذن فالخطأ فردى محصور فيهم ، وهم معذورون بحسب تفكيرهم ، فلا بأس من العفو عنهم ، أما لو كانوا قد أذاعوا الأمر فى الناس وأرجفوا به على أصحاب السلطة والحكم فيهم ، فإن النظرة إليهم كانت تتغير ، ويكون عليه أن يعاقبهم ليجعلهم مثلا للآخرين ، فإن الجريمة إذا أعلنت وجب إعلان استنكارها بالعقوبة الرادعة تنزل بمقترفيها .

٣ — إن عمر رضى الله عنه قد بين أنه استخلص السياسة التى يجب أن يسير عليها أهل الحكم ، من كتاب الله عز وجل : وهى سياسة الترفق بالمجتمع ، والتماس المعذرة له إذا كان يخالط بعض الأخطاء ، ويقارف بعض السيئات الصغرى ، مادام متجنبا الكبائر ، التى هى مواقف الإثم العظمى ، فإن هناك فرقا بين الآثام فى تقدير الله سبحانه وتعالى ، وميزان حسابه ، والكبائر هى التى تهز كيان المجتمع وتعرضه للانحلال ثم الفناء ، وهى كثيرة ، وقد ذكرت فى عشرات الأحاديث ، وفى الآيات الكثيرة المنبثة فى كتاب الله تعالى ، منها الإشراك بالله تعالى . وقتل النفس بغير حق ، وأكل الأموال بالباطل ، وقرب مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن ، وظلم النساء ، والزنا ، والربا ، والقمار ، وقذف المؤمنين والمؤمنات ، وغير ذلك مما هو معلوم مشهور ، فإذا تطهر المجتمع من هذه الرذائل الكبرى فإن هـذا التطهر فى ذاته مفخرة له ، ولو أن أفراده وقعوا بعد ذلك فى شئ من الصغائر والهفوات ، فإن الله يغفرها ويكفرها ، تحقيقا لوعده الكريم « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم » .

وقول عمر رضى الله عنه : « قد علم ربنا أن ستكون لنا سيآت » يشير إلى ما يفهم من القرآن الكريم ، من أن الإنسان خطاء ، وأن الله تعالى كلفه أن يقاوم نزعات الشر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والفساد والإغواء التي أحاطه بها . ما استطاع إلى هذه المقاومة سبيلا ، وهو الذي يقول في وصف الذين أحسنوا : « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم » وهذا التعليل لسعة المغفرة . بالعلم بضعف الإنسان ، هو السر فيما أخذ به عمر نفسه ، من الترفق بالمجتمع ، وإدراك أنه مجتمع بشري لا مجتمع ملائكي .

وقد بين القرآن الكريم هذه الحقيقة ، وهو أن الله خلق بجانب الإنسان ، عوامل الإغراء ، وعوامل الفتنة ، حيث يقول جل جلاله : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » .

وهذه الآية تتعاون مع الآية السابقة على بيان حقيقة هذا المخلوق الضعيف ، بحكم خلقه وتكوينه وماله من شهوات ورغبات ، والذي أحيط مع ذلك بعوامل الإغواء والإغراء والفتنة من الشيطان الخارجي ، فهو إذن محاط بهذا وذاك من داخل نفسه وخارجها ، فهل يتصور أن الله سبحانه وتعالى ، وهو الذي خلقه على هذا النحو ، ثم سلط عليه هذه القوة ، تتميما للاختبار والابتلاء ، هل يتصور مع ذلك أنه يريد من البشر أن يكونوا مجتمعا ملائكيا ، لا تظهر فيه أخطاء ولا تقع فيه ذنوب ؟

لذلك كله نعتبر فقه عمر في هذا الجانب السياسي الحكمي . فقها ملائما للتربية النفسية للمجتمعات ، إذ أنه يربط المجتمع بالدين ، ويفهم أفراده أن الدين ليس أمرا تصفيا ولا تزمتيا ، وإنما هو أمر متيسر يستطيع الفرد العادي في المجتمع العادي أن يصاحبه ، وأن يقبله وأن يعيش في ظلاله ، دون أن يرى على نفسه حرجا ، ودون أن يشعر بأنه مكبل ، مترصدة عليه هفواته ، ومحاسب على النقير والقطمير ، ويعامل بقسوة من الله سبحانه وتعالى ، وإنما يريد الله أن يعلم العبد أنه إذا أقلع عن الكبائر ، التي هي مواقف الإثم العظمى ، فإنه يكون متعرضا بذلك ، لا إلى مجرد أن تكفر عنه سيآته فحسب ، ولكن بأن يدخل مع هذا مدخلا كريما في الدنيا والآخرة .

ولهذا يجدر بإخواننا أهل العلم ، أن يتدبروا هذا الفقه العمري لدين الله ، فيكونوا في بعض المواقف أصحاب سماحة كما هم أصحاب فضيلة ! .

محمد محمد المدني

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

من خصائص الرسالة، الأمانة في العلم

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً : إلا ما شاء الله. ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » .

١ — لم يكن رسول الله من غير معجزة تؤيده من عند الله — سبحانه.

والمعجزة في عنوانها ومفهومها مظهر عجيب لقدرة الله على غير ما ألف الناس ، ولا ينهضون إلى مطاولتها أو محاكاتها ولو تضافرت عليها قواهم جميعاً .

ثم هي معجزة دائما ولو انقضى زمنها كالمعجزات السابقة .

فقد ركب سليمان الريح ، وسخرت له الجن والإنس والطير جميعاً .

وقد نزلت التوراة على موسى ، وكلمه ربه تكليما ، وانشق له البحر فنجا بمن معه ، وغرق فرعون وجنوده ... ونزل الإنجيل على عيسى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، وأحيا الميت .

ونزل القرآن على محمد ، وانتصر في قلة من المؤمنين على جمهرة من الكافرين ، وظل كتابه قائماً بين الناس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . إلى غير ذلك من معجزات كثيرة نهض بها حقه على باطل أعدائه . وخفقت راية الإسلام في بقاع كان الكفر يخيم عليها طول حياتها .

وكل معجزة كانت في ذاتها كافية لإقناع الناس بصدق صاحبها في رسالته من ربه ، وفي دعوته إلى ما دعا إليه .

٢ — ولكن الناس درجوا قديما على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التردد فى الاستجابة ، وعلى التشكك فيما يأتيهم به رسول ربهم ، وإن كان داحضا للشبهات ، وآخذاً مأخذه من الصدق والقوة ، وكان الإنسان أكثر شئ جدلا » .

ولم يقف لجاج الناس عند التردد بل كانوا يقترحون أموراً ويعلقون عليها إيمانهم ويتعللون فى أمانيهم الباطلة بأن من يكون رسولا من عند الله لا يعظم عليه أن يأتى بكل مطلوب .

وتلك هى المراوغة التى كان يفزع إليها المبطلون حين لا يجدون معذرة مستساغة فى الإعراض عن الحق الأبلج .

ثم ينتهى الأمر بزهوق الباطل على أى صورة من صور الفناء والدمار ، كما وعد الله تعالى « إن الباطل كان زهوقا » .

٣ — وكان من لجاج قريش مع النبى محمد — ص — أن يسألوه عن أمور كثيرة من علم الغيب ، كموعد الساعة — القيامة — التى يسمعون بها منه ، أو من غيره ... وكنزول المطر متى يكون ؟ وكنوع الحمل الذى فى بعض الزوجات ، وهكذا .

والنبى — ص — فى كل موقف من مواقف تحديهم له يبرأ إلى الله ، وإلى الناس من علم الغيب ، ومن دعوى القدرة على ما لم يتهيأ له ولم يكن مأذونا فيه ، ومن تجاوزه حدود البشرية إلى زعم الربوبية . بل كان يزداد فى براءته كثيراً من زعمهم أن للرسالة قدرة على شىء ويحاول دفعهم بالإقناع إلى جانب التوحيد . فمرة يقول عن الساعة « إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو » ، ومرة يقول بصيغة عامة « إنما الغيب لله » أو يقول « إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد » .

ثم يزداد فى التجرد من زعمهم فيقول ما علمه ربه « لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله » يعنى : لا تطلبوا منى مالا أستطيعه لكم : فإنى لا أملك لنفسى جلب منفعة ، ولا رفع مضرة : إلا ما يشاء الله أن أفعله بمعونته وتيسيره : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ... وما مسنى السوء » يريد : لو عرفت الغيب وما يضمره القدر الذى استأثر الله به لأكثرت من عمل الخير لنفسى ، وحققت لها ما تصبو إليه من ظفر على العدو دائما ، ومن أجر أو ثواب أدخره بالسبق إلى أعمال طيبة ، ولا تعرضت لضرر يصيبنى مما تكرهه النفس ، وتود الإفلات منه .

إذ أن العلم بالغيب يكشف لى ما استتر عن سواى ، فأستطيع الاختيار لنفسى ، ولكنكم — يا معشر قريش — ترونى لا أفلت من المكروه الذى تدبرونه ، ولا أظفر بكل ما تتعلق به الرغبة ، فكيف أقدر على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كل ما تزعمون ، وتحقيق ما تطلبون ؟ ؟ .

٤ ـ هذه مواقف غير هينة ، يتعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل فيها جهالتهم ، ويصابرهم على لجاجهم ، بل كان يحلم عليهم أكثر مما يستحقون ، وطالما ساوره الأسف على حرمانهم من الهداية ، وجاهد نفسه فى العناية بشأنهم ، والحدب على اجتذابهم نحو الخير .

حتى كان لفرط انهماكه فى شأنهم يتلقى من عند الله مواساة على هذا الجهاد ، وتسلية عن ذلك الهم المرير «يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ـ فلا تأس على القوم الكافرين ، فلا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون » .

٥ ـ ثم ما كان هذا العطف من جانبه ، أو التعنت من جانبهم لينحرف به عن قوله الحق .

إذ الأمانة طابع النبوة ، وخصيصة الرسالة وهى صفة المؤمنين الصادقين ، فما بالك فى تبليغ العلم إلى الناس . . ثم ما بالك بمقام الرسالة بين الله وعباده ؟ .

لقد برأه الله من مظنة الاتهام فيما يبلغه ، نقصا أو زيادة : « وما أرسلناك إلا لتبين للناس ما نزل إليهم ـ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين » يعنى لو تزيد لأهلكناه بقوتنا ولا يستطيع أحد منكم أن ينجيه من إهلاكنا له ، ثم شهد له شهادة الكمال فى أمانته العلمية بقوله سبحانه « وما هو على الغيب بضنين » أى ليس متهما بنقص ولا بزيادة فيما يخبركم به عن ربه .

وفوق هذه الاعتبارات ، التى تتمثل فيها براءة محمد فى نبوته مما يشينها ، كان معهودا فى قومه بالصدق منذ طفولته ، وبالأمانة فى كل ما يتصل به أكثر مما كانوا يطمعون فى كبارهم أو يتوقعون من شبابهم السادر فى تقاليد البيئة .

فلا يكون مستساغا عقلا ـ بعد أن توثقت علاقته بالله رسولا من عنده ، واشتدت به المسئولية أمانة وعصمة ـ أن يكتم علما أو ينقص ، أو يزيد

لا يكون مستساغا ـ عقلا ـ أن تزل قدمه بعد ثبوتها ، فينحرف عن تمام الأمانة ، أو يتعاظم فيزعم أنه فوق البشرية وأن له سلطانا يتيح له أن ينال نفعا ، أو يدفع ضرا ، « قل : سبحان ربى ، هل كنت إلا بشرا رسولا » ؟ .

هذا صنع الله فى نبيه ، وتأديبه لرسوله .

وفى ذلك مناعة لمحمد صلى الله عليه وسلم من التورط مع الكافرين ، ومناعة له من التعرض لعلم الغيب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٦ — وهنا تكون قدوتنا بالرسول فى الأمانة العلمية حقا لازما . وأمرا مفروضا حتميا . إذ لا معنى لأن يكون إماما حقا ، وقدوة مبعوثا ، ورسولا داعيا ، ثم تتخلف عن القدوة به ونزعم أننا على الجادة المرسومة لنا فى عمله ، وهديه ، وأننا حفاظ للأمانة التى ورثها العلماء عن الأنبياء !.

ولكننا منينا بالتجاوز لتواضعه ، وأمانته ، فتعالمنا بغير علم .

وهذه نزعة نبتت فينا وتفشت بيننا ، حتى جرت منا مجرى الدم من اللحم ، وغدت ظاهرة شخصية فى الكثير منا لجهلنا بخطر الأمانة العلمية .

ففينا من يتوسع فى فتواه بما يشتهى ، متأولا فى نصوص الشريعة ، وزاعما أنه فوق الأولين ، وفى مقدمة الآخرين . وكم من مفتون بنفسه أضله الله على علم .

وفينا من يتقبض فى قلبه لدين الله ، ويحجب إشعاع القرآن عن معترك الحياة ، ويخيل للناس أن الله يتعبدهم بالانكماش فى دنياهم ، والحرمان مما أحل لهم ، وأن الحياة لا تفسح مجالا لتوجيهات العلم ، وأن كل محاولة للاستمداد من هدى الدين الصحيح جرأة ذات أثر سيء فى المجتمع ، وقد دلت هذه النزعة على سوء فهم لرحابة الإسلام ، ومجاراته للحضارة السليمة . .

٧ — هذه ظاهرة وبيلة تنال من كرامة الدين كما تنال منه ظاهرة التحلل ، والخروج عن نطاقه ، فإحداها تضييق ، واختناق ، وصد للناس عن توسم الخير من جانب التشريع السماوى

والثانية إفراط فى التسامح ، واجتياز للحدود ، وظلم للدين وللنفس ، وللناس جميعا . « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » .

والأمانة فى العلم أمانة على حق من حقوق الله وحقوق عباده .

والأمانة كلها ودائع ، ترد إلى أصحابها معافاة من المساس بها . كما أمر الله فى قوله « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .

فالعلم كله ينتفع به فى وجوهه : دينا أو دنيا . . وبهذا تكون الأمانة مؤداة منا إلى الله ، وإلى الناس على وجه الكمال . . وإلا كانت خيانة لله الذى وهب العلم وتركه أمانة عندنا . . وللرسول الذى بلغ وعلم ، وحض على التزود منه ، والعمل به فى وجوهه عامة . وللناس الذين جعل الله تبليغ العلم إليهم حقا لازما لهم على من استودعه الله علما .

وعلم الدين إن لم تكمله أمانة التبليغ كان تضليلا ، ووسيلة شيطانية للإغراء وفتنة الناس عن الحق ، والإيقاع بهم فى غير ما يراد لهم من خير وفلاح .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وليس شراً عند الله من تضليل على حساب العلم ، فإن ذلك تقويض لمعالم الرسالات .

وعلى الدنيا كذلك فى أمانته ، وخطره ، وشراً لا نحراف به عن سبيله فى نفع الناس

فإن العلم كله فيض من جانب الله ، وقبس من نوره لنفع عباده ، وهديهم فى دنياهم ، وهو فى الجملة نعمة يجب أن نشكر باستخدامها فى نواحيها الخيرة .

والله — تعالى — يحاسب كل ذى نعمة على نعمته ، ولن يترك الناس فى سبسب من الفوضى ، فمن شاء فليؤمن . ومن شاء فليكفر !! » .

وقد تعلق الناس قديما بأهل العلم الدينى على ألوان شتى .

فمنهم من اعتدل فى تعلقه ، وأحسن فى تقديره ، فتهيأ من ذلك للعالم أن يفيد ، وللمتعلم أن يستفيد . وهذا فى إطار من أدب العلم وأمانته والتماس هديه فى غير تزمت ، ولا مجازفة .

وهناك إسراف من الجانبين — فى جانب أهل العلم زعم لبعضهم أنهم على خصوصيات من الله ورسوله ، وأن الله بوأهم منزلة الوساطة عنده فى أمور الناس ، ولهم نصيب من الجاه فى سلطانه — سبحانه — والإسراف من جانب الأتباع أنهم تأثروا بهذه الدعايات ، واستماروا عن طيب خاطر لأصحابها فالتفوا حول أفراد كثيرين ، وتكونت منهم أحزاب دينية ، وزعم كل حزب أن متبوعه ذو حظ وصاحب مقام كريم عند الله دون غيره من المتبوعين ! وما أكثرهم !! حتى بلغ من أولئك المتحزبين لشيوخهم أن ينسبوا إليهم كل خير يصادفهم ، ويلتمسوا رضاهم فى كل أوقاتهم ، ليظفروا بما وراء ذلك من وساطة ، وزلفى إلى الله وحصول على الآمال ، وأن تكون هناك نفوس طيبة حقا ، ودعوات صالحة مرضية فذلك مع تقديرنا له لا يبيح أن نفرض لغير الله شأنا فى ملكه ، ولا تدخلا فى تدبيره ، ولا يبيح أن نذكر شيخنا عند كل مناسبة ، وننسى ديننا فى أى حال .

العمل الصالح يرفع صاحبه . ودعوات الأبرار نافعة بمشيئة الله ، ولكن هذا لا يفيد أبدا أن لأحد عند الله شأنا ، أو تدخلا فى قضائه وقدره . . فليكن دعاؤنا لله ، وتقديسنا لله ، ولتكن قدوتنا بالصالحين فى أعمالهم الطيبة ، دون أن نجعل لهم مقاما من مقامات الألوهية فهم بحاجة إلى دعوات ، وصدقات تنفعهم إذا تقبلها الله منا لهم .

وليس لعبد من عباده خطوة ترفعه أكثر من أنه مقبول بعمله ، إلا ما ثبت لمحمد صلى الله عليه وسلم وللأنبياء من قبل صلوات الله عليهم جميعا ، ورضى الله عن صالحى المؤمنين ، وهدانا بهديه .

عبد اللطيف السبكى

[٣]

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دراسة عن علي مبارك

للأستاذ محمود الشرقاوي

مقدمة :

كانت مصر ، حتى نهاية القرن الثامن عشر في عزلة تامة عن أوربا ، وعن الحياة الخارجية كلها . ونستطيع أن ندرك مدى هذه العزلة إذا درسنا سير حكام مصر من المماليك في هذه الفترة الأخيرة . وعرفنا مدى جهلهم بما كان يجري في العالم إذ ذاك من أحداث كبار : ومع أنه كانت هناك صلات لا بد منها بين مصر — الولاية العثمانية — وبين الدولة العثمانية . فإن هذه الصلات كانت من القلة والتفاهة والاضطراب بحيث لم يكن لها أي أثر في خروج مصر أو إخراجها ، من هذه العزلة الصارمة .

ولكي ندرك مبلغ العزلة التي كانت تعيش فيها مصر وحكامها وأهلها . نذكر أننا لا نجد أثراً على الإطلاق يدلنا على أن مصر أحست أو عرفت ما وقع في ذلك القرن من أحداث جسام . حتى الثورة الفرنسية وما جرى فيها من دماء . وما انتهت إليه من تطورات بعيدة الخطر في حياة الإنسانية كلها . وما دعت إليه من مذاهب وآراء .

كانت هذه كلها أمور لم يصل صداها إلى مصر في عزلتها تلك .

ولكي ندرك إلى أي مدى كان حكام مصر وساداتها بعيدين عن معرفة ما يجري خارج حدود مصر : نذكر أن أمير مصر وحاكمها عند قدوم الحملة الفرنسية : مراد بك ، لم يكن يدري أي شيء على الإطلاق عن قوة جيوش نابليون وعن فتوحاته وانتصاراته في أوربا . وأنه — كما ذكر علي مبارك — عندما علم أن نابليون دخل الاسكندرية ، طلب إلى صديقه (كارلوروسيتي) : قنصل النمسا في مصر . أن يكتب له خطابا يطلب إليه فيه الخروج ، فقال له القنصل إن نابليون لم يدخل مصر بإذني حتى يتركها بإذني . وكأنه أراد أن يمعن في السخرية من مراد فقال له إن كان لا بد من خطاب أرسله إلى نابليون فأرسل إليه معه خمسين ألف فرنك . حتى يرحل ... (١) .

---

(١) ص ٥٢ ج ٧ من الخطط . نقلا عن كلوت بك . وانظر أيضا الجزء — ٢ — من كتابنا « دراسات في تاريخ الجبرتي ، مصر في القرن الثامن عشر » ص ٨٦ — ٨٨ من الطبعة الثانية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلما قدمت الحملة الفرنسية ، واستطاعت غزو مصر ، والاستقرار فيها ثلاث سنين ، ولو أنه كان استقراراً قلقا مشوبا بكثير من المتاعب ، بدأت ريح الغرب تهب على مصر وأخذت الحضارة الغربية والحياة الغربية ـ بما فيهما من خير وشر ـ تعرف فى مصر ؛ شيئا ما ، ولو أنها معرفة مشوبة أيضا بكثير من الحذر والريبة والاتهام .

ثم تولى محمد على حكم مصر فى سنة ١٨٠٥ فاستقبل هذه الريح القادمة من الغرب باسطاً ذراعيه . بل كان يستحثها لتسرع فى الهبوب على مصر فى قوة وشمول . وبدأت الحضارة الغربية والحياة الغربية تدخل حياة مصر ، وتتمكن منها . بما كان يرتبط به محمد على من صلات تجارية مع أوربا ويستقدم من رجالها لخدمته وخدمة الدولة . وما كان يرسل إلى فرنسا بصفة خاصة ، من بعوث كثيرة من أبناء مصر .

فى هذه الفترة التى بدأ محمد على يفتح فيها أبواب مصر على مصاريعها لريح الغرب ، ولد فى قرية من قرى مصر الواقعة على نيلها السعيد ، طفل مصرى كان له أكبر الأثر فى إفادة مصر ، إفادة جدية مثمرة ، من حضارة الغرب وعلمه . طفل أرسله ، فيما بعد ، محمد على ليدرس الهندسة العسكرية . ولكنه بعد أن اكتملت رجولته وعلمه ، قضى حياته كلها فى العمل على نشر العمران والحضارة والتعليم فى مدن مصر وقراها . وبلغ من ذلك مبلغا يشرفه أبعد الشرف وأسماه . ويشرف ذلك « الفلاح المصرى » الذى خرج من أصلابه . والذى كان محمد على والحاكمون من قبله ومن بعده ـ من أسرته ـ ينظرون إليه نظرة ملؤها السخرية والتحقير . وسنرى فى هذه الفصول عن سيرته ، إن هذا الذى وصفناه به ، لا مغالاة فيه ولا سرف .

كان على مبارك رائداً عملاقا فى حياة مصر فى القرن التاسع عشر . أنشأ لها من المشاريع الكبيرة ، وأقام فيها من الإصلاحات ، والإنشاءات ، والمدارس ، ما يصعب تحديده وحصره ، وإدراك الآثار العظيمة الهامة التى جنتها مصر بعد ذلك من مشاريعه وإصلاحاته وإنشاءاته ، أشد عسراً وأبعد منالا . وقد مست هذه المشاريع والإصلاحات مرافق مصر الرئيسية كلها . فى الزراعة ، والرى ، والهندسة ، والمواصلات ، والمدن ، والتعليم . بل نستطيع أن نقول أنها نهضت بهذه المرافق نهضة كبرى .

أما صفات على مبارك ومميزاته النفسية ، وخصائصه الذاتية ، فسنرى من ترجمته أنها كانت ، كذلك ، مثلا يشرفه ويشرف ذلك الفلاح المصرى الذى خرج من أصلابه .

وصف المرحوم الأستاذ إلياس الأيوبى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على مبارك ، فى كتابه : « مصر إسماعيل » ، بأنه « أبو التعليم فى مصر » . وقال تلميذه وصديقه المرحوم محمد باشا ذرى الحكيم فى ترجمته له إنه : « أنار العقول بالعلوم ، وأفاد مصر المدنية » .

وسنجد فى هذه الفصول أنهما صدقا فى ذلك غاية الصدق .

ميلاده ووفاته :

ولد على مبارك فى سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣) فى قرية : « برنبال الجديدة » (١) من أسرة وأب يقول إنه كانت لها مكانة وقربى عند « الحكام » ، ومع ذلك فقد لقى أبوه ولقيت أسرته من الأذى والشر شيئاً كثيراً فصّل أمره فى ترجمته لنفسه ، حتى هاجر أبوه من قريته تلك إلى الشرقية فى حديث طويل شيق مؤثر .

وكان أبوه يقوم لأهل القرى التى عاش فيها وهاجر إليها بشىء كثير من العمل : فهو فقيههم وقاضيهم وخطيبهم وإمامهم وموثق العقود لزيجاتهم ، وهو إلى ذلك يزن لهم ويكيل ما يبيعون ويشترون ويحصدون من زروع .

لم يكن أبوه يريد له أن يتعلم . بل كان يريده أن يساعده ويعينه ويعمل معه فيما يعمل من الشئون . ولكنه خالف عن أمر أبيه وعصيه وهاجر وغامر حتى تعلم فى « الكتاب » ، وفى مدرسة قصر العينى ثم فى المهندسخانة ، ثم فى كلية « متز الهندسية العسكرية » بفرنسا . فكان من نوابغ خريجيها فى الرياضة والهندسة . ومن الطرائف التى ذكرها عن نفسه أن موظفا كبيرا سأله وهو صبى فى المدرسة عن ضرب الواحد فى الواحد ، ما حاصله ... ؟ فقال اثنان ... ! فضربه السائل ، « بمقلاة بن » كانت فى يده فشج رأسه . . ! فلما عاد إلى أبيه ضربه وزجره واشتد عليه . ثم كان من هذا الصبى الذى لا يعرف ضرب الواحد فى الواحد نابغة من نوابغ الرياضيين والمهندسين ، بفضل جلده ومصبره ومثابرته . وقد رحل إلى فرنسا وهو لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الفرنسية ، فلما عاد إلى مصر تدرج فى وظائف الدولة حتى كان وزيرا لوزارات ثلاث فى وقت واحد ، ومديرا لمصلحة كبرى معها . أدى فيها جميعا لوطنه من الأعمال ما قد يعجز عن مثله جمع من الرجال .

وفى آخر حياته ترك القاهرة إلى قريته ، ثم عاد إليها مريضا حيث مات فى بيته بالحلية ليلة الثلاثاء ١٤ من نوفمبر سنة ١٨٩٣ (١٣١٢) هـ وكانت له جنازة مشهودة .

---

(١) من قرى : « محلة دمنة » فى محافظة الدقهلية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صفاته وأخلاقه :

كان على مبارك عطوفاً باراً ، رقيق القلب مرهف الحس ، شجاعاً فى حزم ، مخلصاً فى عمله ، وديعاً مسالماً . أما وداعته ومسالمته وحزمه ، فنجد مظاهرها والتدليل عليها فى حديثه عن علاقته بالثورة العرابية (١) . كما نجد ذلك فى حديث زواجه الثانى ، وما لقى فيه من رهق وعسر .

وأما عطفه ورقة قلبه ورهافة حسه ، فنجد مظاهر ذلك فى عطفه البالغ على أطفال المدارس ، وإشفاقه من سوء معاملة المعلمين لهم ، ودعوته إلى معاملتهم بالرفق والحسنى والمحبة . وكان ما لقيه فى طفولته وصباه من معلميه فى قصر العينى ، أكبر سبب لهذه العقلية التربوية الجديدة التى سبق بها علماء التربية فى عصره ، فى مصر على الأقل ، فنحن نحس من حديثه عن هذه الفترة أن هذه القسوة عليه وعلى زملائه من الصبيه ، بقى أثرها فى نفسه قويا بقية حياته كلها .

ونعرف أنه رقيق العاطفة ، مهذب النفس ، خير الغلب ، من قصه زواجه من بنت معلمه فى مدرسة أبى زعبل . فقد رأينا أنه تزوجها عرفاناً لفضل أبيها عليه ، فى التربية والمعروف ، فلما مات أبوها وتركها فقيرة تزوجها .

ونعرف ذلك أيضاً من قصة زواجه الثانى . فقد تزوج قبل سفره إلى الحرب فى تركيا فتاة من أسرة كريمة هى قريبة المرحوم أحمد باشا طوب صقال . وكانت ذات مال كثير وثروة طائلة . ولكنها كانت غريرة ساذجة لا تحسن التصرف فى شئ . وكانت أمها قد تزوجت بغير أبيها ثم ماتت . وبقيت الفتاة عند زوج أمها هذا صغيرة يتيمة . وتزوج هو مرة أخرى فاستولت زوجه على شعور هذه الفتاة الساذجة وقلبها . واستولت كذلك على ثروتها ، بحيث لم تكن تعرف من أمر أموالها شيئا .

فلما دخل على مبارك بهذه الفتاة خشيت هذه السيدة أن يطالبها بثروة زوجه فكادت له كيداً عند والدة الخديوى عباس حتى خاف على مبارك على حياته . واستطاع أن يخرج من هذه المحنه . ولكن السيدة ـ كافلة زوجه ـ استطاعت ، فى غيبته فى الحرب ، أن تجرد زوجه من كل تملك .

وهى قصة طويلة معقدة فصلها فى ترجمته . نعرف منها أنه استطاع أن يخرج من جميع ما نسب إليه من تحيف زوجه فى مالها . وأنه أثبت إثباتا قاطعاً أنها مدينة له بمال كثير . فلما أثبت ذلك تنازل لها عن هذا

---

[١] أنظر مقالنا : « على مبارك والثورة العرابية فى الجزء ـ ٤١ ـ من « المجلة » التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد بالاقليم الجنوبى [مايو سنة ١٩٦٠] .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كله . وترك بيتها الذى أنفق على إصلاحه مالا كثيراً . وترك فيه الجوارى اللاتى كن فى ملكه . ولم يأخذ سوى إقرار بثبوت دينه قبلها . وإثبات تنازله عنه .

وهى قصة نخرج من حكايتها بأنه كان رجل مثل وخلق وكرم نفس وصفح وتسامح .

وفى وصفه لوداع صبية المدارس له عند خروجه للحرب ، صورة مؤثرة تدل أكبر الدلالة على ما كان عنده من رقة العاطفة ، وعلى ما ترك فى نفوس هؤلاء التلاميذ من حب له وتعلق به . فهو يقول إن جميع التلاميذ صغارا وكبارا ، خرجوا لوداعه ، رغم نهى ضباطهم ، ووقفوا على الساحل أمام السفينة التى تحمله ، وكانوا ينتحبون ويبكون ، انتحاب الولد على والده ، حتى بكت عينه تأثرا لعاطفتهم ومحبتهم . ولكنه ، كما يقول ، انشرح صدره لما رأى من ثمرات تربيته وتعليمه وغرس يده .

وفى حديثه عن أطفال باريس[1] ومافيهم من نضارة وغضارة ونظافة ونشاط ومرح ، ومقابلة حالهم بحال أطفال مصر . فى هذا الحديث الرقيق المليء بالحسرات والآلام ، ما يشعرنا شعورا قويا بحب على مبارك لأطفاله من التلاميذ وأبناء الشعب ، وإحساسه بما كانوا يعيشون فيه من شقاء ومحنة .

[1] ص ٩٦٤ - ٩٦٥ ج ٣ من كتابه « علم الدين » وسنفرد له حديثا خاصا .

أما بره بأهله فنحن نجد فى ذلك قصة مؤثرة رائعة فى حديثه عن زيارتهم ، بعد أن غاب عنهم أربعة عشر عاما ، وكيف لقى امه ولقيته وكيف أحس حرجها وحسرتها وغصة قلبها لأنها لا تستطيع أن تقدم له ما يليق من طعام . وهى قصة من أرق وأجمل ما نجد فى حديثه عن نفسه ، وأشدها مساسا بالقلب ، وتأثيرا على النفس والإحساس .

شجاع :

كان شجاعا ولكنه صاحب حيلة وبراعة فى سوق ما يريد أن يسوق من حديث قد يجر الأذى والشر .

من مظاهر شجاعته أنه سجل فى حديثه عن طلب عباس له ليقابله ، أنه خاف من ذلك خوفا شديدا . لأنه كان يعلم « ما يقع لمن يلوذ بالعائلة الخديوية من الإيذاء »[1] وهو

[1] لكى نستطيع أن ندرك الرعب الذى كان يسيطر على نفوس الوزراء وحاشية الخديوى فى ذلك الوقت ، ننقل هذه الفقرة عن المرحوم الدكتور يعقوب صروف . فى الترجمة التى كتبها لعلى مبارك وكان من أصدقائه الحميمين : « ولم نسمع أن وزيرا من الوزراء كان يجزع من ملكه كما جزع صاحب الترجمة من الخديوى الاسبق — على ما يعهد فيه من الشجاعة الادبية التى حملته على تقرير الحقائق فى ذلك الكتاب النفيس — يقصد تدبير الفكر فى نيل مصر لعلى مبارك — ولم يكن هذا الجزع خاصا به ، بل كان شاملا كل حاشية الخديوى . حتى أقرب المقربين إليه » ص ١٥٥ / ١٥٦ من كتاب أعلام المقتطف للدكتور يعقوب صروف .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مظهر أيضا لما كان يتصف به من الأمانة العلمية والتاريخية . ونجد دليلا آخر على شجاعته فى كتابه « تدبير الفكر فى نيل مصر » وقد جرّت عليه هذه الشجاعة الشر ، حيث اتخذ إسماعيل المفتش مما كتب فى هذا الكتاب ذريعة لإثارة غضب إسماعيل وسخطه عليه .

نجد فى كتاب نخبة الفكر هذا ، وفيما تحدث به عن أصل المصريين وأخلاقهم خاصة ، أشياء من اليسير جداً أن يثار بها غضب إسماعيل ويتحرك سخطه . فهو يقول « إن السائس الأعظم لابد أن يكون عالما شرعيا » وكذلك نوابه وعماله . ويقول إن بلاد المسلمين بلغت ذروة مجدها وغاية سعادتها وعزها عندما كان السلاطين والعلماء كلاهما من أهل المعرفة ، يراقب بعضهم بعضا . ثم رجعت بلاد المسلمين القهقرى عندما تغلب على الحكم فيها أهل « الخشونة والجهل » ، فوقع المحكومون تحت تصرف الأهواء وتنازع الأغراض . فوقفوا فى السير ، ثم تقهقروا حتى تدهوروا (١) .

ثم يقول إن أهل مصر كغيرهم من الأمم الأوربية فى قبولهم للصلاح والتقويم والإصلاح . إذا سار فيهم حكامهم سيرة الاستقامة والعدل . بل إن المصريين « أقرب الناس إلى الإصلاح وأسرعهم تقدما فى سبيل الفلاح إذا وجدوا حاملا على ذلك (٢) .

ويلوم خلفاء محمد على على أنهم لم يعنوا بالمدرسة التى أنشأها لتعليم الزراعة حتى فشل مشروعها فكان ذلك خطأ منهم وتقصيرا يأسف له . وكان الواجب على من يلى الحكم فى بلد زراعى كمصر . ألا يحرص على هذه المدرسة وحدها فقط . بل يكثر من إنشاء غيرها فى الحواضر والمدن . ويكثر من إقامة أماكن خاصة للتجارب الزراعية ومستحدثاتها (٣) .

ويقول إن زراعة القطن ، أضرت بخصوبة التربة المصرية ، وأن تكرار زراعته « من غير مراعاة قوانين الفلاحة قد امتص قواها وأضعفها » (٣) وأن إنشاء ترعة الابراهيمية على النسق الذى أنشئت به أضر بالأراضى الواقعة من أسيوط إلى بنى سويف (٤) . والتوسع فى زراعة القطن كان من سياسة محمد على ، وكان مؤرخوه يرون أنه من مفاخره وأفضاله على مصر ، وترعة الابراهيميه كان مؤرخو الأسرة العلوية يرونها أيضاً من مفاخرها .

---

[١] ص ١٧٣ من الكتاب .

[٢] ص ٢٢٥ من الكتاب .

[٣] ص ١٥٨ .

[٤] ص ١٥٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ونجده يقول أيضاً إن نظم الزراعة فى عهده ، قد أثرت فى التجارة والصناعة تأثيراً ذا بال فى ثروة القطر العمومية . وذلك أن أغلب الأصناف التى أهمل زرعها كان باعثا عظيما على محاولة الصناعة وداعيا إلى توسع دائرة التجارة [1] وضرب لذلك مثلا زراعة الكتان والمراعى وإهمال تربية المواشى والأغنام ، وغير ذلك .

وكذلك مخالفته عن أمر إسماعيل المفتش فى شأن سكة الحديد وضمها إلى وزارة المالية . ونحن نعرف أن المفتش كان صاحب الحظوة الأولى والكلمة المطلقة عند سيده وأخيه ـ من الرضاع ـ إسماعيل . وقد جرت عليه هذه المخالفة غضب إسماعيل وسخطه . وإن كان قد رجع فسترضاه ، واستخدمه ، فذلك لأن إسماعيل ولأن الدولة أيضا لم تكن فى غنى عن نشاط على مبارك وكفايته وإخلاصه وجهده .

ومن مظاهر شجاعته أنه دعا لأن يتعلم المصريون العلوم العصرية الأوربية كالطب والتاريخ والجغرافيا باللغة الانجليزية والفرنسية . لأن ذلك ـ فى تقديره ـ أجدى وأنفع لهم وأيسر . وقد كان هذا الرأى للشجاع منه سببا فى خصومات غير هينة له . وتهم غير يسيرة ألصقت به . منها أنه كان محباً للإنجليز متعاونا معهم بقلبه ، بعد احتلالهم مصر .

وقد بلغت هذه التهم الجارحة الظالمة ، حدّ وصفه بأنه خائن ، كان يرشو بعض الأعراب بالمال ليكونوا عونا للانجليز فى حربهم للعرابيين . ولكنا نذكر أنه عندما قرر تدريس بعض هذه المواد بغير اللغة العربية ، اختار الفرنسية دون الانجليزية ، وكان ذلك بعد الاحتلال . وهذا يذكرنا فى مواقف الشجاعة والإخلاص أيضا .

ومن هذه التهم التى جلبها عليه رأيه هذا ، أنه خارج على وطنه ، منسلخ من قوميته .

كان عبد الله النديم ، داعية الثورة العرابية وخطيبها ، من العاتبين على على مبارك الذامين له . كتب مقالة [1] عرض فيها بمن يتعلم فى أوربا من المصريين ثم يعود إلى وطنه وقد التوى لسانه وتنكر لأهله ، ويصف واحدا من هؤلاء قد طرق على أهله بابهم بعد غيبته الطويلة فى أوربا ، فلما سألوه من هو ... ؟ أجابهم بلغة أهل باريس ، فلم يفهموا عنه شيئا . كانوا يحدثونه ، من وراء الباب ، بلغة أهل الريف ، وكان هو يجيبهم باللغة الفرنسية ، وهذه إشارة تذكرنا ،

---

[1] ص ١٦١ .

[1] نشرت فى العدد الأول من الجريدة التى كان يصدرها باسم « التنكيت والتبكيت يونيو ١٨٨٨ » وكان عنوانها « عربى تفرنج » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بلا شك ، بما قصه على مبارك عن نفسه عند ما رجع إلى أهله بعد غيبة أربعة عشر عاما فى فرنسا .

وقد سمعت عن بعض المعمرين الذين عرفوا على مبارك ، أن النديم كان يقصده بهذا التعريض . وأن العارفين الذين قرأوا مقالة النديم يوم ذاك لم يشك واحد منهم فى أنه يقصده .

ونجد أن على مبارك فى كتابه « الخطط الجديدة » قد مدح أسرة محمد على وأشاد به وبالخديويين من أبنائه . وقد يقول قائل إن هذا المدح لا يتفق مع ما وصفنا من شجاعته . ولكننا نقول : إنه يمدح فى خططه حقا الأسرة العلوية مدحا مقتصدا حينا ، ويشيد بها إشادة فيها شىء من المبالغة حينا آخر . ويذكر بالخير ولاتها ، وخاصة إسماعيل وتوفيق . وقد عرفنا من سيرته أنه نال فى ولاية إسماعيل أعظم ما ولى من مناصب الوزارة والحكم . وحقق فى عهده أعظم ما شاء الله له أن يحقق من مشاريع فى الهندسة والرى والتعليم والأوقاف وتعمير المدن وتنسيقها . إذا عرفنا ذلك كان من اليسير أن نعرف السبب فى هذا الخير الذى ذكر به عهد إسماعيل .

على أنه يبدو من سياق هذه الأحاديث التى ذكر فيها إسماعيل فمدحه ، أنه كتبها قبل أن تلتوى على إسماعيل أمور مصر وتتعقد شئونها بسبب ما تورط فيه من الدين . ولم يكن يسيرا عليه ، بعد ذلك ، أن يعدل عن هذا الذى مدح به إسماعيل لاعتبارات من السهل علينا إدراكها وهذا أيضا يمكن أن يقال عن توفيق .

فموقفه من توفيق ، كان موقف المدافع المشفق . لا موقف المشجع المؤيد . لأنه لم يكن من دعاة العنف . وكان يرى أنه خير لمصر أن تجدد حياتها فى هدوء . وأن تقيم بنيانها ، برفق ، حجراً بعد حجر ، وخطوة بعد خطوة ، وفى هذا قضى حياته الخصبة المنتجة العاملة كلها .

وكان على مبارك فى كثير من هذه الأحاديث التى مدح بها إسماعيل وأسرة محمد على ، يقارن بين عهود ولاتها وعهود المماليك والأتراك التى سبقتها . فلم يكن مدحه مطلقا ولكنه نسبىّ

ومع ذلك نجد فى بعض الحقائق والأرقام التى أوردها وسجلها ، بعيدا عن الإشادة والمديح ، ما ينقض هذا المديح والإطراء . ويظهر حكم محمد على على عكس ما يمدح به . فهو ، مثلا ، يقول فى حديثه عن مدينة الإسكندرية . إن تعداد سكانها عند ولاية محمد على كان بين سبعمائة وثمانمائة ألف . وكان عند وفاته مائة ألف (١) .

على أن هناك أمران يجب أن نلاحظهما قبل أن نترك حديث شجاعته ومدحه لإسماعيل

---

[١] ص ٤٥ جزء ـ ٧ ـ من الخطط .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتوفيق وأشباههما من حكام مصر : الأمر الأول أن سياسة الحكم ونظمه ، وعدالة الحاكم وظلم الرعية ، من الأمور النسبية التي يختلف تقديرها والحكم فيها باختلاف العصور ، كما نعرف بل هو لا يختلف فقط بل يتباين ويتناقض ، ومن الخطأ أن نتخذ مفاهيم هذه الكلمات التي ندركها الآن منها ، مقياسا لمفاهيم تلك العصور ، وأن نحاسب على مبارك بهذه الموازين . والأمر الثاني أنا لا نأخذ الحكم على على مبارك وخصائصه النفسية مما كتبه في الخطط وحدها . بل يجب أن ننظر بمعيار دقيق لما كتب في «علم الدين» خاصة . ولعله قصد ، وهو يؤلف كتابه هذا ، أن يقول فيه ما لم يستطع أن يقوله في الخطط . أو أن يوازن بين هذا أو ذاك . وطريقة تأليفه لعلم الدين ، تعطيه قدرا عظيما من الحرية في القول . كما نرى عند الحديث عن كتابه هذا .

وقد رأينا بعض حديثه عن الفلاح ، والعدل في الرعية وذم الإسراف عند الحاكم ، ونجد عند قراءة الكتاب شيئا كثيراً من ذلك وما يشبهه كأنما أراد به أن يذكر إسماعيل وتوفيق وأشباههما ، بما يجب أن يكون عليه الحكم والحاكم وكيف تساس الرعية .

ومن دلائل شجاعته ومظاهرها أنه عندما وضعت قنبلة تحت مجلس الخديوي إسماعيل في الأوبرا واختير هو رئيساً لمحاكمة المتهمين فيها لم يدن أحداً منهم لما رأى من عدم كفاية الأدلة (١) .

مستقيم أمين :

وكان مستقيما أمينا على مال الدولة . نجد من سيرته أنه قد ركبه الدين بعد ما تولى من كبار الوظائف في الجيش والحكومة والوزارة ، وألف كتبا تطبع منها الألوف لتلاميذ المدارس ، وأنعم عليه عباس بثلاثمائة فدان .

وهذه الثلاثمائة من الفدادين ، لا نجد لها ذكرا بعد الإنعام بها عليه . ولا نجد لها أثرا في ثروة خلفها بعد موته ، فلعله لم يستطع أن يستغلها ويستثمرها ، أو لعل عباسا أو غيره من الولاة عاد فاستردها منه ولم يستطع هو أن يذكر ذلك . ولا يبدو من سيرته وصفاته ، أنه كان متلافا للمال مسرفا .

مخلص متواضع جلد :

وكان مخلصا في عمله غيوراً عليه متواضعاً فيه صبورا جلدا . لا يأنف أن يقوم بالعمل الصغير بعد أن تولى كبار المناصب . نراه ، وهو وزير للمعارف ، يلقي دروسا على التلاميذ

---

[١] ص ٨١٥ من كتاب : « تقويم النيل » لأمين باشا سامي المجلد الثاني . الجزء الثالث .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويضع بنفسه، أو يشترك، فى تأليف الكتب لهم . ويقيم مطبعة يشرف بنفسه على طبع هذه الكتب فيها . وهو، إلى ذلك، يتولى بنفسه أيضا الإشراف على مأكل التلاميذ وملبسهم وراحتهم . حتى أنه يعلم التلميذ كيف يلبس، ويقرأ، ويكتب . كما يراقب المعلمين فى فصولهم الدراسية، وفى تعليمهم وتأديبهم للتلاميذ . لا يمر يوم إلا وقد أشرف على ذلك كله بنفسه . حتى على خدمة الخدم .

وهو متواضع لا يأنف أن يعلم الضباط ومن دونهم « حروف الهجاء » بعد أن تولى كبار المناصب وقام بجليل الأعمال . والتحق بحاشية سعيد . وتمتع بما تتمتع به حاشية الملوك من الأبهة، والسطوة، والوجاهة، والصدارة . ويقبل أن يقوم بالإشراف على المكاتب الأهلية، بعد أن كان يتولى ثلاث وزارات معاً . ومعها إدارات أخرى ومناصب لا تقل عنها أهمية وخطراً .

تحدث إليه المرحوم أدهم باشا فى أنه مأمور من سعيد باختيار معلمين يعلمون الضباط وصف الضباط القراءة والكتابة . ثم سأله عمن يليق لهذه المهمة . فقال له على مبارك : أنا، فظن أدهم أنه يهزل . فهو يعلم أنه أكبر جدا من هذا العمل الصغير بعد ما باشر من كبير الشئون والوظائف . وقال له أدهم : أترضى أن تكون معلما لهؤلاء ؟ . فأجابه على مبارك : « كيف لا أرغب انتهاز فرصة تعليم أبناء الوطن وبث فوائد العلوم..؟ فقد كنا مبتدئين نتعلم الهجاء . ثم وصلنا إلى ما وصلنا إليه »[1] . وقد رأينا أنه قام بهذا العمل فعلا .

وقد كان على مبارك يذهب إلى هؤلاء الأميين فيكتب لهم حروف الهجاء بيده، ولأنهم لم يكونوا مستقرين فى مكان واحد كان يذهب إليهم فى خيامهم ويكتب لهم بيده تارة على الأرض، وتارة بالفحم على البلاط[2] .

(البقية فى العدد القادم)

محمود الشرقاوى

---

[1] ص ٤٨ من الجزء التاسع من الخطط .

[2] نفس الصفحة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين العربية والفارسية

للدكتور حامد عبد القادر
عضو مجمع اللغة العربية

بينت فى القسم الأول من هذا البحث ما كان بين العرب وغيرهم من الأمم المجاورة لهم من صلات وعلاقات سياسية وتجارية وغيرها، وأوضحت ما ترتب على هذه العلاقات من صلات لغوية أدت إلى تسرب كثير من الكلمات الأجنبية إلى اللغة العربية، وقلت إن القرآن الكريم نزل وقد صقل هذه الكلمات بالصيقل العربى فاستعمل بعضها، لا على أنها أعجمية بل على أنها كلمات معربة عربية الصيغة والصبغة.

كان هذا قبل الإسلام أما بعده فقد بلغت صلة العرب بالفرس منتهاها من القوة بعد أن دخل الإسلام بلاد الفرس، وامتزجت الثقافة العربية بالثقافة الفارسية، وتكونت منهما ثقافة إسلامية واحدة موطدة الأركان شامخة البنيان.

وكان دخول الإسلام بلاد الفرس إحدى نتائج انتصار العرب على الفرس انتصاراً نهائياً فى عهد عمر بن الخطاب، وكانت الموقعة الفاصلة بين الفريقين موقعة نهاوند (سنة ٢١ هـ ٦٤٣ م) التى لم يقع للعرب مثلها ولذا سميت: «فتح الفتوح».

وقد كان من الطبيعى أن يتبع الفتح العربى لبلاد الفرس انتشار الإسلام بها، وأن يتعلم الفرس اللغة العربية لغة القرآن والدين، وأن تحل الأبجدية العربية محل الأبجدية الآرامية، وأن يحدث فى إيران انقلاب أخذ يقوى شيئاً فشيئاً حتى شمل جميع مظاهر الحياة، وتغيرت العقلية الفارسية. فأخذت تنظر نحو الحياة الدنيا والحياة الآخرة نظرة جديدة، ولم يكن فى استطاعة الفرس أن يقاوموا القوة المادية الروحانية الإسلامية التى غمرتهم وأحدقت بهم من كل جانب.

غير أن آثاراً من دينهم القديم وتقاليدهم السابقة ظلت عالقة بأذهانهم. فأثرت - دون شعور منهم - فى عقائدهم وتقاليدهم الجديدة، وبقيت آثار من لغتهم وآرائهم كامنة فى صدورهم أو مدونة فى بطون كتبهم، أو متداولة فيما بينهم فى منازلهم إلى أن ظهر أمرها حين قامت قائمتهم، وتألق نجمهم فى أفق التاريخ مرة أخرى فحاولوا إعادة سالف مجدهم وإحياء ما درس من علومهم وآرائهم.

أما الآثار الدينية فقد تجلت فى مذهب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشيعة الذي ظهر أمره بعد قتل الإمام علي كرم الله وجهه . وأما التقاليد القديمة فقد ظهرت آثارها في بعض الأعياد التي استمرت في عهد الدولة الإسلامية . وأما الآثار اللغوية الأدبية فمنها إدخال كثير من الألفاظ الفارسية في اللغة العربية التي تعلموها .

ولا يعرف إلا قليل عن أحوال إيران الداخلية في أثناء المائة والخمسين سنة التي تلت الفتح الإسلامي ، إذ كانت البلاد من الوجهة السياسية جزءا من الخلافة الإسلامية يؤدي الزكاة أو الجزية ويراقب مراقبة شديدة طبقا لنظام دقيق وضعه معاوية أول خلفاء بني أمية . وقد قضى الخليفة عمر على البقية الباقية من أنواع الآداب الأجنبية الأخرى ، بحجة أنها زائدة على حاجة المسلمين ، وأنه من الممكن الاستغناء عنها بالقرآن الكريم الذي يجب أن يكون مرجع جميع الآداب ، ومستقى جميع المعلومات . ومن ثم كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في هذا العصر وفيما تلاه إلى عصر الدولة السلجوقية .

يقول دولتشاه السمرقندي في كتابه تذكرة الشعراء ما خلاصته : (١)

« لما أخضع العرب بلاد فارس أرادوا نشر الشريعة الإسلامية والقضاء على كل ما كان من التقاليد والآثار الفارسية . وقد لقيت اللغة والشعر والآداب الفارسية المصير نفسه ، ونسي الفرس أو تناسوا شعرهم وآدابهم . وكان حكام إيران من العرب في عهد الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية يأبون إلا أن يكون الشعر والكتابة الفنية والحكم والأمثال باللغة العربية .

يقول نظام الملك وزير السلاجقة في كتابه : « تاريخ الملوك » إن الوثائق والقوانين والنشرات والأمثال كانت كلها تصدر من بلاط السلاطين مكتوبة باللغة العربية من عهد الخلفاء الراشدين إلى عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي (٣٨٨ - ٤٢١ هـ) وكانوا يعيبون على السلاطين أن يكتبوا الرسائل ونحوها بالفارسية .

« وفي أيام وزارة عميد الملك أبي نصر كندري (٤٥٠) وزير أبي أرسلان ابن طغرل بك السلجوقي أصدر الوزير أمراً إلى الكتاب أن يضربوا صفحا عن هذه العادة وأن يكتبوا الرسائل ونحوها بالفارسية .

ومن ثم يمكن أن يقال إن الأدب الفارسي كان في عصر صدر الإسلام في حالة ركود تام وظلام دامس .

وفي أواخر الدولة الأموية تذمر العرب والعجم من سوء تصرف الخلفاء فأجمعوا أمرهم على أن يخرجوا عليهم ، وبلغ التذمر قمته بقيام ثورة عامة ضد حكم بني أمية كان

(١) انظر ص ٢٩ من هذا الكتاب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

للفرس فيها النصيب الأوفر بقيادة أبي مسلم الخراساني ، وانتهت الثورة بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ، سنة ٧٥٠ م ، وحلت بغداد محل دمشق فكانت عاصمة الخلافة العباسية ، وكان انتصار المأمون على أخيه الأمين (١٩٨هـ) انتصارا آخر للفرس أنصار الأول ، على العرب أنصار الثاني .

ويمتاز القرن الأول من الخلافة العباسية (١٣١ - ٢٣٢ هـ) - الذي يوصف أحيانا بأنه العصر الذهبي للخلافة الإسلامية - من الوجهة السياسية بقوة نفوذ الفرس ، وتوليهم زمام الحكم . وفي مقدمتهم البرامكة الذين كانت لهم الغلبة في إدارة شئون الخلافة زهاء خمسين سنة ، ومن الناحية الثقافية الفكرية بانعقاد مجالس الحوار والمناقشة في قصور الخلفاء تلك المجالس التي كان يحضرها الخليفة ويشترك فيها في البحث والجدل ذو و العبقريات الممتازة من العلماء والأدباء ، وبكثرة الكتب المترجمة من اللغات الأخرى وبخاصة اليونانية والفارسية والنبطية ، ومن الناحية الدينية بقوة سلطان الشيعة ، وتغلب مذهب المعتزلة الذين كانوا يصفون أنفسهم بأنهم : « أهل العدل والتوحيد » ويصفهم الفرنجة بأنهم : « أرباب التفكير الحر في الإسلام » ، ومن الناحية الاجتماعية بشيوع بعض التقاليد الفارسية كالاحتفال بعيدي النيروز (يوم ٢١/٣) والمهرجان (٢١ / ٩) ، ولبس القلنسوة والملابس الفارسية المزركشة في قصور الخلافة . وقيل: إن أبا جعفر المنصور كان أول من لبس القلنسوة . ومن الناحية اللغوية الأدبية باهتمام الفرس بدراسة اللغة العربية وآدابها ، وعنايتهم بدراسة علوم اللغة والشريعة حتى صاروا في طليعة المؤلفين والكتاب .

ومن يدرس تاريخ التدوين والتأليف في الإسلام يجد أن معظم السباقين في هذا الميدان كانوا من الفرس ، فليس من ينكر فضل هؤلاء حتى في أشد العلوم اتصالا باللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشريعة الإسلامية ، فمنهم معظم أئمة اللغة والمفسرين وجامعي الأحاديث وعلماء الفقه .

وفي هذا الموضوع يقول ابن خلدون : من الغريب الواقع أن حملة العلم الإسلامي أكثرهم العجم - إلا في القليل النادر ، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في مربّاه ومشيخته - مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربي . فكان صاحب صناعة النحو سيبويه (١٨٠ هـ) والفارسي من بعده (٣٧٧هـ) والزجاج[1] من بعدهما ، وكلهم عجم في أنسابهم ،

(١) هكذا يقول ابن خلدون والمعروف أن أبا إسحق إبراهيم الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ أي قبل أبي علي الفارسي بنحو ٦٦ سنة فهو متقدم على الفارسي لا متأخر عنه كما يقول ابن خلدون . ويؤيد ذلك ما ذكره السيوطي في « بغية الوعاة » وهو أن الفارسي أخذ عن الزجاج وابن السراج .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإنما ربوا فى اللسان العربى فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفنا من بعدهم . وكذلك حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون بالثقفة والمربى . وكان علماء أصول الفقه كلهم عجما كما يعرف (١) ، وكذا أكثر المفسرين ، ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم .

وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها ، وخرجوا إليها من البداوة فشغلتهم الرياسة فى الدولة العباسية ، فإنهم كانوا أهل الدولة وحماتها ، وأولى سياستها ، مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع ، والرؤساء يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجرى إليها ، ويدفعوا ذلك إلى من قام به من العجم والمولدين »(٢) .

ومع أن الفرس قد حذقوا العربية ، وأتقنوا علومها ، وكانت لهم الأسبقية فى التأليف فى كثير من علوم اللغة والشريعة فقد مارس كثير منهم صناعة الشعر بالعربية ولم يزالوا يمارسونها حتى نبغوا فيها .

وقد عنى العلامة الثعالبى فى كتابه « يتيمة الدهر » بهذا الموضوع ، فتحدث عن كثير من شعراء العربية من الفرس الذين نشئوا فى أحضان الدولة البويهية فى بغداد والعراق العربى وأواسط فارس ، وفى رعاية الدولة الزيارية بطبرستان ، وبخاصة فى عهد شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، وفى حماية الأمراء السامانيين فى خراسان وخوارزم .

فهذا الكتاب الأدبى القيم يعطينا فكرة واضحة عن حالة الأدب العربى من سنة ٣٥٠ هـ حتى سنة ٤٠٣ هـ فى بلاد إيران كلها من بغداد إلى خوارزم ، ومنه نعلم أن أدباء الفرس قد مهروا فى صناعة الشعر العربى ، وأن سوق هذا الشعر كانت نافقة فى طول إيران وعرضها حيث كان الشعراء من الفرس ينظمون القصائد بلسان عربى فصيح ويقدمونها لسادتهم من بنى وطنهم فيعجبون بها ويجزونهم عليها .

وخلاصة القول : أن قوة النفوذ الفارسى فى العصر العباسى لم تضعف من شأن اللغة العربية وآدابها ، بل إن هذه اللغة قد بقيت على ما كانت عليه من قبل لغة الدين والسياسة والعلم ، واتخذها علماء الفرس وأدباؤهم أداة للتعبير عن أفكارهم ، وتسجيل آرائهم ، وتصوير أخيلتهم وعواطفهم .

أما اللغة الفارسية فقد بقيت قابعة فى عقر دارها خلال القرنين الأول والثانى

---

(١) هكذا قال ابن خلدون ، ولا يخفى ما فيه من مبالغة فالمشهور أن الإمام الشافعى « عالم قريش » كان أول المؤلفين فى أصول الفقه ، وليس هناك من يشك فى عروبته .

(٢) المقدمة ص ٣١٢ — المطبعة الخيرية لعمر حسين الخشاب سنة ١٣٢٧ هـ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من التاريخ الهجرى ، وجاء عصر المأمون فأخذت هذه اللغة تتنفس الصعداء وتتحفز للظهور فى ذلك العصر الذى غلبت عليه الصبغة الفارسية .

يقول محمد عوفى فى كتابه (لباب الألباب) ما خلاصته مترجمة :

لقد ظل الشعر الفارسى مجردا من الوزن والقافية غير خاضع لنظام البحور الشعرية العربية إلى أن دخل الإسلام بلاد الفرس وحذق أدباء الفارسية اللغة العربية ، ودرسوا نظام الشعر العربى ، وعرفوا بحوره ، وفهموا معنى الروى والقافية ، والزحاف والعلة ، وكيفية تقطيع الأبيات وغير هذا وذاك مما هو مذكور فى علمى العروض والقافية . حينئذ أخذ أدباء الفرس ينظمون فى أول الأمر الشعر بالعربية ، ثم أخذوا ينظمون الشعر بالفارسية على نحو ما هو متبع فى الشعر العربى » .

وقد سلكوا فى الأمرين مسلك التدرج ، لذلك نجدهم حين بدءوا نظم الشعر بالعربية يلحنون أو يخطئون فى النطق بالحروف العربية كالحاء والعين ، ويدخلون فى شعرهم العربى بعض كلمات أو عبارات فارسية .

ويروى أن أول من نظم الشعر الموزون المقفى بالفارسية بعد الإسلام أديب يسمى خواجة زاده عباس ، وكان شاعرا ماهرا ، بصيرا باللغتين العربية والفارسية . وأول قصيدة فارسية من نظمه كانت القصيدة التى أنشدها سنة ١٩٣ هـ بمدينة مرو أمام (الخليفة المأمون بن هرون الرشيد ومطلع هذه القصيدة :

أى رسانيده بدولت فرق خود تافرقدين
كسترانيده بجود وفضل در عالم يدين
مر خلافت راتوشايسته جو مردم ديده را
دين يزدان راتو بايسته جو رخ راهرذوعين
يامن بسعد بدولته حتى ناطح برأسه الفرقدين
يامن بسط بالجود والفضل والعالم كانا اليدين
إن الخلافة منك كالإنسان من العين
وإن دين الله فى حاجة إليك كما يحتاج الرخ إلى العينين

وفيها يقول :

كس برين منوال بيش ازمن نجنبيد شعرى نكفت
مرزبان بارسى ، اهست تا اين نوع بين
ليك زان كفتم من أين مدحت تراتا الين لغت
كيرد ازمدح وثنا حضرت توزيت وزين

لم ينسج أحد من قبلى شعرا على هذا المنوال وكان بين الفارسية وهذا الشعر بعد المشرقين ولكنى مدحتكم على هذا النمط الشعرى
كى تكتسب هذه اللغة من مدحكم كل بهاء وزين

ولما انتهى الشاعر من إنشاد قصيدته أطراه المأمون وأمر بالإنعام عليه بألف دينار من الذهب ، وأن يختص بكثير من اللطف والعناية .

وعلم الأدباء بالشعر والشاعر فأقبلوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يطرونهما ويشيدون بذكرهما وأخذوا يحاولون نظم الشعر بالفارسية .

ولكننا لا نعرف أن أحدا نظم الشعر بالفارسية بعد هذا إلى أن جاء العصر الذى استقلت فيه بعض الأوطان الفارسية ، وأخذ أمرؤها ينافس بعضهم بعضا فى نظم الشعر ويحببون إليهم العلماء والشعراء ، ويشجعونهم على أن ينظموا الشعر بالفارسية يسجلون به مآثرهم ويخلدون ذكرهم . فحينئذ أخذت اللغة الفارسية وآدابها تهب مزسباتها ، وجاءت الدولة السامانية فاتجهت عناية أمرائها إلى إحياء الثقافة والآداب الفارسية القومية فنهضت تلك اللغة والآداب نهضة لم تعهدها من قبل .

وقد بدأ استقلال الأوطان الفارسية فى عهد المأمون وبرغبته فقد أراد أن يكافئ أكبر أعوانه وأنصاره من القواد فجعلهم ولاة على أقاليم يستقلون بإدارة شئونها وكان طاهر بن حسين أول من حظى بهذا الشرف فأسس الدولة الطاهرية فى خراسان وامتد حكمها لهذا الإقليم من سنه ٢٠٦ هـ إلى سنه ٢٥٩ هـ أى ما يزيد قليلا على نصف قرن . ثم حلت محلها الدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠ هـ) والدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩ هـ) .

وكانت الدولة الطاهرية عربية النزعة حريصة على التقاليد والثقافة العربية فلم تنتشر فى عهدها التقاليد والآداب الفارسية :

يروى دولتشاه السمرقندى فى كتابه « تذكرة الشعراء » (١) ما ترجمته أن عبدالله بن طاهر بن حسين أحد أمراء الدولة (الطاهرية بخراسان ٢١٣ - ٢٣٠ هـ) كان ذات يوم بنيسابور فجاء رجل وقدم إليه كتابا على أنه هدية أثرية ، فقال عبد الله : أى كتاب هذا ؟ فقال : هذه قصة وامق وعذراء ، وإنها قصة طريفة ألفها الأدباء باسم الشاه نوشيروان . فقال الأمير : نحن قوم نقرأ القرآن ، ولا نقرأ شيئا آخر غير القرآن الكريم والحديث الشريف ، فليس لهذا الكتاب ولا لما يشبهه قيمة ولا فائدة لدينا . هذا إلى أن مؤلفه مجوسى ومن ثم كان مردودا فى نظرنا .

ثم أمر عبد الله بالكتاب فرمى فى اليم ، وأمر من كانوا فى إمارته أن يحرقوا كل ما لديهم من الكتب وغيرها من مخلفات العجم .

وفى عهد الدولة الصفارية ظهر نظام شعرى جديد شاع أمره فى الشعر الفارسى ثم فى الشعر العربى ذلك هو نظام الدوبيت أو الرباعى .

يقول دولتشاه السمرقندى فى كتابه الآنف ذكره فى بيان ذلك ما ترجمته : يحكى أن يعقوب ابن الليث الصفارى (٢٥٤ — ٢٦٥ هـ)

(١) راجع ص ٢٩ من هذا الكتاب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أول من شقوا عصا الطاعة من الفرس على بنى العباس كان له ابن يحبه حباً جماً ، وكان هذا الطفل يلعب فى أحد الأعياد لعبة الجوز مع غيره من الأطفال ، وجاء الأمير يعقوب ووقف بعض الوقت على قارعة الطريق يتفرج على ابنه وهو يلعب ، فرآه يلقى الجوز على الأرض فتقع سبع جوزات فى الحفرة ، ولم تلبث إحداها أن قفزت وخرجت من الحفرة فأسف ابن الأمير وفقد الأمل فى عودة الجوزة إلى الحفرة . ولكنه رآها تعود مسرعة وتتحرك نحو الحفرة فسر الأمير الطفل ، واشتد اغتباطه ، وحينئذ جرى على لسانه هذه العبارة :

غلطان غلطان همى رود تالب كو :

متدحرجة متدحرجة جاءت تسعى نحو الحفرة .

ووقع هذا الكلام موقعاً حسناً على سمع الأمير يعقوب ، فاستدعى إليه الأدباء والوزراء وقال لهم إن هذا الكلام جيد ، جار على نمط شعرى . وتناول أبو دلف وابن السكيت هذه العبارة بالبحث ، وبعد تقطيعها وجدا أنها يمكن أن تكون شطر بيت من بحر الهزج فى إحدى صوره أو أضربه ، فأكملا البيت بالشطر الثانى ، ثم نظما بيتا ثانياً من البحر والضرب نفسه ، وبذلك أكملا بيتين . وجرى الأدباء على أن يطلقوا على هذه الصورة الشعرية أى القطعة المكونة من بيتين فى نظام معين اسم « دوبيت » ، وبعد زمن من الزمن عدلوا عن هذه التسمية وسموا مثل هذه القطعة « الرباعى » .

ويروى شمس الدين محمد بن قيس الرازى من رجال القرن السابع الهجرى — فى كتابه « المعجم فى معايير أشعار العجم » رواية أخرى فى نشأة الرباعى فيقول :

إن بعض شعراء الفرس — ويظنه الروكى اخترع الرباعى حين مر فى يوم عيد على صبية يلعبون ضربا من اللعب بالجوز وفيهم غلام صبيح لشيط ألقى جوزة فلم تستقر فى الحفرة وخرجت منها ثم تدحرجت ورجعت إليها فصاح الغلام :

غلتان — غلتان . همى رود تابن كو

فأعجب الشاعر هذا النغم — وما زال يعالجه حتى بنى عليه أنغام الرباعى .

والروايتان متقاربتان . وليس لدينا من الأدلة ما يرجع إحداهما على الأخرى . على أنهما تتفقان على أن الرباعى من مستحدثات الفرس . مثله فى ذلك مثل المثنوى الذى اتفق الرواة على أنه من ابتكار بهرام كور — كما قلنا فى قسم الأول من هذا البحث .

ويمكن أن يقال على وجه الإجمال : إن النهضة الأدبية الفارسية الحديثة قد بدأت فى عهد الدولة السامانية . فإليها يرجع الفضل فى تشجيع أدباء الفرس وإغرائهم بالمال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والسلطان أن ينهضوا باللغة الفارسية وآدابها بجانب العربية وآدابها ، ولم يحل اشتغال أمراء هذه الدولة بالحروب المتواصلة دون عنايتهم بالفنون والآداب ، ومن ثم نجد كثيراً من المؤرخين والشعراء يلتفون حولهم يدونون انتصاراتهم ويتغنون بمفاخرهم ، وكان كثير من شعرائهم يجيدون الشعر بالعربية والفارسية ، وأن هذا لدليل على أنهم كانوا على علم تام بلغة العرب ، وبحور الشعر العربي ونظام تكوين القصيدة بالإضافة إلى ما ابتكروه من البحور والصور الشعرية .

وقد طرقوا أبوابا أو فنونا متعددة من فنون الشعر فى مقدمتها الوصف والمدح ، وكان وصف الخمر والتحدث عن آثارها فى النفس موضوعا محببا لديهم أجادوه أيما إجادة ، وجاءوا فيه بضروب من التشبيهات المستطرفة : وأتوا بأنواع من المعانى المبتكرة ، فكان وصفا خلابا جذابا لم يخل من الغلو والإغراق فى المبالغة . فمن هذه المعانى قول أبى شكور البلخى : إن الخمر حين يعصرها البستانى روح مشرقة ، ولو رأى قطرة منها من لا عين له لقال هذه عينى ، ولو رآها الميت لقال هذه روحى ، وإنها كالهلال حين تصب من القنينة إلى الكأس ، وكالبدر حين تستقر فى الكأس . ومنها قول الرودكى : إن تأثيرها يصل إلى أعالى المخ قبل أن تذاق ، ولو سقطت قطرة منها فى نهر النيل لظل التمساح ثملا من رائحتها مائة عام ، وأن غزال السهل الوادع لو شرب قطرة منها لصار أسدا عربيدا لا يكترث بالفهد . ويبدو أن ولع هؤلاء الشعراء بذكر الخمر والتغنى بها يرجع إلى بيئتهم الغنية ببساتينها الفيحاء وحدائقها الغناء المليئة بأنواع الزهور والفواكه التى تعتصر منها الخمر .

كما يرجع إقبالهم على المدح والمبالغة فيه إلى شدة اتصالهم بأمراء الدويلات المختلفة وولاتها ، وإلى تنافس هؤلاء الأمراء والولاة فى اجتذاب الشعراء والأدباء نحوهم بإغداق العطايا والهبات عليهم ليشيدوا بذكرهم . ومن ثم نشأ التكسب بالشعر ثم شاع أمره بين الشعراء ، وهاهو ذا أبو زراعة الجرجانى يقرر أن تلك العطايا والهبات هى التى تغرى الشعراء وتطلق ألسنتهم بعذب الكلام وجيد المدح ، وذلك حيث يقول :

أعطنى جزءا من ألف مما نال الوكى من عطاء الملوك أعطك شعرا أعذب من شعره ألف مرة .

وقد سلكوا فى المدح أيضا مسلك الغلو والمبالغة ، وتكاد مدائحهم تنحصر فى وصف الممدوحين بالسخاء والشجاعة وحسن السياسة وإحكام التدبير .

وقد طرق هؤلاء الشعراء أبوابا أخرى من أبواب الشعر كالرثاء ، والحث على طلب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المعالى ، وعلى الإباء والشمم وعلو النفس ، وعلى العدل وحسن المعاملة ، والدعوة إلى توحيد الله تعالى وتنزيهه ، وإلى القناعة والصبر والتوكل على الله والرضا بقضائه وقدره . ولا شك أنهم تأثروا فى كثير من هذه بالدعوة والتعاليم الإسلامية .

ويبدو أن هذه النهضة الأدبية الفارسية التى شملت الألفاظ والأساليب وأغراض الشعر وفنونه كان لها نظراء فى الأدب العربى فى العصر العباسى وبخاصة أشعار بشار ، وأبى نواس ، ١٤٥ — ١٩٩ ، وصريع الغوانى مسلم ٢٠٨ ، وأبى تمام ١٩٠ - ٢٣١ ، والبحترى ٢٠٦ - ٢٨٤ ، وابن الرومى ٢٣١ - ٢٨٣ ومن أتوا بعدهم وحاكوهم فى الاهتمام بالزخرف اللفظى والمبالغة فى المدح والوصف ، واتخاذ الشعر وسيلة للتكسب والتقرب إلى الخلفاء والأمراء وقادة الجيوش .

وهنا نسأل : أى الأدبين تأثر بالآخر فى هذه المظاهر اللفظية والمعنوية ؟ ويبدو أن أصح جواب عن هذا السؤال هو أن نهضة الأدبين كليهما كانت وليدة الظروف الجديدة وإحدى نتائج امتزاج الشعبين العربى والفارسى بعد الإسلام ، فهذه قد أدت إلى تغير العقلية لدى كل من الفريقين ، وقد وجد هذا التغير متنفسا له فى الأدب العربى ، ثم فى الأدب الفارسى ، لأن تلك النهضة كانت فى الأدب العربى أسبق منها فى الأدب الفارسى .

ونسأل مرة أخرى فنقول : ماذا كانت العناصر المتغلبة فى هذا المزيج ؟ أكانت العناصر العربية أم كانت العناصر الفارسية ؟ ويكاد يكون من المرجح فى نظرى أن العناصر الفارسية كانت لها الغلبة وإن كان للعناصر العربية فضل السبق ـ شأن الأدب فى ذلك شأن التدوين والتأليف فى العلوم والفنون المختلفة.

وقد يؤيد ذلك ما نراه من فروق واضحة بين الأساليب والمعانى الأدبية قبل الإسلام وبين نظائرها بعد أن اختلط العرب بالعجم ، وفى هذا المعنى يقول بعض الظرفاء : لغة العرب علم ، أما لغة الفرس فعمل .

ومن مظاهر الصلة بين العربية والفارسية الترجمة من إحدى اللغتين إلى الأخرى نثرا أو شعرا : فقد ترجم تاريخ الطبرى إلى الفارسية أبو على محمد البلعمى وزير منصور الأول ابن نوح الثانى السامانى (٣٥٠-٣٦٦هـ) وفى العصر نفسه ترجم فريق من العلماء تفسير الطبرى للقرآن الكريم من العربية إلى الفارسية وكذلك « كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية » لأبى منصور الموفق الهروى (حوالى سنة ٣٦٢) .

وترجم كليلة ودمنة إلى الفارسية شعرا أبو جعفر الرودكى شاعر الدولة السامانية ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٣٢٩ ، ويروى أن بديع الزمان الهمذانى ٣٩٨ ، كان يجيد اللغتين ، فقد طلب إليه الصاحب بن عباد ٣٢٦ - ٣٨٥ ذات يوم أن ينظم له قصيدة فقال بديع الزمان : تفضل فاقترح على ماتريد فأنشد الصاحب ثلاثة أبيات بالفارسية ثم قال : ترجم هذه إلى العربية شعرا فقال بديع الزمان : تفضل فعين القافية التى تريدها ، فاختار الصاحب قافية الطاء ، فقال بديع الزمان هل تتفضل فتعين البحر كما تشاء ؟ فقال الصاحب أسرع يا بديع فى البحر السريع . فأنشد بديع الزمان على البديهة :

سرقت من طرته شعرة
حين غدا يمشطها بالمشاط
ثم تدلجت بها مسرعا
تدلج النمل بحب الخياط
قال أبى من ولدى منكما
كلاكما يدخل سم الخياط

ويروى أيضاً أن أبا الفتح ، البستى ٤٠٠ كان يجيد اللغتين كذلك فقد ذكر أنه ترجم إلى العربية بيتين فى الغزل نظمهما أبوشكور البلخى من شعراء الدولة السامانية . معناهما :

نظرت من بعدك أراك
فجرحت وجنتك ذات الحسن والملاحه
فنظرت بطرفك العليل فجرحت قلبي
وهذا عدل فإن الجروح قصاص

وهذه هى ترجمة أبى الفتح للبيتين :

رميتك عن حكم القضاء بنظرة
ومالى عن حكم القضاء مناص
فلما جرحت الخد منكم بمقلتى
جرحت فؤادى والجروح قصاص

وغنى عن البيان أن فى الترجمة شيئا من التعسف وسوء التعبير .

وقد ترجم بدر الدين الجاجرمى (من الطبقة الرابعة من شعراء الفرس) إلى الفارسية شعراً قصيدة أبى الفتح التى مطلعها :

زيادة المرء فى دنياه نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان

* * *

ومن مظاهر تأثر كل من اللغتين بالأخرى استعمال العرب لكثير من الكلمات الفارسية بعد تعريبها تبعا للقواعد التى ذكرناها من قبل ، واستعمال الفرس لعدد أكبر من الكلمات العربية فى لغة التخاطب ولغة الأدب فى كلتا الحالين .

أما الظاهرة الأولى فقد شاعت بين العرب فى القرن الأول الهجرى وبخاصة بين سكان الكوفة والبصرة والمدينة الذين اختلطت بهم جاليات فارسية كثيرة العدد ، فقد قيل : إن سيلا من التجار والصناع وغيرهم كانوا يردون البصرة والكوفة ، وسرعان ما كونوا مع أسرى الحرب الكثيرى العدد ذوى الأصل الفارسى أغلبية السكان .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

خليلي فرا من الدهخذا
خذ حذراً من وداده خذا
يكفي بسعد ونحسا هذا
وكل الخلائق منه كذا

فالدهخذا معناه : عميد القرية وبينه وبين وداده خذا جناس تام ، ويشير الشاعر في البيت الثاني إلى المعنى الأصلي للاسم ، دهخذا ، وهو عطية الله . ويقول : إن هذا الاسم على غير مسمى لأن العميد يسيء معاملة رعيته .(١)

ومما تأثر به الشعر العربي في الشرق الإكثار من ذكر عيدي ، النيروز : ٣/٢١ ، والمهرجان ٥/٢١ ، الذي يسمى رام روز ، أي يوم الرام .(٢)

يقول الثعالبي : ومن عجيب ما يروى عن أبي الطيب الطاهري أنه كتب إلى أخيه أبي طاهر الطيب بن محمد بن طاهر بكرة يوم الرام بهذين البيتين :

وإني والمؤذن يوم رام
لمختلفان في هذي الغداة
أنادي بالصبوح كه كيادا
إذا نادى بحي على الصلاة

وإذا بالرسول من أبي طاهر جاء برقعة فيها :

وإني والمؤذن يوم رام
لمختلفان في هذا الصباح
أنادي بالصبوح كه كيادا
إذا نادى بحي على الفلاح

وكان التقاء رسولهما بالرقعتين في منتصف الطريق ! (١)

وفي كل من الرسالتين نجد كلمتين فارسيتين هما كه = أن ، وكيادا أي كياده بمعنى الخمول أو الفشل ، فالمعنى : أنادي بالصبوح قائلا : خمولا أو حي على الخمول .

أما عيد النيروز فقد ورد ذكره في كثير من القصائد المسماة « بالنيروزيات » ، فمن ذلك قول أبي محمد الحسن بن علي بن مطران من نيروزيه :

قد أتاك النيروز وهو بعيد
مرّ من قبله قريبا وسيل
سل سبيلا فيه إلى راحة النـ
ـفس براح كأنها سلسبيل
وهدايا النيروز ما يفعل النا
س ولكن عديتي ما أقول(٢)

وأما الظاهرة الثانية وهي استعمال الكلمات العربية في الفارسية فأمرها بين ، فقد كانت القاعدة المقررة لدى أدباء الفرس هي أنه

---

[١] يتيمة الدهر : ٤٧ ، ٦٧ ، ٤/٧٦ .

[٢] رام : اليوم الحادي والعشرون من كل شهر هذا هو الأصل ، ولكنه اختص بالحادي والعشرين من سبتمبر ، أو بالملك الذي يشرف على هذا اليوم .

[١] اليتيمة : ٤/٦٩ .

[٢] اليتيمة : ٢٩ /٥

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يسوغ لكل أديب أن يقتبس فى نثره أو شعره ما يشاء أن يقتبس من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والحكم والأمثال بنصوصها العربية ، وأن يستعمل فى حديثه وكتابته ما يختار من ألفاظ اللغة العربية الفصحى .

ونكتفى أن نمثل لهذه الظاهرة من الشعر الفارسى بقول سعدى الشيرازى فى البوستان ٥٨٠ — ٦٩١ هـ : يمدح الرسول :

كريم السجايا جميل الشيم
نبى البرايا شفيع الأمم
إمام رسل پيشواى سبيل
أمين خدا مهبط جبرئيل
شفيع الورى خواجة بعث ونشر
إمام الهوى صدر ديوان حشر
چه نعت پسندد پده كويم
عليك السلام أى نبى الورا

ويقول حافظ الشيرازى ، ٧٩١ هـ ، فى مطلع قصيدة من غزلياته :

ألا يأيها الساقى أدر كأسا وناولها
كه عشق آسان نمود أول ولى أفتاد مشكلها

* * *

وقد تأثر الشعر الفارسى بنظام الشعر العربى الموزون المقفى ، وقد بينا فى القسم الأول من هذا البحث أن بهرام كور كان أول من أدخل هذا النظام فى الشعر الفارسى . غير أن أدباء الفرس لم يحاكوا البحور الشعرية العربية كما هى ، بل إنهم أدخلوا فيها بعض التعديلات ، فأطالوا بعضها فجعلوا الهزج من مفاعيلن ثمانى مرات ، والرجز من مستفعلن ثمانى مرات . والرمل من فاعلاتن ثمانى مرات أيضا ، وأهملوا الطويل والبسيط والوافر والكامل . واستحدثوا بحوراً أخرى أهمها المشاكل (: فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن) والجديد (= فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن) والقريب (مفاعيلن مفاعيلن فاعلاتن) . وأكثروا من اختصار « مفاعيلن » فى أول المصراع أو وسطه أو آخره فى بحر الهزج فجعلوه أخرم (= مفعولن) أو أخرب (= مفعول) أو أشتر (= فاعلن) أو أهتم (= فعول) .

وقد أكثروا من اتباع نظام الرباعى وهو من اختراعهم كما قلنا من قبل ، وكذلك المثنوى أو المزدوج وهو من اختراعهم ايضا ، وكانوا يلتزمونه فى الشعر القصصى كما فى الشاهنامه (٦٠ ألف بيت) للفردوسى (٣٢٣ — ٤١٦ هـ) ، والكنوز الخمسة (پنج كنج) للنظامى الكنجوى (٥٣٥ — ٥٩٩ هـ) وفى الشعر التصوفى كما فى حديقة الحكيم السنائى (٤٥٥ هـ) والمثنوى (٢٦ ألفا) لجلال الدين الرومى (٦٠٤ — ٦٧٢ هـ) .

حامد عبد القادر

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما التابعون فكانوا يسألون الصحابة عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء تابعو التابعين فسلكوا مسلك التابعين ، ثم جاء الأئمة فساروا مثلهم ، ولم يكن الأئمة يقدمون على النص شيئا ، ولو كانوا مقلدين لما اختلفوا فى فهم الأحكام التى لم ينص عليها من كتاب ولا سنة .

وكان الصحابة يذمون التقليد ، ويسمون المقلد الإمعة . قال ابن مسعود : (الإمعة الذى يحقب[1] دينه الرجال ، وكانوا يسمونه الأعمى الذى لا بصيرة له . والمقلدون أتباع كل ناعق يميلون مع كل صائح[2]) ، وقد سرد ابن القيم أقوال الأئمة فى التحذير عن التقليد إلا بعد معرفة الدليل فمن ذلك ، ما قاله مالك : (أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا فى رأيى : فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما لم يوافق فاتركوه) وقال عند موته : (وددت أنى ضربت بكل مسألة تكلمت فيها برأيى سوطاً على أنه لا صبر لى على السياط[3]) .

وقال الشافعى لأحمد : (يا أبا عبد الله أنت أعلم بالحديث منى ، فاذا صح الحديث فأعلمنى حتى أذهب إليه شاميا ، أو كوفيا ، أو بصريا[1]) وقال أحمد : (لا تقلد فى دينك أحدا)[2] .

أدلة المقلدين والرد عليها من كلام ابن القيم :

دليلهم الأول : قول الله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »[3] أمر سبحانه من لا علم له أن يسأل من هو أعلم منه رد عليهم ابن القيم بأن هذا دليل عليهم لا لهم لأن أهل الذكر هم أهل القرآن والحديث ، فتفسير الذكر بغير القرآن والحديث خطأ محض ، يوضح ذلك أن الصحابة كان يسأل بعضهم بعضا عما قاله الرسول أو فعله .

وكانوا يرجعون إلى أمهات المؤمنين فى فعل الرسول فى بيته ، وكذلك التابعون يسألون من قبلهم .

فأهل الذكر فى نظر المقلدين العلماء ، وسؤالهم تقليد لهم ولكن ابن القيم يرد عليهم بأن الذكر فى القرآن يراد به القرآن والسنة محتجا بالآية : « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة »[4] فالآية لا تدل على تقليد العلماء وإنما تدل على الرجوع إلى الكتاب والسنة .

(١) المحقب : المردف والمعنى أنه يسير وراء الرجال فى أحكام دينه

(٢) إعلام الموقعين جـ ٢ ص ٣٤٣ .

(٣) ارشاد الفحول للشوكانى ص ٢٤٩ .

(١) إعلام الموقعين جـ ص ٣٢٥ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٠٩

(٣) الآية ٤٣ النحل .

(٤) الآية ٣٤ الأحزاب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الدليل الثاني للمقلدين : أن عمر قلد أبا بكر في الكلالة ، فعن الشعبي أن أبا بكر قال في الكلالة : (أقضي فيها ، فإن يكن صوابا فمن الله . وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان ، والله منه بريء : هو ما دون الولد والوالد) فقال عمر بن الخطاب إني لأستحي من الله أن أخالف أبا بكر (١) .

رد عليهم ابن القيم بأنهم اختصروا هذا الحديث ، وحذفوا منه ما يبطل استدلالهم ثم ساق الحديث بتمامه وهو : (قال شعبة عن عاصم الأحول عن الشعبي أن أبا بكر قال في الكلالة : أقضي فيها برأيي ، فإن يكن صوابا فمن الله . وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان ، والله منه بريء : هو ما دون الولد والوالد) فقال عمر بن الخطاب : (إني لأستحي من الله أن أخالف أبا بكر) فاستحيا عمر من مخالفة أبي بكر في اعترافه بجواز الخطأ عليه وأنه ليس كلامه كله صوابا مأمونا عليه من الخطأ ، ويدل على ذلك أن عمر أقر عند موته أنه لم يقض في الكلالة بشيء وقد اعترف بأنه لم يفهمها ، ولو سلمنا جدلا أن عمر قلد أبا بكر فالبون شاسع بين أبي بكر وبين من قلدتموه ، على أن تقليد عمر لأبي بكر في مسألة لا ينهض حجة على اتخاذ أقوال رجل بعينه بمنزلة النصوص ، ولا يلتفت إلى سواها (١) .

دليلهم الثالث : أن الصحابة كانوا يفتون ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي بين أظهرهم ، وهذا تقليد لهم قطعا إذ قولهم لا يكون حجة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم (٢) .

قال رحمه الله ردا عليهم : قولكم كان الصحابة يفتون ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي بين أظهرهم ، وهذا تقليد من المستفتين لهم ، جوابه : أن فتواهم إنما كانت عن الله ورسوله وأنهم كانوا بمنزلة المخبرين فقط ولم تكن فتواهم تقليداً لرأي فلان وفلان وإن خالفت النصوص فهم لم يكونوا مقلدين في فتواهم ، ولا يفتون بغير النصوص ، ولم يكن المستفتون لهم يعتمدون إلا على ما يبلغونهم إياه عن نبيهم فيقولون : أمر بكذا وكذا ، ونهى عن كذا ، هكذا كانت فتواهم فهي حجة على المستفتين كما هي حجة عليهم ، ولا فرق بينهم وبين المستفتين لهم في ذلك إلا في الواسطة بينهم وبين الرسول وعدمها (٣) .

الحيل باسم الدين ومحاربتها :

يذكر ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين أن الحيل ما هي إلا تلاعب بالدين لأنها تحل

(١) إعلام الموقعين جـ ٢ صـ ٨٣٠ .

(١) نفس المرجع صـ ٦ ، ٣ ، ٧ .
(٢) إعلام الموقعين جـ ٢ صـ ٣ ، ٣ .
(٣) إعلام الموقعين جـ ٢ صـ ٣٣٧ : ٣٣٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحرام وتسقط الحقوق ، وأن فيها مخادعة لله ولم تظهر إلا بعد الصحابة ، وظلت شرذمة قليلة تحبذها ، ولكنها كانت من القلة بمكان فلا يقام لها وزن ولا يسمع لها قول ، حتى جاء المصلح الكبير ابن تيمية وبعده تلميذه ابن القيم فاعتبراها خروجا على الدين ، ومجافية للعقل السليم ، وقضاء على المصلحة المقصودة من التشريع . فمثلا فسخ النكاح يثبت للمرأة إذا ظهر عيب من العيوب التي نص عليها الفقهاء عند الرجل كالعنة [1] ، والجنون ، والبرص ، والجذام ، والجب [2] . فإن للمرأة فسخ النكاح بسببها ، ولكنها تحتال على الفسخ بطريقة أخرى من تشريع الشيطان ، فتلجأ إلى الارتداد عن الدين لتفسخ النكاح وبالعكس ، كذلك أكل الصائم في نهار رمضان إذا أراد وطء زوجته نهارا ليسقط الكفارة عن نفسه ؛ لأن من يفطر بوطء زوجته عامداً يلزمه عتق رقبة مؤمنة ، فإن عجز فصيام شهرين متتابعين ، فإن عجز فإطعام ستين مسكينا .

فهذا المحتال يقصد إلى التخلص من هذه الكفارة ؛ لأنه يعتبر مفطرا بتناول الطعام لا بالجماع ، ومن الحيل أيضا إقرار المريض بأن ماله كله أو بعضه لأحد الورثة أو للذكور دون الإناث ، يقصد بذلك حرمان البعض من الميراث ، ومنها التحايل على إسقاط الشفعة باتفاق البائع والمشترى على الثمن قبل العقد ، وعند العقد يعطى المشترى البائع صرة غير موزونة فلا يعرف الشفيع مقدار ما يدفع ، ويرى ابن القيم أن هذا فيه تفويتا لمقصود الشرع ؛ لأن الجار أحق بالمبيع من المشترى بثمنه ، وعلى هذا فلا يسقط حقه بهذا الخداع .

ومما ذكره من الحيل كذلك التحايل على إسقاط حد السرقة بدعوى الملكية ، فيدعى السارق أن المسروق ملكه ، وبدهى أنه لو أخذنا بهذه الحيلة لادعى الكثيرون هذا الادعاء الباطل ، ولعطلت الحدود التي فيها زجر للنفوس من الغى ، ومحافظة على أموال الناس ونفوسهم وأعراضهم ، وأعظم من هذا وذاك حيلة تحليل المرأة لزوجها ، فإن المقصود من زواج المرأة المطلقة ثلاثا أن تأخذ درسا في الحياة وتعلم الفرق بين الحياتين حياة الزوج الأول ، وحياة الزوج الثاني ، حيث لم ينفعها الطلاق الأول الذي هو بمثابة إنذار أول ، والطلاق الثاني الذي هو بمثابة إنذار ثان ، وبدهى أنه لا يتحقق هذا المعنى إلا إذا تزوجت بآخر زواجا شرعيا يقصد به بناء أسرة ، لا هذه المتعة الرخيصة التي ليست

---

(١) العنه بضم العين وتشديد النون : مرض يسبب الضعف الجنسي عند الرجل .

(٢) الجب بفتح الجيم : قطع جميع الذكر أو بعضه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المقصد الأسمى للزواج ، ولقد أفاض ابن القيم الحديث فى بيان أضرار هذه الحيلة ، ومما قاله فى كتاب إعلام الموقعين : التحليل من أقبح القبائح ، ومن أعظم الفضائح ، وهو عمى فى عين الدين ، وشجى فى حلوق المؤمنين ، لعن رسول الله فاعله ، وتوعده بالرجم ، إلى أن قال : لعمر الله كم أخرج التحليل مخدرة من سترها إلى البغاء ؟ .

وقد سبقه فى ذلك شيخه ابن تيمية فألف فيه كتابا سماه : « إقامة الدليل على بطلان التحليل . أبطل فيه جميع الحيل التى شاعت فى الناس باسم الدين ، والأضرار التى تنجم منها . وقد نهج ابن القيم منهج أستاذه فقال فى إعلام الموقعين : الحيل حرام من وجوه :

أولا : أنها مضادة لحكم الله ، ومفوتة لما يقصده الشرع الشريف .

ثانيا : فيها تحليل ما حرم الله

ثالثا : فيها الخداع الذى نهى عنه الدين ، وقد جاء فى الحديث الصحيح على شرط الشيخين - أن رجلا جاء إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا فتزوجها أخ له من غير مؤامرة ليحلها لأخيه ، هل تحل للأول ؟ قال : لا إلا نكاح رغبة . كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسئل أيضا ابن عباس فقيل له : (إن عمى طلق زوجته ثلاثا ، أيحلها رجل ، فقال : (من يخادع الله يخدعه) وصح عن أنس ، وعبد الله بن عباس أنهما سئلا عن العينة[1] فقال : إن الله لا يخدع ، هذا مما حرم الله ورسوله) والعينة : حيلة باطلة يتوصل بها إلى حل الربا ، وصورتها أن يبيع تاجر سلعته بثمن إلى أجل فى زمنه ، ثم يشتريها منه بأقل من ذلك الثمن نقدا وهكذا ونحن لسنا بصدد تعداد الحيل حتى نستوعبها ولقد اعترف ابن القيم فى كتابه أنه لو تتبع جميع الحيل لطال الكتاب . ولكنه اكتفى بأمثلة ليتحقق القارئ أن الحيل أضرارها خطيرة وفيها قلب للأوضاع وتلاعب بالدين .

النصوص الدالة على بطلان الحيل :

جاء فى إعلام الموقعين أيضا أن اليهود حرم الله عليهم الصيد يوم السبت امتحانا لهم فمن عليهم الحرمان من الحيتان التى تأتيهم يوم السبت وتنقطع فى غيره ، فتحيلوا على صيدها بنصب الحبائل يوم الجمعة فصنعوا بركا قبل السبت لينزل السمك فيها فإذا كان يوم الأحد أخرجوا السمك وقد ظنوا أنهم قد تخلصوا من عقاب الله تعالى لهم ولكن الله عاقبهم شر عقاب حيث مسخهم قردة وأبعدهم من رحمته . مصداق ذلك قول الله تعالى :

« ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين [2] » وقال :

(١) العينة بكسر العين وفتح الياء والنون السلف

(٢) آية البقرة ٦٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت (١) » وقال : « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون(٢) » .

وهذا النص من القرآن الكريم يصفع ناصية المحتالين ويرتدهم على أعقابهم خاسرين أما من السنة فحديث :

(إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه(٣)) استدل ابن القيم على بطلان الحيل بهذا الحديث فالجملة الأولى : (إنما الأعمال بالنيات) تفيد أن العمل لا يصح إلا بالنية ، والجملة الثانية : (وإنما لكل امرئ ما نوى) تفيد أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه . وهذا يعم العبادات والمعاملات . والأيمان والنذور وسائر العقود ، والأفعال . وهذا دليل على أن من نوى الربا بالبيع حصل له الربا ولا يعصمه عن ذلك صورة البيع ، وأن من نوى بعقد النكاح التحليل كان محللا ، ولا يخرجه عن ذلك صورة عقد النكاح ، لأنه قد نوى ذلك ، وإنما لكل امرئ ما نوى .

فالمقدمة الأولى معلومة بالوجدان ، والثانية بالنص . فإذا نوى بالعصير حصول الخمر كان له ما نواه ، ولذلك استحق اللعن ، وإذا نوى بالعقد التحليل على ما حرمه الله ورسوله كان له ما نواه . والدليل على أن القصد والنية معتبران من الكتاب والسنة ما يأتي : — قال تعالى : « وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا(١) » .

وقال تعالى : « ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا(٢) » فنطوق هاتين الآيتين الكريمتين أن الرجعة شرعت لمن قصد الصلاح دون الإضرار .

وقال تعالى : « من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار (٣) » فالوصية تنفذ إذا لم يقصد بها الإضرار بالورثة .

وجاء في السنة ما يأتي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صيد البر لكم حلال وأنتم حرم مالم تصيدوه او يصد لكم) يفيد

(١) ٤٧ النساء
(٢) آية الأعراف ١٦٣ .
(٣) البخاري عن عمر بن الخطاب .

(١) آية البقرة ٢٢٨
(٢) آية البقرة ٢٣١ .
(٣) النساء ١٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحديث أنه يحرم على المحرم الأكل من صيد الحلال إذا صاده له صائد فقصد تحليل الصيد للمحرم حرم الصيد على المحرم .

ومن حديث أبي هريرة (... ومن استدان دينا ينوى ألا يقضيه فهو سارق) فنيته عدم الأداء حرمت عليه الأخذ ، وكذلك جاء في حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تزوج امرأة بصداق ينوى ألا يؤديه إليها فهو زان) فدل الحديث على أن المتزوج إذا قصد عدم أداء الصداق كانت زوجته حراما عليه ، فالنية جعلت النكاح زنا والدين سرقة .

كذلك لا يقع الطلاق إلا باللفظ والإرادة أعني إرادة التكلم والقصد والمعنى ، فلو لم يعرف المعنى أو لم يقصد بأن كان مكرها لم يقع طلاقه بخلاف الهازل ، لأنه قاصد التكلم . ويستدل ابن القيم على ذلك بأن الله تعالى رتب الأحكام على الألفاظ لدلالتها على قصد المتكلم بها وإرادته ، فإذا قصد الكلام ولم يقصد المعنى ولم يقصد مخالفة ما التزمه ، ولا الحنث فلا يقع ، بل قد رفع المؤاخذة عنه بما لم يقصده .

الذرائع :

يرى ابن القيم أن كل ما أفضى إلى المحرم فهو محرم ، وكل ما أفضى إلى المكروه فهو مكروه ، وضرب لذلك أمثلة في إعلام الموقعين وغيره منها : نهى النبي صلى الله عليه وسلم المرأة إذا خرجت إلى المسجد أن تتطيب ، لأن في ذلك إغراء للرجال ، كما أمرها ألا تسافر أو تختلط بالرجل إلا إذا كان معها محرم أو زوج ، ومنها ألا يجمع في النكاح بين الأخت وأختها ، وبين المرأة وعمتها أو خالتها أو بالعكس ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : (إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم) .

ومنها قول الله تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم »(١) فسب الآلهة مباح ، ولكن نهى الله عنه لأنه يفضي إلى محرم وهو سبهم لله ، وكذلك كل ما يفضي إلى الظنون السيئة ، كالخروج من المسجد حين الأذان ، والجلوس مع الأشرار وفي هذا جاء الحديث الشريف (من سلك مسالك التهم اتهم ولا أجر له) وفي عهد عمر ابن عبد العزيز أتي له بجماعة شربوا الخمر ليقام عليهم الحد وفيهم رجل لم يشرب معهم فأمر عمر رضي الله عنه أن يبدأ به ، وقال أولم يقرأ قول الله تعالى « فلا تقعدوا معهم »(٢)

منزلة السنة من القرآن عند ابن القيم :

يرى ابن القيم أن السنة موافقة للقرآن من

(١) آية الأنعام : ١٠٨ .

(٢) آية النساء : ١٤٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من كل وجه ، فتارة تؤيده أو تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيراً له ، أو تبين حكما سكت القرآن عن إيجابه أو تحريمه ، فإذا ما جاءت السنة بما يفيد التعارض ، فإن أمكن التأويل وذهبت المعارضة فذاك ، وإلا فليضرب عن السنة صفحا حيث إنها عارضت القرآن المتواتر ودلت دلالة واضحة على أنها لم تثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأن القرآن والسنة خرجتا من بين شفتيه عليه السلام . وقد أثرت عن الرسول أحاديث كثيرة تفيد أن السنة تزيد عما فى الكتاب . روى المقدام بن معد يكرب عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السباع) .

وفى لفظ آخر : (يوشك أن يقعد الرجل على أريكته فيحدث بحديثى فيقول : بيننى وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله) قال الترمذى : حديث حسن ، وقال البيهقى : إسناده صحيح . ومن اطلع على السنة يرى كثيراً من الأحكام مفصلة لما فى الكتاب ، من ذلك : مقادير الزكاة وأنصبتها ، كيفية الصلاة ، نكاح المرأة على بنت أختها أو بنت أخيها ، تحريم الرضاع كتحريم النسب ، الشفعة ، توريث الجدة ، منع التوارث بين المسلم والكافر ، وتوريث بنت الابن الذى مع البنت ...

تصوف ابن القيم :

كان ابن القيم متصوفا ، وكان تصوفه وسطا بين الإفراط والتفريط ، فلم يغل غلو ابن العربى ومن على شاكلته ، ولم ينزل إلى التقصير كما عليه بعض المتصوفين من جهلة اليوم ، فهو يرى أن التصوف الحق هو العمل بالكتاب والسنة ، ونص على هؤلاء الذين جعلوا للشريعة ظاهرا وباطنا ، وأسقطوا التكاليف عمن وصل إلى علم الحقيقة وأنه ليس هناك خلق منفصل عن الله تعالى ، بل الله تجلى فيه وظهر ، وهذا ما يسمى بوحدة الوجود ، لهذا كان يحيد طريقة المتصوفين القدامى ، ويثنى عليهم ثناء مستطابا مثل على ابن أبى طالب ، والحسن البصرى ، ومعروف الكرخى ، والجنيد وسفيان الثورى وأبى عثمان النيسابورى ، ومن أراد أن يعرف التصوف الحق فليطلع على كتابه (مدارك السالكين) شرح كتاب منازل السائرين للهروى وهو من أنفس كتب التصوف .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شهادة العلماء له :

قال عنه ابن حجر : كان جرىء الجنان ، واسع العلم عارفا بالخلاف ، ومذاهب السلف وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ، بل ينتصر له فى جميع ذلك ، وقد هذب كتبه ، وقال : وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله تعالى حتى يتعالى النهار ويقول : هذه عدوتى لو لم أقعدها سقطت قواى ، وكان يقول بالصبر والفقر تنال الإمامة فى الدين ، وقال القاضى برهان الدين الزرعى : ما تحت أديم السماء أوسع علما منه اه .

وإجمال القول أن ابن القيم كان من الشخصيات الإسلامية التى أخلصت لله ، وأفنت حياتها فى الدعوة إلى صحيح الإيمان فجزاه الله خيرا بقدر إخلاصه فى الدين ، وما سدى للإسلام من جميل ؟

ابراهيم عبد الباقى
من علماء الأزهر

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

طرائف

كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكى ، فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر ، قال زياد بن عمرو : يا أمير المؤمنين إن الحجاج سيفك الذى لا ينبو ، وسهمك الذى لا يطيش ، وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم ! فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه .

* * *

قال أسماء بن خارجة الفزارى : لا أشاتم رجلا ، ولا أرد سائلا ، فإنما هو كريم أسد خلته ، أو لئيم أشترى عرضى منه .

* * *

وقال سهل بن هارون : يجب على كل ذى مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها ، كما بدىء بالنعمة قبل استحقاقها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عندنا وعندهم :

الرأى العام فى الاسلام

للأستاذ محمد رجب البيومى

ينظر بعض المفكرين فى أوربا إلى الرأى العام نظرة مريبة فهو فى رأيهم آلة تسخرها الدعاية وتسيرها العاطفة دون تعمق فى أسباب أو ارتقاب إلى نتائج ، والكاتب اللبق يستطيع فى منطق هؤلاء أن يحول الجماهير عن رأى صائب إلى رأى مخطئ بما ينمق من خيالات ، وقد يكون هذا القول منطبقا على ما نشاهده فى التاريخ الأوربى المعاصر ، فهو يقدم لنا من ألوان الاحتيال على الحقائق ، وأفانين التهجم على القيم ما يدفعنا إلى إساءة الظن بالرأى العام الأوربى مهما يزعم لنفسه من تقدم وتثقيف ، فنحن نجد المعسكرين : الديمقراطى والشيوعى كليهما يقدسان فى ظواهر الأقوال مكانة الرأى العام ، ولكنك تجيل العين الفاحصة فتجد كل معسكر يخضع لساسة محترفين يوحون بالفكرة الفردية بادئ ذى بدء ، ثم يعبئون شتى الجهود اللسانية والقلمية للدعاية لها حتى تصبح بين يوم وآخر أمراً بدهيا لا يقبل المعارضة ، ويندفع الرأى العام هناك لتأييدها مطالبا متسرعا وكأنها قد انبعثت من أعماقه ، غافلا عما يكون بها من مآخذ تستأهل المراجعة ، وقد كان وجود المدرسة النازية فى ألمانيا معلما أول يلقن أساليب الدعاية والتمويه ، فاندفعت الدول الأخرى إلى تطبيق نظرياته . واستلهام مذاهبه ، وأصبح كتاب الدكتور جوزيف جوبلز (نضيبى فى كفاح ألمانيا) دستوراً محترما فى واقع الأمر لدى الأوربيين ، وإن تظاهروا بالنقمة عليه ، والبعد عن اتجاهاته ، والحق أن الدكتور جوبلز وزير الدعاية الألمانى كان عجيباً جداً فى بابه . وما نحسب أن دولة من الدول وهبت داعية عظيما فى مثل ملكته وكفايته ، فقد فرض عليه هتلر أن يضع برنامجا لتعليم الشعب الألمانى تعليما من شأنه أن يجمع كل القوى المؤثرة فى الشعب فى يد واحدة مطلقة السلطة والتصرف ، وجوبلز يقول بصدد ذلك : (لقد ألقى على عبء هذا العمل ، إنه ميدان فسيح تتجاوز حدوده مقدرة كل إنسان ، إنه عمل هائل يتطلب تحقيقه إنفاق العمر فى جهد متصل ، وصبر عظيم ، ويتطلب قوة ذهنية جبارة ومقدرة تامة على إدارة وسائل الدعاية الحديثة . إدارة تشمل الشعب جماعة جماعة وفردا فردا) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد ذهبت الغازية ، وبقى أعداؤها ليسيروا على نهجها فى غسق الليل ، زاعمين أنهم يقتنون منها على طرفى نقيض ، وقل لى بربك كيف يوافق الرأى العام المثقف فى أمريكا وإنجلترا وفرنسا على فظائع الاستعماريين فى تونس والجزائر ، وإبادة آلاف الضحايا ، كما وافق من قبل على تشريد أمة عربية شهيدة دون أدنى جريرة !! كيف يوافق الرأى العام الأوربى والأمريكى على هذه الفظائع الدامية إن لم تكن أساليب الدكتور جوبيلز فى الدعاية هى الدستور الأعظم لقادة هذه الشعوب !.

لسنا نتجنى على الرأى العام فى أوربا الديمقراطية حين ننص على أنه قد فقد حريته الطبيعية وأصبح آلة مسخرة تديرها الدعاية كما تشاء ، فهناك عشرات من المفكرين الديمقراطيين يعلنون هذا الواقع الشائن فى مرارة ، وها هو ذا الدكتور لويلز الأستاذ بجامعة كونتجن يجهر بذلك فى صراحة إذ يقول : « وفى الواقع لقد ابتعد الرأى العام فى دول الأحزاب الديمقراطية عن أن يكون التعبير الصادق فى المجتمع الحر . ويظهر ذلك من ملاحظة أن المبادئ الحرة فى هذا البلد - يريد انجلترا - قد احتفظت بقوتها أكثر من أى بلد آخر ، ولكن رغم ذلك ترى كيف أخذ الرأى العام تحت الضغط الآلى ، والسيطرة الجماعية يميل ليصبح أكثر فأكثر نوعا غير منتظم الشكل يخضع لتيارات الأفكار التكتلية ، وبهذا غدا الرأى العام الجماعى الذى فقد القوة المعبرة والكفاءة واقعا تحت تصرف أولئك الذين يديرون المجتمع (١) » .

وطبيعى أن يبحث الكاتب وأمثاله من المفكرين عن علاج ناجع لهذا الداء الخطير ، ليرد على الرأى العام ما فقد من ضعفه ، فيصبح كما تتخيله مثلهم الفكرية أمينا مخلصا يهدف إلى الكرامة والحرية والمساواة !! وقد أجهد الأستاذ ليبولز فكره منقيا عن هذا العلاج حتى اهتدى إلى القيم الروحية فهى التى تفعل ما لا يفعل القانون ، وتصون ما لا تصون التقاليد المتوارثة . وإنه ليؤكد ذلك مكررا معاودا ، فيقول فى استنتاج متعقل : (وقد أظهرت اختبارات القرن الماضى هبوط كل محاولة لبناء سياسى جديد على أسس إنسانية محضة ، وثبت أن انبعاث الروح الحقيقى يكون عن طريق أولئك الذين يجمعون تجاربهم من موارد روحية عميقة) . وهنا موضع العبرة من كلام الرجل ، فإن تكوين رأى عام عن طريق القيم الروحية قد وجد تطبيقه العملى فى الإسلام وحده ، ونجح نجاحا هائلا تتتابع دلائله فيما سطره المؤرخون شرقا وغربا عن حياة الإسلام الأولى فى عهده الخالص المخلص ، ونحن نقول : إنه وجد تطبيقه العملى فى الإسلام وحده ، لأن المسيحية لم تضع قوانين المعاملات ، ونظم التعاقد والترابط فى كتاب مقدس

(١) ترجمة الأستاذ فؤاد طرزى ببغداد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لتكون معروفة مؤكدة لا يختلف فيها اثنان ، بل اتجهت إلى التهذيب الروحي والتطهير الوجداني مكتفية بقوانين المجتمع الروماني ، أما الإسلام فقد عالج أمور الدولة وسن شرائع الناس ثم فرض اتباع تعاليمه فرضا ملزما فسار وراءها الرأى العام المسلم قبل أن تتجه إليه معاول التخريب .

وتاريخ الحقبة الأولى من حياة الإسلام شاهد لا يخطئ ، فقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم والعرب أحرار لا تجمعهم غير التقاليد الموروثة المتباينة ، فحمل إليهم رسالة العدالة والمساواة والإخاء والحرية ، وبلغ الناس كتابا يجمع ما أمر الله به أن يفعل ، فأصبح القرآن دستورا جامعا ، وإماما هاديا ، وبذلك كون رأيا عاما يتمسك بأهدابه فيعتصم بفضائله ويخالف مناهيه ، وأصبح كل مسلم يختط طريقه فى الحياة على هديه ، فإذا أطاع أمير المؤمنين فهى طاعة الله لا فى معصيته ، وإذا عامل رئيسه أو مرءوسه فهى نطاق شريعة مقدسة مدروسة ، فلو نعق ناعق بما يخالف آية كريمة أو يعارض أثرا نبويا تحداه الرأى العام الإسلامى أن يأتى بدليل قرآنى يقف له ! وهكذا تكون الرأى العام فى ضوء ساطع من القيم الروحية ، وفى هدى واضح من كتاب الله ، وإنه ليحدد مكانة الأمة الإسلامية وواجبها الشرعى فيقول فى جلاء : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ، ويندى باللائمة على بنى إسرائيل لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، كما يذم المنافقين ذما شائنا لأن بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، ويقبضون أيديهم .

وقد جاءت أفعال الرسول - وهو المثل الأعلى للإنسان فى الإسلام - وأقواله شارحة وموضحة لأوامر الكتاب فى تكوين رأى عام مستنير يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، والرأى العام حينئذ هو مقياس الترجيح وأداة الحكم ، تصدر الأمة عن رأيه ، وتنبعث قوانينها من هداه .

روى ابن عساكر عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : (قال رجل يارسول الله متى أكون محسنا ومتى أكون مسيئا ؟ فقال : إذا أثنى عليك جيرانك أنك محسن فأنت محسن . وإذا أثنى عليك جيرانك أنك مسىء فأنت مسىء) !!

وروى البخارى عن حرملة رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما تأمرنى به أعمل ، فقال : ائت المعروف ، واجتنب المنكر ، وانظر ما يعجب أذنك أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فائته ، وانظر الذى تكره أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فتجنبه .

وروى البيهقى فى الشعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه . ولا تقفن عند رجل يضرب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه) .

وقال أيضا فيما رواه البخارى عن النعمان ابن بشير ، مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأخذ كل واحد منهم نصيبا ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء يمرون به على الذين فى أعلاها ، فتأذى الذين فى أعلاها بالماء عليهم ، فقال الذين فى أسفلها : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فأخذ أحدهم فأسا ، فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه ، فقالوا مالك ؟ قال تأذيتم بى ، ولا بد لى من الماء ، فإن أخذوا على يديه ومنعوه أنجوه ، ونجوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم » .

فى ضوء هذه المبادئ الصريحة قرآنا وحديثا تكون الرأى العام الناضج فقال أبو بكر رضى الله عنه فى أول خطبة له : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم » وقال عمر بن الخطاب « من رأى منكم اعوجاجا فىّ فليقومه ! فرد عليه أحد المستمعين « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فوافقه عمر وأيده !! وهكذا أصبح كل مسلم رجل سياسة مفهومة ، تتغلغل فى أعماقه ، فهو يلتزم حد الله فيما يأتى ويدع .. وأصبح الرأى العام الإسلامى إذ ذاك حقيقة واقعة يسيطر عليها القرآن ، وتجمعها روح الإسلام ...

ولو قدر للفكرة الإسلامية أن تطرد على سوائها المستقيم بعد النبوة والخلافة الراشدة ، لسعد بها المسلمون ، ولكنها انتكست على يد معاوية حين أخذ البيعة ليزيد ، فرغب ورهب ، وقارب وباعد ، وأسكت الأفواه بالمال تارة وبالزجر تارة أخرى ، فأخذ الرأى العام الحر ينحسر ويتقلص ، وأصبح المخالف الجرىء يهتف فى أذن العاصى الغوى بالآية الحاسمة والأثر القاطع فلا يجد السميع ، ثم جاء الخلفاء من بعده فنهجوا نهجه — إلا قليلا ممن عصم الله — فانطفأت جذوة الغيرة على توالى المحن ، وتكون رأى عام آخر يقبل الضيم ويستنيم المنكر وه !! ولك أن تقرأ هاتين الحادثتين لتوازن بين عهدين متنافرين اجتمع فيهما الرأى العام على مبدأين متناقضين ، فعملت كلمته فى عهد ، وخبت ريحه فى عهود .

١ — كان عمر بن الخطاب يقسم بعض الغنائم فنقده بعض الحاضرين ، فصاح صائح بالناقد : اتق الله فإنه أمير المؤمنين !! فقال عمر : دعه فلا خير فيكم إن لم تقولوها فينا ، ولا خير فينا إن لم نتقبلها منكم .

٢ — خطب أبو جعفر المنصور فقال : أيها الناس اتقوا الله ، فقام إليه رجل من عرض الناس ، فقال : أذكرك الله الذى تذكرنا به يا أمير المؤمنين ، فرد أبو جعفر : سمعاً لمن ذكر بالله ، وأعوذ بالله أن أذكر به فأنساه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتأخذني العزة بالإثم . وأما أنت ، فوالله ما الله أردت بها ، ولكن ليقال : قال فعوقب فصبر ، وأهين بها فلم ينتصر . وإنا أحذركم أيها الناس أمثالها فإن الموعظة علينا نزلت ومنا أخذت .

فقوة الرأي الحر الملزم تتجلى بوضوح في عهد الخليفة الراشد وتتضاءل في انكماش في ظل المتجبرين من الورثة ، والمدلين بالنسب ، ونحمد الله أن تقدم بنا الزمن فمضت عصور الاستبداد إلى غير رجعة ، وعاد المسلمون إلى دينهم يحفظون قرآنه ، ويتفهمون حديثه ، ويقرءون تاريخه ، وما أحراهم أن يكونوا رأيا عاما إسلاميا تجتمع كلمتهم عليه ، دون تراجع ونكوص .

على أن أشد ما يمنى به الرأي العام من أخطار هو أن يصاب بأبالسة يحرفون الكلم عن مواضعه فلا يعمدون إلى الصراحة في فرض أفكارهم الخاصة . وأهوائهم الشخصية بل يقصدون إلى القضايا المسلمة ، والحقائق المتعارفة ، فيشرحونها على غير وجهها ، ويحملونها ما لا تطيق من الاتجاهات ، والجمهور لا يفطن إلى الوجه الصائب ، وقد يجوز ذلك بكثرة في القوانين الوضعية والمسلمات التقليدية . ولكنه يصعب كثيراً في دستور حكم فسرت آياته الكريمة في شتى المراجع على توالي العصور ! واشتهرت منازعه اشتهاراً ظاهرته السنة المتداولة ، وأيده واقع التاريخ الإسلامي في عهد الخلفاء بشتى عظاته ومثله . لأنه وجد في كل جيل من يرسم الطريق الواضح على هديه ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ! ! وإن ضاعت صيحاتهم بددا في خضم المتجبرين ، ولكنه ضياع مؤقت لا يلبث أن ينشد نفسه ، أما الزبد فيذهب جفاء . فالرأي العام الإسلامي يعرف مصادر وحيه ، ومصابيح هدايته ، وله إحساس يلهمه وجه الحق فيما اشتبه من الدليل ، والتبس من القول ، ولديه مراجعه المتوارثة على الأجيال من خلاصة التفاسير ، ولباب الأحاديث ومعتمد الكتب والنصوص ، فإذا حاول محاول ما أن يخدعه عن طريق الحق فلن يستطيع المسير ، لا سيما في عصر مدني كهذا العصر تعددت فيه ألوان المعارف ، وتيسرت سبل التحصيل . ولا أظن رأيا عاما آخر لا يستند في قيمه الخلقية ومعاملاته الشخصية . إلى كتاب واضح محكم ، يستطيع أن يجد من حرارة الإيمان ما يجده الرأي العام الإسلامي في دفاعه عن المقدسات والذخائر ، وإذا كان المستنيرون من دارسي التاريخ الإسلامي يأسفون لانحراف حكامه حقبا طويلة عن طريق الحق ، فإن العهود الحديثة أصبحت تستشرع هذا الانحراف ولا تصبر عليه ، وتتطلع إلى عهود المساواة والأخوة والحرية في شوق عظيم ! ! وقد سارت الجمهورية العربية شوطا حميدا في هذا الطريق وإنا لنرجو أن تلحق بها أخواتها عن قريب .

محمد رجب البيومي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اللغة العربية في إفريقيا

للأستاذ جلال عباس

أخذت اللغة العربية تنتشر في أقطار القارة الإفريقية منذ الفتح العربي ، وقد امتدت خطوط هذا الانتشار مع الفتح العربي الذي صحبته هجرات من القبائل العربية في الشرق والغرب ، فوصلت إلى خط العرض الخامس شمال خط الاستواء في غرب القارة ، كما امتدت معرفة اللغة العربية واستعمالها في شرق القارة إلى الداخل حتى حدود الكنغو والمناطق الشرقية منه ، وطبيعي أن انتشار اللغة العربية وعدد المتكلمين بها يقل تدريجيا كلما بعدنا عن مراكز إشعاع العروبة وتأثيرها في شمال القارة وشرقها ، ففي مناطق إفريقيا الغربية يقل عدد المتكلمين بالعربية تدريجيا كلما اتجهنا جنوبا تجاه ساحل غانا ، وفي الشرق يقل انتشارها كلما توغلنا بعيدا عن ساحل المحيط الهندي نحو الغرب في المناطق الداخلية.

عوامل انتشار اللغة العربية في إفريقيا :

ولقد ساعد على انتشار اللغة العربية في القارة الأفريقية عوامل متعددة أهمها :

١ — هجرات القبائل العربية مثل بني هلال وبني سليم والفزارة في غرب القارة ، وأبناء اليمن وجنوب الجزيرة العربية وعمان إلى الساحل الشرقي للقارة. واختلاط هذه الجماعات بشعوب تلك المناطق .

٢ — اعتناق الشعوب الإفريقية للإسلام وشعورها بالحاجة إلى تفهم القرآن والأحاديث النبوية الشريفة دفعها إلى تعلم اللغة العربية في الكتاتيب والخلوات العديدة التي انشأها فقهاء مسلمون هاجروا إلى تلك البلاد من مصر والحجاز أو من المغرب من أجل الدعوة للإسلام ونشر تعاليمه الصحيحة بين معتنقيه من القبائل الإفريقية .

٣ — تعدد اللغات الإفريقية وصعوبة التفاهم بها بين القبائل وبخاصة في المعاملات التجارية جعل هذه الشعوب تقبل على اللغة العربية كلغة يمكن بها تحقيق التفاهم الكامل بينها.

٤ — انتشار التجار العرب في الأسواق التجارية ساعد على تعلم الكثير من الإفريقيين لها ليسهل التعامل مع هؤلاء التجار العرب .

وبلغت قوة تأثير اللغة العربية في القارة الإفريقية أن اللغات الأصلية القوية العظيمة الانتشار مثل لغة الهاوسا ولغة الماندنجو ولغة الوولوف في غرب القارة وكذلك اللغة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السواحلية فى شرق القارة واللغة الصومالية فى منطقة القرن الإفريقى ولغات التيجرة والدناكل فى أثيوبيا وأريتريا ، كل هذه اللغات استعارت الكثير من الألفاظ العربية نتيجة للاحتكاك بالعرب من جهة ونتيجة لاعتناق أبنائها الإسلام من جهة أخرى ، واتخذت هذه الألفاظ العربية التى دخلت اللغات الإفريقية إحدى صورتين :

الأولى : أنها تحورت بحيث تنطبق عليها قواعد التركيب اللفظى للغة الإفريقية كما حدث فى اللغة السواحلية ، وكذلك فى أكثر من نصف الألفاظ التى دخلت لغة الهاوسا .

والثانية : أنها احتفظت بشكلها العربى الخالص ، وهذه تمثلها الألفاظ التى تتعلق بشئون الدين والشرائع والنظم الإسلامية التى سادت فى المجتمعات التى اعتنقت الإسلام وتتكلم هذه اللغات مثل الهاوسا والفولا والمندنجو والوولوف فى غرب القارة .

وليس معنى انتشار الألفاظ العربية فى اللغات الإفريقية أن تيار التعريب قد وقف عند هذا الحد ، ولكن على العكس فإن ذلك يدل على أن عملية امتصاص تدريجى كانت تسير بخطى حثيثة وبعمق متجهة إلى تحويل هذه اللغات إلى لهجات عربية خاصة بأصحابها ، كما حدث بالفعل فى غرب السودان حيث استطاعت القبائل العربية التى هاجرت إلى تلك المناطق أن تمتص الشعوب التى سبقتها وتحول اللغة فى تلك البلاد إلى لهجة عربية خاصة .

موقف الاستعمار من اللغة العربية :

أخذ تيار العروبة الذى كان يزحف بخطى حثيثة إلى قلب القارة الإفريقية يتعثر أو يتوقف منذ أواخر القرن الثامن عشر نتيجة للاصطدام بالاستعمار الأوروبى ، ونتيجة لجهود المستعمرين فى وقف هذا التيار العربى الذى رأوا أنه أخطر ما سيواجه أهدافهم فى التسيطرة على شعوب القارة وعلى مواردها الاقتصادية .

ووقف المستعمر أمام الثقافة الإفريقية وقفة المتأمل الدارس ، فوجد نفسه يواجه نوعين من الثقافات :

الأولى الثقافة العربية القوية التى تستند إلى تراث فكرى وأدبى ودينى يعطيها صلابة ومناعة يجعل لها شخصيتها التى لا تذوب فى مؤثرات الثقافات الأخرى ولكن تشكلها وفق الاتجاهات العربية الصرفة لما لها من قوة الهضم والامتصاص .

والثانى الثقافات الإفريقية اللينة التى يسهل تشكيلها أو هضمها وتمثيلها فى الثقافات الأخرى القوية ، وكانت معظم هذه الثقافات بسبيلها إلى الاندماج فى الثقافة العربية والإسلامية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولقد ذهب المستعمرون فى سياستهم الثقافية مذاهب مختلفة ، فرأى الانجليز أن الوسيلة الوحيدة لوقف تيار الثقافة العربية وتأثيرها هو إحياء الثقافات الإفريقية الأصلية وصبغها بصبغة قبلية إقليمية تساعد على إثارة التعصب والقوميات المحلية المحدودة فى نطاق قبلى ليستغلوا هذه الروح فى إقامة سد فى وجه انتشار الثقافة العربية التى يخشون منها على مركزهم ومصالحهم الاستعمارية .

وكانت خطة السياسة البريطانية هى التسلل التدريجى لنشر الثقافة واللغة الانجليزية لتحقيق الاستعمار الثقافى الكامل وسارت خطتهم على النحو التالى :

أولا : تشجيع دراسة اللغات المحلية على يد المبشرين وعلماء اللغات لتحقيق المعرفة الأولية بها .

ثانيا : العمل على تكوين لغات جماعية لمواجهة احتياجات التعليم بحيث توضع لغات جديدة مختارة تطعم ببعض ألفاظ من لغات أخرى قريبة منها أو لهجات من نفس اللغة كما تم وضع المجموعات اللغوية لجنوب السودان فى مؤتمر الرجاف الذى عقد سنة ١٩٢٨ لإحيائها على هذه الصورة .

ثالثا : لما قامت محاولات إيجاد لغات إفريقية شبه موحدة اتجه الرأى إلى اختيار إحدى اللهجات من كل مجموعة لغوية لإحيائها وتعليمها على سائر اللهجات الأخرى بترجمة الكتاب المقدس إليها وتعليمها فى المدارس فى مرحلة التعليم الابتدائى ، مع التقليل من حصصها تدريجيا فى السنوات العليا من هذه المرحلة وإلغائها نهائيا أو تدريجيا من مرحلة التعليم الوسطى والثانوية .

رابعا : تشجيع اللغة الانجليزية المحلية Pidgin English كتمهيد لسيادة اللغة الانجليزية .

وعلى طول تلك المراحل كانت اللغة الإنجليزية هى لغة التعليم فى المراحل العالية تدرسها تلك الصفوة التى يختارها المستعمر ليعدها لشغل الوظائف البسيطة فى المصالح الحكومية والإدارات المحلية ، والشركات .

خامساً : إدخال اللغة الإنجليزية كلغة أساسية فى مراحل التعليم المختلفة حتى مرحلة التعليم الابتدائى ويتم ذلك تدريجيا حتى يقضى تماما على الثقافات المحلية وتحل محلها الثقافة الإنجليزية .

أما الفرنسيون فقد اتبعوا سياسة مباشرة فى القضاء على اللغات المحلية واللغة العربية على حد سواء ، وهذه السياسة تتفق مع مذهبهم الاستعمارى الذى يهدف إلى امتصاص الشعوب وفرنستها ، فأهملوا اللغات المحلية واللغة العربية إهمالا تاما ، مع قصر التعليم على اللغة الفرنسية فى المدارس وجعل هذه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اللغة أيضا لغة رسمية فى المصالح الحكومية والشركات والإدارات المحلية ومن ثم قصر الانخراط فى سلك الوظائف والأعمال المختلفة على الملمين باللغة الفرنسية .

وكانت هذه السياسة نفسها هى السياسة التى اتبعتها كل من بلجيكا والبرتغال فى مستعمراتها .

أما الموقف المباشر من اللغة العربية فقد كان موحداً ويتلخص فى صرف الأنظار عن تعلم اللغة العربية بعدم قبول الذين يتخرجون من المدارس العربية فى المدارس الثانوية أو المدارس الفنية التى تؤهل للأعمال المختلفة ، إلى جانب موقفهم السلبى من التعليم العربى وعدم تقديم أى عون للقائمين عليه وعدم الاعتراف به ، وكل ذلك للتقليل من شأن هذه اللغة ولاضطرار المسلمين إلى الاتجاه إلى المدارس التبشيرية والمدارس الحكومية حتى يقعوا فريسة للاتجاهات الاستعمارية التى تعمل هذه المدارس على إشباع تلاميذها بها ليبعدوهم بكل الوسائل عن الثقافة العربية التى تبناها أجدادهم

اللغة العربية فى مستقبل الحياة الإفريقية :

فى ضوء الدراسة السابقة نستطيع أن نلمس حقيقة هامة هى أن مشكلة التعدد اللغوى فى القارة الإفريقية ما زالت قائمة ولم يستطع المستعمرون بجهودهم الجبارة التى بذلوها أن يجدوا حلا لها بل إنهم باتجاهاتهم الاستعمارية المغرضة زادوا المشكلة تعقيداً بأن أوقفوا التقارب الذى كانت خطواته تسير حثيثة قبل وصول الاستعمار عن طريق اللغة العربية ، ولقد ترتب على سياسة الاستعمار وإدخاله اللغات الأوربية أن أصبحت مشكلة التعدد اللغوى تتخذ شكلين .

١ — التعدد اللغوى الصارخ الذى تمثله اللغات المحلية التى حرمت من أن يتم التقارب بينها عن طريق اللغة العربية .

٢ — التعدد الصارخ فى اللغات الرسمية التى خلفها الاستعمار ، فهناك إفريق يتكلم الإنجليزية وآخر يتكلم الفرنسية وثالث يتكلم البرتغالية أو الأسبانية أو الفلمنكية (إحدى لغات بلجيكا) ومع هؤلاء جميعا إفريقيون لا يعرفون إلا لغاتهم القبلية أو يعرفون اللغة العربية دون اللغات الأخرى .

ولما كانت اللغات الإفريقية الوطنية من التعدد لدرجة يصعب معها التفاهم بها بين شعوب القارة . وكانت اللغات الأوروبية — فضلا عن التعدد الواضح فيها — تعتبر لغات دخيلة على القارة ، أصبح من الضرورى العودة إلى لغة كانت فى سبيلها إلى تحقيق الوحدة الثقافية فى أقطار القارة الإفريقية وبين شعوبها لحل هذه المشكلة التى تقف فى وجه الوحدة الإفريقية وتوجد للاستعمار مجالا للاحتفاظ بسيطرته الثقافية على عقول الإفريقيين واتجاهاتهم عن طريق لغاته المنتشرة بين المتعلمين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفضلا عن أن اللغة العربية هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق التفاهم الكامل بين شعوب القارة الإفريقية فإن هناك عوامل متعددة تجعل اللغة العربية هى أصلح اللغات للقارة الإفريقية وأهم هذه العوامل هو :

١ — أن اللغات الأوروبية الأخرى فضلا عن تعددها فإن عدد الذين يعرفونها من أبناء القارة الإفريقية ما زال محدودا ، ولذا لن تكون معرفة البعض للغات الأوربية عقبة فى إدخال لغة جديدة فى أقطار إفريقية .

٢ — أن اللغة العربية منتشرة فى أنحاء كثيرة من القارة وبخاصة بين المسلمين الذين يشكلون أغلبية فى جهات كثيرة من إفريقية فيما يلى الصحراء .

٣ — الجوار المباشر بين الدول الإفريقية فيما يلى الصحراء والدول العربية فى شمال إفريقية ، إلى جانب الصلات المباشرة بين الدول الإفريقية فى شرق القارة وبين شعوب الجزيرة العربية فى مختلف الميادين الاقتصادية والثقافية .

٤ — انتشار الإسلام والحاجة إلى العربية لدى معتنقيه لتفهم أصوله الصحيحة .

٥ — وجود أساس من اللغة العربية فى أكثر اللغات الإفريقية نتيجة للإسلام وللاحتكاك بالعرب قبل الاستعمار .

٦ — أن هناك إقبال شعبى منقطع النظير لدى الشعوب الإفريقية على تعلم اللغة العربية لإعادة ما قطعه الاستعمار من صلاتها بالشمال الإفريقى وبخاصة الجمهورية العربية المتحدة التى تنظر إليها هذه الشعوب على أنها رائدة الحركة التحررية وتتطلع إليها لتستمد منها مبادئ القومية والحياد والسلام ، ولتقتبس منها خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتفيد منها دولها فى تقدمها وتدعيم استقلالها السياسى باقتصاد متين ومجتمع متماسك .

ويمكننا أن نلمس الرغبة القوية فى نشر اللغة العربية فى القارة الإفريقية فى الإقبال على التعلم بالأزهر وفى مؤتمر اليونسكو لتنمية التربية والتعليم فى إفريقية ، الذى كان من بين التوصيات التى اتخذها ووافق عليها بأن تعاون الدول القادرة على إمداد الدول الإفريقية بحاجتها من المدرسين المؤهلين لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامى وذلك بناء على ما قدمته معظم الدول الإفريقية من احتياجات خاصة للمؤتمر .

وهكذا نستطيع القول أن اللغة العربية هى أهم وسائل تحقيق التحرير الثقافى بعد التحرير السياسى ، كما أنها هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق التفاهم الكامل بين أقطار القارة بعد أن تحقق لها التقارب فى الميادين السياسية والدولية ، وأن لغة إفريقية كبرى كالأولى من لغات أخرى دخيلة بأن تحقق للقارة وحدتها وتعاونها الثقافى .

محمد جمول عباسى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بداية هجرة المسلمين إلى أمريكا

للدكتور محمود يوسف الشواربي

بدأت هجرة المسلمين إلى الدنيا الجديدة منذ زمن بعيد ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن هجرة المسلمين والعرب منهم ، بصفة خاصة بدأت إلى أمريكا قبل رحلة كريستوفر كولمبس ، وأن عددا كبيرا منهم استقر فى القارة الجديدة قبل رحلة كولمبس إليها .

على أن هجرة المسلمين إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى العصر الحديث بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر .

ولقد كان الحافز الأساسى للمسلمين الأول الذين هاجروا إلى أمريكا هو السعى فى طلب الرزق . ولقد قال لى بعض قدامى المهاجرين المسلمين ممن قابلتهم فى الولايات المتحدة : وما لنا لا نهاجر فى سبيل طلب العيش الحلال وقد قال الله تعالى : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

ثم نزحت بعد ذلك فى أوائل هذا القرن عائلة علوان استقر عائلها الأول فى أمريكا فى عام ١٩٠٢ وذلك بمدينة آشلند بولاية كنتوكى . ومن أبرز شخصيات هذه الأسرة السيد قاسم علوان الذى انتخب فى يوليو سنة ١٩٥٧ رئيسا لاتحاد الجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ، وهكذا نرى أن هذه الأسرة أخذت تستقر وبدأت على مر الأيام تشجع عائلات أخرى على الهجرة إلى أمريكا ثم أخذت هذه الأسر بعد ذلك تتكتل فى صورة جمعيات صغيرة بدأت تكبر شيئا فشيئا .

ولقد نزح كذلك إلى الولايات المتحدة من فلسطين فى أوائل هذا القرن الأستاذ على محى الدين حيث استقر فى مدينة جرسى بولاية نيو جرسى وأخذ يتدرج فى نشاطه حتى صار الآن مليونيرا من كبار رجال الأعمال حيث يملك مصانع كبيره للنسوجات الحريرية .

ومن المعاصرين للسيد على محى الدين فى نيويورك الأستاذ حمدان غنام الذى وفد إلى أمريكا منذ أكثر من أربعين عاما وهو عميد عائلة كبيرة فى نيويورك هى عائلة غنام وقد برز غير فرد منها فى الأعمال التجارية وساهموا بنصيب كبير فى النشاط الإسلامى والاجتماعى للجالية الإسلامية بمدينة نيويورك.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان الأستاذ حمدان غنام المؤسس الأول ورئيس مؤسسة مسجد نيويورك .

ومن أبرز المسلمين الذين هاجروا إلى أمريكا السيد يوسف أبو الهدى الذى استقر به المقام فى واشنطون منذ حوالى نصف قرن ولقد أصبح الآن من كبار المقاولين فى العاصمة الأمريكية ويملك فيها عدة عمارات شاهقة تقع فى أرقى أحياء مدينة واشنطون . ولقد ساهم الأستاذ يوسف أبو الهدى ويسمى نفسه الآن Joseph hawar مساهمة فعالة فى بناء المركز الثقافى الإسلامى فى واشنطون بوصفه من كبار المقاولين فى المدينة وبقدر ما أنفقه فى بناء ذلك المركز سواء فى صورة أموال دفعت أو مساعدات فنية قدرت بمقدار ربع مليون دولار .

ومن الأسر التى نزحت إلى الولايات المتحدة أسرة جزينى ، فقد ولد رب هذه الأسرة وهو الأستاذ نعيم جزينى فى كفرعطا بلبنان عام ١٨٩٧ وهاجر أولا إلى المكسيك ثم منها إلى الولايات المتحدة حيث اتخذ من مدينة ميتشجان بولاية إنديانا مقراً له منذ عام ١٩١٠ .

ويعتبر السيد عمر دياب زعيم الجالية الإسلامية فى شيكاغو من أوائل العرب الذين هاجروا من فلسطين إلى شيكاغو حيث استقر بها عام ١٩٢٥ وأصبح من كبار رجال الأعمال فى المدينة . وقد أرسل أولاده لإتمام تعليمهم فى المدارس المصرية حتى يتأتى لهم إتقان اللغة العربية .

وليست الهجرة إلى أمريكا قاصرة على العرب بل إنها تشمل كثيراً من مسلمى الأقطار الأخرى ، فكما أن الأسر العربية التى أشرنا إليها كانت هى الأسر الأولى التى هاجرت إلى أمريكا وأخذت تجذب إليها أسراً أخرى من الوطن العربى حتى انتشر المسلمون العرب فى كثير من الولايات الأمريكية ، نرى أن أسراً أخرى هاجرت من كثير من بلاد العالم الإسلامى وأخذت تنمو فيما بينها وتجذب أسراً أخرى من وطنها الأصلى إلى أمريكا .

ومن الأمثلة التى يمكن أن نسوقها على ذلك فضيلة الأستاذ فضل محمد خان فقد هاجر من الهند حيث ترك قريته بأنديالا بمقاطعة البنجاب وسافر إلى أمريكا وعمره لا يتجاوز ١٥ عاما وقد هبط فى مدينة سكرنتو فى ولاية كاليفورنيا التى تمتاز بجوها الجميل وبمزارعها الواسعة وحدائقها الغناء .

وقد أخذ السيد فضل محمد خان يعمل فى الزراعة بجد ونشاط حتى أصبح يملك الآن مزرعة مساحتها ٢٥٠٠ فدان فى مدينة بوتى بولاية كاليفورنيا .

ويعتبر هذا نجاحا كبيرا لمسلم مهاجر نفتخر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

به جميعا ويفخر به العالم الإسلامى . بل إن باكستان تجعل منه سفيراً غير رسمى لها فى الولايات المتحدة ، وهو حقا من رجال الأعمال الناجحين ومن الشخصيات المعروفة فى جميع أنحاء تلك الولاية . ولقد أدى كثيراً من الخدمات للمسلمين بصفة عامة ولباكستان بصفة خاصة ويعمل جاهدا على توطيد أواصر الصداقة بين وطنه الجديد أمريكا وبين وطنه الأصلى . والسيد خان عضو فى مجلس الشئون العالمية بشمال كاليفورنيا وعضو فى اتحاد الكوموتوك بسان فرانسيسكو ، كما أنه عضو كذلك فى كل من اتحاد زراع الأرز فى ولاية كاليفورنيا وفى المكتب الأمريكى لكبار الزارعين .

ومما تجدر الإشارة إليه أن عدداً ضئيلا جدا من الإقليم المصرى فى الجمهورية العربية المتحدة هاجر إلى أمريكا واستوطنها ، ولعل أبرزهم السيد حسن سليمان الذى هاجر إلى أمريكا منذما يقرب من عشرين عاما ، ثم عمل جاهدا منذ سنوات على إنشاء جالية مصرية سودانية فأنشأ اتحاد وادى النيل هو ورملاؤه من رعايا الجمهورية العربية المتحدة ورعايا جمهورية السودان .

من ذلك يتبين أن الهجرة من العالم الإسلامى إلى أمريكا قد بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر وأخذت تزداد قليلا قليلا فى بداية القرن العشرين وظلت الأسر التى هاجرت تتناسل ويزداد عددها وتزدهر أمورهم حتى شقوا طريقهم فى وطنهم الجديد وبدأت بعد ذلك تفد جاليات كثيرة من مختلف دول العالم الإسلامى .

ولقد تلا ذلك كله بدء تكوين الجمعيات ثم مجالس إسلامية فى المدن الكبرى ، وفى عام ١٩٥٢ عقد أول مؤتمر للمسلمين فى أمريكا وتم تأليف الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا حيث يعمل على السهر على مصالح الجاليات الإسلامية فى أمريكا وإيجاد وحدة شاملة منهم .

ولقد بدأ الاتصال بين تلك الجاليات الإسلامية وبين العالم الإسلامى حينما بدأت الحكومات والهيئات الإسلامية فى العالم الإسلامى توجه عنايتها نحو هذه الجاليات ، فأنشئ المركز الثقافى الإسلامى فى واشنطون وتتولى جميع حكومات الدول الإسلامية الإنفاق عليه . كما بدأت الهيئات الإسلامية فى العالم الإسلامى ترسل الوفود لزيارة تلك الجاليات وإيجاد رابطة بينهم وبين إخوانهم فى العالم الإسلامى وأصبحوا بذلك قوة فعالة لإيجاد تفاهم متبادل ومودة مشتركة بين الشعب الأمريكى وشعوب العالم الإسلامى ؟

الدكتور محمود يوسف الشواربى
الأستاذ بجامعة القاهرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المسلمون في الهند أيضا..!

للأستاذ عبد المنعم النمر

— ٢ —

وعدتك في مقال سابق (١) أن أعرض عليك نماذج من المسلمين المجاهدين الذين وهبوا حياتهم لتحرير وطنهم «الهند» من المستعمرين الانجليز إنصافا لهم من الأفكار الخاطئة الظالمة التي زعمت أنهم لم يساهموا في حركة التحرير أو أنهم كانوا حربا عليها وعونا للمستعمرين..

وقد رأيت قبل أن أتحدث عن الشخصيات أن أكشف عن المبدأ الذي اعتنقه هؤلاء المسلمون وقامت عليه حركة جهادهم وتضحيتهم الذين ضحوا منهم في سبيله، فإن الذي يتتبع أحوال المسلمين في الهند بعد دخول الانجليز وسيطرتهم على البلاد يجد أنه لم يخل جيل منهم من مجاهدين كانوا حريصين على رفع راية العصيان والجهاد ضد الانجليز حرصهم على أداء شعائر دينهم، حتى بعد أن فشلت ثورتهم الكبرى سنة ١٨٥٧ لإخراج المستعمر وتخليص بلادهم من براثنه.

فما الذي كان يحرك بعض المسلمين ويدفعهم للتضحية؟.

هنا يكمن السر الذي لا بد أن يعرفه القراء السر الذي هو المفتاح لإنصاف هؤلاء الأبرار المجاهدين وإنصاف تاريخهم من الظلم الذي علق به...

كان المسلمون يحكمون الهند دولة بعد دولة وظلوا يحكمونها قرابة ثمانية قرون ونصف يقيمون فيها حكم الشريعة الإسلامية التي تعدل بين المسلم وغير المسلم، وكانت آخر دولة لهم - وهي دولة المغول - شديدة الحرص على طبع حكمها بالطابع الوطني الذي لم تفرق فيه بين مسلم وغير مسلم، فاتخذت وزراء وقوادا للجيوش من غير المسلمين. ونعم سكان الهند جميعا في ظلها بنوع من الحكم الوطني الموحد ربما لم تشهده الهند من قبل، ومع ذلك كان المسلمون طبعا يشعرون أنهم حكام البلاد وأن الشريعة الإسلامية هي شريعة الحاكم التي تظل بعدلها الجميع.

فلما جاء الانجليز في زي التجار الأبرياء الملتزمين أولا ثم استطاعوا بوسائلهم الإيقاع بين الحكام، والسيطرة على أداة الحكم، وزحفوا قليلا قليلا حتى كانت لهم مستعمرات

(١) عدد شهر المحرم ١٣٨١.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على رقعة الهند الواسعة ولهم جيوش يوسعون بها رقعة ممتلكاتهم ، ولهم نفوذ أيضا على الولايات الأخرى التى لم تدخلها جيوشهم ولاسيما فى الوقت الذى ضعف فيه الامبراطور المسلم فى دهلى ، وتمزقت البلاد إلى ولايات يحارب بعضها بعضا ، واستغل الانجليز الفرصة وانتذروا من خلال هذه الخلافات إلى السيطرة التامة على أغلب الولايات وحكامها حتى امتدت سيطرتهم إلى الامبراطور المسلم الضعيف اتقابع فى قلعته الحمراء فى دهلى وتصرفوا باسمه فى كل شىء ، ولم يكن له من الأمر شىء حتى صح فيه قول القائل :

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شىء فى يديه

فى هذا الوقت وأمام هذه الحالة القائمة التى ضعف فيها الحاكم المسلم إلى آخر مدى حتى لم يستطع التصرف والإذن لمن يدخل دهلى أو لايدخلها ومن يزوره أو لا يزوره ، فى هذا الوقت شعر المخلصون بالخطر ، وقام العلماء وكان على رأسهم شاه ولى الله الدهلوى وحاول محاولات مخلصة لإنقاذ الملك المسلم والحكم الإسلامى من الواقع المتحكم . ثم جاء من بعده ولده شاه عبد العزيز الدهلوى ، وكان الخطر قد تفاقم فأصدر فتواه المعروفة سنة ١٨٠٣ التى يقول فيها : إن الهند ما دامت تحت سلطان الانجليز ولم يعد لدلك المسلم فيها أى نفوذ فإنها تكون قد تحولت إلى دار حرب ويجب على كل مسلم ومسلمة أن يعتبر الانجليز أعداء له يجب عليه حربهم والتخلص منهم ، ويحرم عليهم التعاون معهم حتى يخرجوا من البلاد .

واتخذ أساس هذه الفتوى من القرآن الكريم الذى يقول : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء [1] » . وقوله « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » [2] . وغير ذلك من الآيات الكثيرة التى تكتل المسلمين ضد أعدائهم وقت الخطر الذى يحيق بهم وتحرم عليهم أى لون من ألوان التعاون معهم .

وكان شاه ولى الله الدهلوى وأولاده مثل شاه عبد العزيز صاحب هذه الفتوى وأحفاده يمثلون مدرسة فكرية خاصة قويت فى الهند واشتد ساعدها وتجمع العلماء والعامة حول أفكارها حتى كان الانتساب إليها مفخرة يحرص العلماء على التحلى بها ...

ومن أجل هذا ظلت هذه الفتوى حية فى النفوس ، فكانت نشيد الثوار سنة ١٨٥٧ لإلهاب الحماس فى نفوس المسلمين ، وكانت عقيدة المجاهدين بعد فشل الثورة حتى رأيناها

---

(١) سورة الممتحنة آية : ١ .

(٢) سورة المائدة آية : ٥١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تصنع منهم صوراً مكررة لمن رأيناهم من المسلمين الأول وتضحياتهم .

ثم رأيناها تعمل عملها فى حمل العلماء على إنشاء المدارس الدينية الخاصة حتى يتعلم فيها أبناء المسلمين ولا يتعلموا فى مدارس الحكومة، ورأيناها بعد ذلك تحمل المسلمين على إنشاء مدارس وكليات مدنية لأبناء المسلمين ليتعلموا فيها ما يتعلمه غيرهم من العلوم الحديثة فى مدارس الحكومة وكلياتها .

ورأيناها أيضا من وراء حركة العصيان المدنى التى ارتفع لواؤها فى الهند وظن كثير من المؤرخين — خطأ — أنها فكرة «غاندية» خالصة ، ويندهش القراء لهذا ، ولكنى أعدهم بتقديم تحقيق وافٍ عن هذا الموضوع لأصحح التاريخ من الخطأ الكبير الذى وقع فيه ولأرد لأصحاب الحقوق حقوقهم ... وهكذا كانت فكرة أن الانجليز المستعمرين أعداء للمسلمين سلبوا منهم الحكم ، وأن حربهم أصبحت لذلك فرضا على كل مسلم ومسلمة ؛ حتى يخرجوا من البلاد ، كانت هذه الفكرة هى التى تحرك بعض المسلمين للجهاد ضد الانجليز ، وهم وإن كانوا قليلين . . إلا أنهم كانوا يمثلون بقاءها حية فى بعض النفوس كانوا يمثلون روحا عنيدة من المقاومة لم تمت ولم تخمد ، بل ظلت رايتها تخفق ويسلمها جيل إلى جيل حتى تنبهت الأغلبية فقامت فى شبه دوار وخوف تلتمس الطريق فى رعب وتكتفى بغايات قصيرة ، وبمطالب موضوعية محلية . وربما قام من هذه الأغلبية متحمس فدائى فدعا إلى الاستقلال الذاتى ولم يجرؤ على طلب الاستقلال التام ... هذا فى الوقت الذى كان فيه المسلمون أو أغلبيتهم هم دعاة التضحية ، دعاة الاستقلال التام . دعاة طرد الانجليز ، وإخراجهم من الهند . يستمدون إلى ذلك كله بوحى من دينهم وعقيدتهم ، وإليك مثلا من أمثلة عديدة : رجلا من الرجال المجاهدين الذين تقدموا الصفوف وحملوا الشعلة فى وقت حالك الظلام يدعو إلى اليأس الشديد والاقطواء إن لم يدع إلى التزلف والقربى للحكام المسيطرين الأقوياء .

هذا المثل أو هذا الرجل هو شيخ الهند «محمود الحسن» .

رجل نبت فى بيئة دينية ، خرجته مدرسة من المدارس الدينية التى أنشأها العلماء المجاهدون الذين حملوا السلاح وقادوا الجيوش لحرب الانجليز فى ثورة سنة ١٨٥٧ وعادوا من الهزيمة فى ميدان الحرب ليبدءوا نوعا من الكفاح السلمى فى ميدان العلم والدين ضد الانجليز وتعاليمهم وتقاليدهم وسمومهم ضد الإسلام .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تخرج فى مدرسة دار العلوم «ديوبند» بل كان أول طالب فيها عند إنشائها وتولى تربيته وتنشئته هؤلاء العلماء المجاهدون من أمثال مولانا محمد قاسم نانوتوى ، مولانا رشيد أحمد الجنجوهى وغيرهم ممن أنشئوا هذه القلعة الدينية فى مدينة صغيرة وفى مسجد صغير ، وتخرج هذا الطالب سنة ١٢٩٠هـ — ١٨٧٧ م - وكان أول ثمرة لهذه الدار . كان صغيراً عند ما قامت الثورة واندلعت شرارتها الأولى من البلدة التى كان يعمل فيها والده ، ذو الفقار على خان ، فانطبعت فى ذهنه وهو صبى المناظر المثيرة التى صاحبت قيام الثورة من قلعة مدينة « ميرث » ثم تلقى مع العلوم العربية والدينية روح الجهاد والتضحية من العلماء المجاهدين الذين درس له ، وأحس منهم - وهو شاب - روح المرارة التى أحسوها بعد هزيمتهم مع روح الكراهية للانجليز - الحقد عليهم فلما بدأ يدرس فى الدار التى تخرج فيها أخذ هو الآخر يقوم بدوره فى تربية الطلاب . ولكن الشحنة التى تلقاها من أساتذته كانت أقوى من أن يحصرها ميدان الدرس ، فبدأ الشيخ يبحث عن ميادين جديدة يفرغ فيها هذه الشحنة التى تحرقه وتؤرقه وتكاد تحرقه ...

وكان لا يزال هناك - كما قلت - مسلمون يعتنقون فكرة الجهاد ، ولما يلقوا السلاح ضد العدو الدخيل ، ويحاولون - قدر طاقتهم وكما ترسم لهم عقيدتهم - إخراجه من البلاد . يوجد قليل من هؤلاء فى قلب الهند ، وكثير منهم على الحدود الغربية فى المناطق الجبلية . فأسرع الشيخ للاتصال بهم وتنظيم الحركة معهم . . واكتفى مبدئيا بجمع المال والمعونات من قلب الهند لهؤلاء المجاهدين ليستمروا فى حركتهم ، ثم اختار تلميذاً من تلامذته الذين تخرجوا على يديه بعد أن توسم فيه روح العمل والجهاد ، وأرسله إلى الحدود إلى الميدان الذى اختاره المجاهدون ليقوى عزمهم ويشد أزرهم ويحول بينهم وبين ما يحاوله الانجليز بألاعيبهم ودسائسهم من تفرقة صفوفهم والقضاء عليهم ، وكان رسوله هذا عالما من العلماء هو « مولانا عبيدان السندى » الذى أسلم وهو صغير ، وشاء الله له أن يكون من الأفذاذ المجاهدين والعلماء العاملين ، ومن حقه علينا أن نفرد له ترجمة خاصة ، فلنتركه الآن على الحدود وفى أفغانستان لنستمر مع أستاذه شيخ الهند محمود الحسن ..

وكان تأليف حزب الرابطة الإسلامية سنة ١٩٠٦ يمثل فى رأى الانجليز تسليما من المسلمين عامة بالأمر الواقع . ولذلك فرحوا له ، واغتبطوا به ، وأشادت صحفهم فى لندن وفى الهند بمغزاه فكان كل شىء فى الهند يوحى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

باليأس والاستسلام ، ولكن أمثال الشيخ من أصحاب الهمم والعزائم والرسالات الوطنية يتخذون دائما من عوامل اليأس وريحها السموم ريحا تلهب جذوات العزائم فيهم ، وتمدهم بطاقات تدفعهم إلى الأعمال التى تبقى على مر الزمن دروساً للمكافحين والمجاهدين وتعلمهم ألا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس . .

وكان الشيخ يعرف كل هذا ويحسه ويقدر الظروف التى يمر بها وتمر بها بلاده ، ويعرف بخبرته وخبرة أساتذته كثيراً من أساليب الحرب السرية التى تضمن له النجاح فى أهدافه وألا يزج به فى سهولة إلى أعماق السجون أو جزائر المنفى القاتلة . .

ولذلك رأيناه يتصل بأنصاره الكثيرين بطريقة عجيبة لم يكن من السهل أبداً أن تحوم حولها شبهة من الشبهات وهى التى عرفت فيما بعد باسم « حركة المناديل الحريرية » فكان يكتب لأنصاره على مناديل حريرية مستعملا حبراً سريا لا يمكن اكتشافه ، وبهذه الوسيلة الغريبة استطاع أن يتصل بالمجاهدين على الحدود وفى مختلف البلاد فى قلب الهند . . لم يستعمل الورق الذى تتجه إليه الأنظار وتبحث عنه أيدى المفتشين من رجال الشرطة . .

وكانت الفكرة التى يعمل لها الشيخ وأنصاره واضحة مفهومة لهم وهى إخراج الانجليز من الهند وبالتالى من البلاد الإسلامية التى استعمروها لتأمين طريقهم للهند مثل جنوب شبه الجزيرة العربية وعدن ومصر لأنهم حين يفقدون الهند لا يجدون مبرراً للتمسك بهذه البلاد . .

وكانت العاطفة الإسلامية المتأججة فى نفوس هؤلاء تبعث فيهم الإحساس دائما بمسئوليتهم المشتركة فى استعمار البلاد العربية ، فلو أن الهند لم تستسلم للانجليز فى بادئ الأمر لما وجد هؤلاء ضرورة لاحتلال هذه البلاد الإسلامية . . وكان هذا الإحساس يؤرق هؤلاء المسلمين باستمرار .

كانت هذه فكرة الشيخ وأنصاره ، ومن المهم أن أكرر وأؤكد أن هذا الزعيم المسلم كان يعمل فى أوائل هذا القرن لإخراج الانجليز من الهند نهائيا بينما هذا المبدأ لم يعتنقه حزب المؤتمر إلا فى يناير سنة ١٩٣٠ .

أما الوسيلة التى أعدها لبلوغ هذا الهدف العظيم فكانت تتلخص فى نقطتين : —

١ — إثارة المتاعب والقلاقل فى وجه الحكم الانجليزى فى الهند حتى لا ينعموا باستقرار فيها وحتى لا يظل الشعب مستقيما راضيا بحكمهم . .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٢ ـ انتهاز الفرص للاتفاق مع أعداء الانجليز ليقوموا بهجوم من الخارج على الهند ، ويقوم الشعب فى الوقت نفسه بثورة فى الداخل عليهم فتكون النهاية المحتومة لهم ، ويخرجوا من الهند . .

وقد واتت الشيخ فرص عديدة لتعبئة الرأى العام المسلم على الخصوص ضد الانجليز . فقد ساعد الانجليز أهل البلقان فى حربهم ضد دولة الخلافة ، وهم قد ساعدوا الطليان فى احتلال طرابلس إحدى ولايات دولة الخلافة ـ والمسلمون فى الهند كانوا ينظرون نظرة تقديس إلى الخليفة العثمانى ، ويعتبرونه الملاذ الأعلى لهم ، بعد أن فقدوا ملكهم فى أرض الهند . . فكانت حساسيتهم شديدة لكل ما يتعرض له من محن . ثم كانت ثالثة الأثافى ـ كما يقولون ـ وهى إعلان الانجليز الحرب على الخليفة عند ما قامت الحرب العالمية الأولى . .

واستغل الشيخ وزملاؤه كل هذا لإثارة النفوس ضد الانجليز الذين شعروا بحقيقة الخطر الذى يتربص بهم من وراء ثورة المسلمين وقلقهم مما كيدهم كثيراً من المتاعب واضطرهم لبذل كثير من الوعود للمحافظة على دولة الخلافة والاعتذار للمسلمين بأنهم لم يبدءوا بإعلان الحرب عليها بل كانت هى البادئة إلى آخر ما تعرفه من وسائل الانجليز فى مثل هذه الظروف . . ولكن مرجل النفوس ظل مع ذلك يغلى . .

ووجد الشيخ أنه لابد له من عمل خارجى يتم به خطته ، ولكن كيف يتم له ذلك وهو فى قلب الهند ، ومن حوله العيون ، ترصد حركاته ، وتراقب تصرفاته ، إنه لا بد أن يسافر للخارج بنفسه ليتصل بأعداء الانجليز ، ويتفق معهم على وضع الخطط اللازمة لتنفيذ فكرته .

ولكن كيف يسافر والحرب قائمة وإلى أين ؟ لم تكن هناك إلا حيلة واحدة يمكن للشيخ أن يعتمد عليها . . وهى الحج . . الذهاب للأراضى المقدسة لأداء الفريضة ، الانجليز لم يتعودوا التعرض للناس فى عباداتهم أو هكذا يعلنون . . فلتكن الرحلة للحج ـ إذن ـ هى الثوب الذى يلبسه الزعيم ويتخفى تحته ليصل إلى غرضه ، والحجاز يحكمه الأتراك وهناك سيتاح له الاتصال بمن يشاء من زعماء الأتراك ومن هناك يمكنه السفر إلى استامبول ، ويتصل برجال الحرب والحكومة ويتفق معهم على وضع الخطط لإنقاذ الهند وطرد الانجليز .

وأعلن الشيخ أنه سيسافر إلى مكة لأداء فريضة الحج . . وأسقط فى أيدى الانجليز كيف يتصرفون ؟ هل يمنعونه ويتحملون تبعة منع مسلم من أداء الفريضة ؟ هل يتركونه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يتصل بزعماء الأتراك وفى هذا خطر عليهم ؟ ماذا يعملون ؟ .

حاولوا بطرق مختلفة أن يحولوا بين الشيخ وبين السفر ... أحيانا لا يوجد له مكان ، وأحيانا الأوراق ربما تتأخر ، والانجليز يتقنون التصرف دائما من الأبواب الخلفية ، ولكن أنصار الشيخ كانوا بالمرصاد لكل هذه الألاعيب ، كانوا منبثين فى كل مكان ، وفى كل مصلحة ... فتمت الأوراق ... وبدأ الشيخ رحلته . . . من ديوبند شمالى دهلى والشعب يتهافت على المحطات ، يرى الشيخ ، ويلقى عليه نظرة قبل أن يرحل ، وكان يظن أنه سيترك الهند ، ليقيم بالحجاز ، فراراً من المتاعب . ، ودهش الانجليز لاستقباله وتوديعه للشيخ فى كل محطة يمر بها .

كان ذلك فى شوال سنة ١٣٣٧هـ - ١٩١٥م واستطاع أنصار الشيخ وعلى رأسهم مولانا « محمد على » وأخوه « شوكت على » أن يفسدوا كل المؤمرات التى دبرها الانجليز ليقبضوا على الشيخ قبل رحيله من بومباى وسافر الشيخ ووصل إلى الأراضى المقدسة ليؤدى فريضة الحج ، وليبدأ أخطر اتصالاته بزعماء الأتراك ورجال الحرب فيها ، ويضعوا الخطط ، ويعقدوا الاتفاقيات لإنقاذ الهند . ولكن الحوادث تجرى بسرعة وعلى غير ما كانوا يتوقعون ، ويتم للانجليز على الأرض المقدسة وبأيدى العرب المسلمين ما لم يستطيعوا أن ينالوه فى الهند بما سأتناوله فى العدد القادم إن شاء الله .

عبد المنعم النمر

شرائط العلم وما يصلح له

١ — قالوا : لا يكون العالم عالماً حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ على العلم ثمناً .

٢ — ودخل رجل على عبد الملك بن مروان ، وكان لا يسأله عن شىء إلا وجد عنده علما ، فقال له : أنى لك هذا ؟ فقال : لم أمنع قط يا أمير المؤمنين علما أفيده . ولم أحتقر علما أستفيده ، وكنت إذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دراسات فى علم المعنى

« السيمانتيك »

للدكتور كمال بشر

إن الوعى اللغوى للعصر الذى نعيش فيه الآن آخذ فى الازدياد والنمو يوما بعد يوم وذلك راجع بالطبع الى شعور الناس بأن سبل الحياة ومسئولياتها أصبحت ضخمة معقدة ؛ بحيث أصبح من الصعب إن لم يكن من المستحيل ـ أن يعيش الفرد فى عزلة عن الجماعة التى ينتمى إليها ، أو الجماعات الأخرى المجاورة التى تشاركه نفس الشعور بالحاجة إلى الاختلاط والاندماج الاجتماعى .

وللغة بين وسائل الاتصال بين الناس مركز خاص ومكانة واضحة فى كل عصور التاريخ فلقد وجدت اللغة ـ لغة من نوع ما ـ منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض ، ووجد نفسه مضطرا إلى الاتصال بأخيه فى بيئته ، كى يقضى حاجاته وينفذ رغباته التى لا غنى له عنها والتى لا يمكنه فى أغلب الأحايين الحصول عليها وحده بدون مساعدة أو معونة خارجية وقد تتعدد وسائل التعاون بين الناس وتتنوع ولكن ليس من شك فى أن اللغة هى أهم هذه الوسائل ، بل هى أساسها كلها ، فاللغة هى الطريق الأول إلى إزالة الحواجز بين الأفراد والجماعات ، وهى الدعامة الكبرى فى بناء أى مجتمع وتكوينه على أسس من التعاون والألفة والود . وهى ذلك الرباط المقدس الذى يربط بين الناس مهما اختلفت درجاتهم الثقافية والاجتماعية وفى الحق أن اللغة هى الأداة الكبرى التى تحفظ للمجتمع شخصيته وقوته ، وهى التى توحد بين أفراده وجماعاته مهما تعددت طرق الشقاق والنفوذ بينهم : وبالجملة يمكن القول أنه لا وجود لمجتمع إنسانى بدون لغة ، أى بدون وسيلة للتفاهم بين أفراد هذا المجتمع والتعاون فيما بينهم ، كما لا يمكن تصور لغة بدون مجتمع تنمو فى أحضانه وتتفاعل مع مظاهر الحياة فيه .

وكما تكون اللغة وسيلة التفاهم والتعاون قد تكون طريقا من طرق إثارة الشقاق والخلاف بين الناس ، ويروى لنا التاريخ فى الماضى والحاضر أمثلة كثيرة من هذا القبيل . فما الأزمات السياسية فى الواقع إلا نتيجة لسوء فهم الفلسفات والأفكار الشائعة فى المجتمعات المختلفة ، وبعض هذا الفهم الخاطئ مرجعه إلى الاختلاف فى فهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

معانى الكلمات التى تعبر عن تلك الفلسفات والأفكار وعن العقائد والتقاليد والمثل التى تتبناها المجتمعات المتنوعة . ومثل هذا ولاشك من شأنه أن يجر الناس إلى ويلات الحروب والإقدام على أعمال الخراب والدمار التى تتمثل فى الحروب الكبيرة والصغيرة على السواء .

ومعنى ما تقدم أن اللغة سلاح ذو حدين أو أداة يكمن فيها الخير والشر معا فقد تكون وسيلة من أنجح وسائل التعمير ، كما أنه من الممكن أيضا أن تتخذ معاول هدم وتخريب ولسنا نغالى إذا قررنا أن لفظا واحدا أو كلمة واحدة من قائد أهوج أو زعيم مغرور قد تعنى هلاكا ودمارا ، كما أن كلمة أخرى يحملها الأثير من فم إنسان خير نبيل قد تفسد على الأشرار خطتهم ، وتعود بالعالم إلى السلم والطمأنينة والرخاء .

كل هذا الذى قلناه جعل الموضوع بحثنا - وهو السيمانتيك أو علم المعنى - أهمية خاصة فى الدراسات الإنسانية بوجه عام . وفى الدراسات اللغوية بوجه خاص ، وذلك لأنه يتعرض لمشكلة دقيقة خطيرة ، هى مشكلة دلالة الألفاظ أو معانى الكلمات . وهى - كما ترى - مشكلة تتعلق بصميم حياتنا فى المجتمع ، ولا يمكن الهروب منها أو التنكر لها . لذلك لم يكن غريباً أن تشغل هذه المشكلة بال العلماء فى القديم والحديث ، وأن يتناولها بالبحث كثير من الدارسين فى مختلف العلوم والفنون فيبحوث الألفاظ ودلالاتها أو الألفاظ وعلاقتها بمعانيها بحوث معروفة فى علم النفس والمنطق والفلسفة والاجتماع والأنثروبولوجيا والنقد الأدبى وعلوم البلاغة ، وفى علم اللغة أيضا دون شك : كل يتناول المشكلة من زاويته الخاصة طبقا لمبادئه وأسسه ، وكل يحاول الوصول إلى حلول سليمة لهذه المشكلة التى تتوقف عليها سعادتنا أو شقاؤنا فى هذه الدنيا التى نعيش فيها ؛ إذ أن الخلاف فى فهم معانى الكلمات قد يقودنا - كما سبق أن ذكرنا - إلى حروب طاحنة تقضى على الإنسانية وحضارتها . « فالديمقراطية كنظام سياسى يفهمها الروس فهما مباينا لفهم الأمريكى لها ، والاشتراكية عند الانجليز غيرها عند الألمان أيام هتلر ، والحرية لدى هؤلاء وهؤلاء تتخذ مظاهر متباينة »[1] . وليس ببعيد أن يؤدى مثل هذا الخلاف فى الفهم إلى حرب ضروس كتلك التى قاسينا أهوالها وشرورها فى أعوام ٣٩ - ٤٥ ، نتيجة لعدم اتفاق المعسكرين المتحاربين على دلالات هذه الكلمات وأمثالها . ولقد ألحت هذه الحقيقة إلحاحا شديداً على الفيلسوف ولدن ، حتى جعلته

(١) دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٠٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يصرح - فى معرض الكلام على مفهوم كل من الديمقراطية والشيوعية - بأن « أكثرنا يود بإخلاص أن يعرف أسباب تفضيل الديمقراطية على الشيوعية أو الشيوعية على الديمقراطية . نريد أن نتأكد من ذلك ، لأن هذا الموضوع قد قتل من أجله عدد كبير جداً من الناس ، ويبدو أن عدداً أكبر سوف يلقى حتفه لنفس السبب فى المستقبل غير البعيد (١) » .

هـــذه الحقائق وغيرها دفعت العلماء والباحثين إلى دراسة معانى الكلمات ودلالاتها دراسة علمية دقيقة ، وإلى التعرف على جوانب المشكلة تعرفا كاملا ، واضطرتهم إلى رسم الخطط والمناهج الكفيلة بالوصول إلى نتائج صحيحة يمكن الاعتماد عليها والأخذ بها فى هذا المضمار . وفى السنوات الأخيرة تشعبت الدراسة الخاصة بهذا الموضوع إلى ثلاثة اتجاهات تمثل وجهات نظر مختلفة طبقا لمبادئ وأهداف الدارسين . هذه الاتجاهات أو المناهج تعرف جميعا باسم عام هـــو Semantics أو علم المعنى . ولكن بالرغم من هذا الاتفاق فى الاسم فإنها تختلف فيما بينها اختلافا واضحا ، وليس من المأمول أن يحدث بينها تنسيق كامل ، حيث إن كل جهة منها تتبع طريقا خاصا ، وتنهج نهجاً معينا .

وأول ما ظهر فى هذا المجال من هـذه الأنواع الثلاثة من الدراسات هو علم المعنى اللغوى (Linguistic Semantics) . فدراسة المعنى كعلم مستقل ، أو شبه مستقل - إنما ظهرت أول ما ظهرت سنة ١٨٣٩ ، على أن البعض آنذاك كان يعد علم المعنى جزءا خاصا من علم القواعد ، كما يبدو ذلك واضحا فى بحث الأستاذ (Reisig) الخاص بعلم اللغة اللاتينية . أما الدراسات اللغوية المنظمة ذات الصبغة العلمية فلم تظهر إلا فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر .

ولقد كان العالم الفرنسى Bréal أول من استعمل كلمة Sémantique سنة ١٨٨٣ ليعنى بها « علم المعنى » فى رسالة له خاصة بهذا الموضوع ، ثم ظهرت ترجمة انجليزية لهذا البحث سنة ١٩٠٠ بعنوان Semantics وبتقادم الزمن أصـــاب هذا المصطلح الانجليزى نوع من الغموض واللبس ، فاضطر الناس فى وقت من الأوقات إلى الاستعاضة عنه بالمصطلح Semasiology الذى كان معروفا من قبل ، والذى كان يطلق فى اللغة الانجليزية على نوع معين من دراسة المعنى . ولكن المصطلح Semantics نظراً لقصره وخفته فى النطق - لم يلبث أن استرد مكانته

(١) انظر The Vocabulary of Politics, T. D. Weldon, P. 10

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأصبح الآن ثابتاً مقرراً فى الدراسات اللغوية الخاصة بالمعنى ومشكلاته [1] . ومن الجدير بالذكر أن Bréal لم يكن الرائد الأول فى دراسة المعنى ، بل إنه كان الرائد فى استعمال كلمة Sémantique التى نقلت إلى الانجليزية باسم Semantics . ولقد كانت هناك محاولات جدية فى دراسة المعنى بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور قبل Bréal وقبل ظهور المصطلح الذى ابتكره [2] .

أما الاتجاه أو المنهج الثانى من مناهج دراسة المعنى فهو المنهج الفلسفى فى السنوات الأولى من العقد الثالث من هذا القرن الحاضر أدخل جماعة من الفلاسفة البولنديين المصطلح Semantics إلى علم المنطق الرمزى (Symbalic Logic) . وهناك أطلقوه على دراسة متخصصة تخصصاً عالياً ، تتعلق بالرموز والعلامات ومعانيها . ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه الدراسة تعرف بعلم المعنى الفلسفى (PhilosophicalSemantics) ويقرر أوعاف أن علم المعنى الفلسفى فى صورته واتجاهاته الحاضرة يتسم بالصعوبة والتعقيد حتى إنه لم يعد من المستطاع فهمه أو إدراكه بسهولة إلا من مجموعة من العلماء المتضلعين ، وبخاصة أولئك الذين أدخلوا هذا النوع من الدراسة إلى هذا المجال الجديد [1] .

وفى السنوات الأخيرة نشطت حركة كبيرة فى دراسة السيمانتيك على مستوى شعبى ، وبخاصة فى أمريكا . وذلك لأن كثيراً من الظروف والملابسات فى العالم الذى نعيش فيه الآن جعلت الناس فى كل مكان يشعرون بأنهم فشلوا فشلا واضحاً فى التفاهم فيما بينهم ولم يشذ عن ذلك أصحاب اللغة الواحدة وهذه الحقيقة قد خلقت فى الناس روح التشاؤم وملأتهم بخيبة أمل ، غير أن المتفائلين منهم لم يقفوا مكتوفى الأيدى إزاء هذه المشكلة فأخذوا يعملون على إيجاد الحلول المناسبة لها ، وينادون بأن كل ما نحتاج إليه هو أن نتفق على معانى الكلمات التى نستعملها وعلى مفهومات المصطلحات التى نحتاج إليها فى حياتنا . وبمعنى آخر رأى هؤلاء أن دراسة السيمانتيك أمر ضرورى لعلاج أمراض مجتمعنا الحديث .

ولقد كان العالم البولندى كورزيبسكى (Korzybski) رائد هذه الحركة الجديدة فى الولايات المتحدة . وكانت له أهداف عملية يرمى إليها من وراء هذه الدراسة الشعبية التى

(1) انظر William, Words and theirUse, p.8.

(2) أنظر Firth, papers in Linguistics, p.15.

(1) انظر Williamm, op.p.8.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عرفت فيما بعد باسم « علم المعنى العام » (General Semantics) . وقد استمرت هذه الحركة فى النمو والانتشار حتى جاء ستوارت تشيس (Stuart Chase) وآخرون فدفعوا بها دفعة قوية أكسبتها شعبية ساحقة فى مختلف المجتمعات ، وأصبح القارئ العادى يهتم اهتماما كبيرا بهذا النوع من الدراسة .

ويتصل بهذه الحركة غير اللغوية فى دراسة المعنى ما قام به الأستاذان الانجليزيان أوجدن وريتشاردز (Ogden and Richards) من بحوث ودراسات أو دعاها كتابهما المشهور « معنى المعنى (The Meaning of Meaning) . كما يعد البحث الذى وضعه الأستاذ أوجدن وسماه « الانجليزية الأساسية » (Basic English) [1] خطوة أخرى فى سبيل إرساء قواعد هذا الفرع من الدراسة التى أحدثت فيما بعد ثورة واضحة الآثار فى نظريات الجمال والنقد الأدبى . غير أن كتابة الأستاذين أوجدن وريتشاردز فى هذا الموضوع تتسم بالطابع النفسانى المشوب بصبغة فلسفية . وليس هذا بمستنكر على الرجلين، فهما عالمان نفسيان بالحرفة والصنعة، ومن ثم كان الأسلوب النفسانى واضحا فيما دبجاه وسجلاه من بحث وتحليل فى هذا الموضوع.

وكان من أهم أهداف المنهج الثالث فى دراسة السيمانتيك تخليص الفكر الإنسانى من المغالطات اللغوية ، وتحريره من الزيف الناتج عن سوء استعمال الكلمات . وتخبرنا مارجريت شلاوش بأن سبب اهتمام كورزيبسكى بالسيمانتيك العام إنما يرجع إلى اعتقاده بأن دراسة المعنى من الممكن أن تكون دواء ناجعا لأمراض الإنسانية فى الحياة الاجتماعية [1]. ولقد تبع كورزيبسكى فى هذا الرأى كثير من العلماء ممن تأثروا بأفكاره وكتاباته التى صارت فيما بعد الدستور الأساسى فى دراسة المعنى على مستوى شعبى عام .

والواقع أن مذهب كورزيبسكى وأتباعه فيه شىء من المبالغة من وجهة نظر علماء اللغة . فكثيراً ما يتبين لنا أن تحليل المعنى قلما يؤدى إلى إيجاد حلول عملية لمشكلاتنا الاجتماعية . ولكن هذا لا يعنى أننا ننكر أهمية دراسة معانى الكلمات وتحديد هذه المعانى تحديداً دقيقاً . إن هذه الدراسة

---

(١) « الانجليزية الأساسية » بحث قصد به إلى تبسيط اللغة الانجليزية ، كى تصبح لغة عالمية ، وذلك بالتركيز على الكلمات الأساسية التى تكفى للفهم ومن رأى صاحب هذا البحث أن معرفة عدد محدود جدا من الكلمات الواضحة المعنى خير من معرفة أضعاف هذا العدد الكلمات الغامضة والمشكوك فى معانيها .

(١) انظر Hargaret Schlauch' The Gift of Tongues'p' 130 '

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تساعدنا بلا شك على توضيح معالم الطريق أمامنا ، وترشدنا إلى الموقف الذى يجب أن نتخذه تجاه معانى الكلمات ، بحيث يصبح من المستطاع أن نبدى رأيا واضحا فى هذه المعانى سواء أأمكننا إقناع الناس بالمعانى الصحيحة أم لم يمكننا ذلك .

وترى مارجريت شلاوش أن هذا الموقف من اللغويين إزاء معانى الكلمات يجب أن يتسع أيضا فيما لو أسىء استعمال الكلمات فى مجالات الحياة العامة . فمن المألوف أن يستغل بعض الناس — كالصحفيين غير المسئولين مثلا — استعمال الكلمات استغلالا سيئا ، ويضعوها فى معان غامضة أو غير محددة ، قصداً إلى خدمة هدف معين ، ترمى إليه الصحيفة ، دون أن يتعرض أصحابها لنقد القراء أو اعتراض القانون عليهم . وفى استطاعة اللغوى فى هذه الحالة أن يشير إلى الأخطاء التى وقعت من هؤلاء الصحفيين فى هذا الشأن . ولكنه — بوصفه لغويا — لا يمكنه أن يقدم حلولا عملية يفرضها عليهم فرضا ؛ لأن هذا ليس من اختصاصه فى شىء . كل ما يستطيع أن يعمله اللغوى هو أن يعرض خدماته لمن يشاء منهم ، ومن غيرهم من علماء الاجتماع والاقتصاد والعلوم الأخرى ، حين يتعاملون مع اللغة ويتعرضون لمشكلاتها . بل من الممكن أن يتعاون اللغوى مع هؤلاء جميعا فى دراسة مشتركة للمشكلات اللغوية التى تقابلهم فى مهنهم المختلفة . والدارسون فى هذه الحالة يقومون بهذا العمل الجماعى بوصفهم مواطنين إعندهم رغبة صادقة فى تصحيح الأخطاء الفاشية فى استعمال الكلمات . ومن ثم فقد يضطرون جميعا إلى ترك مكاتبهم وقاعات بحثهم ، ويخرجون إلى الشارع والأسواق ليشتركوا مع الناس العاديين فى حياتهم اليومية ، بغية تصحيح الأوضاع فيما يختص بالسلوك اللغوى . ومعنى هذا فى نهاية الأمر أن اللغويين تكون لديهم الفرصة لأن يستفيدوا ويفيدوا فى وقت واحد ، وبخاصة إذا اتحدت الأهداف ووضحت المقاصد عند جميع الدارسين ، ومتى كان هناك احترام متبادل للطرق العلمية فى البحث ، واعتراف من الجميع بأمراض المجتمع ومشكلاته . وقد يحتاج اللغويون حينئذ إلى معونة العلوم الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع . وتختتم مارجريت شلاوش رأيها فى هذا الشأن بأنه ليست هناك دراسة لغوية يمكنها أن تقدم فرصة للتعاون العلمى أطيب وأحسن من تلك التى تقدمها لنا بحوث المعنى ودراساته فى ظل الملابسات والظروف الاجتماعية المختلفة(١) ؟

دكتور كمال بشر

(١) انظر مارجريت شلاوش ، المرجع السابق ص ١٣١ - ١٣٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رأي في الشعر الجديد

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

نعنى بالشعر الجديد ذلك اللون من الشعر الذى ظهر فى العراق منذ نحو عشر سنوات ، ومن العراق انتشر فى لبنان ، ثم انحدر إلى مصر . ونسميه جديدا من باب التجاوز لأنه ـ كما سنرى ـ ليس جديدا فى المضمون ، وجدته فى الشكل جدة نسبية ، لأنه يقوم على جعل المقطع الصوتى ـ أو التفعيلة كما يعبر علماء العروض ـ هو الوحدة الجزئية التى تتألف منها القصيدة ، بدلا من البيت الذى يتألف من عدة مقاطع ويعد وحدة متماسكة تتألف منها القصيدة فى الشعر العربى المألوف ، وبذلك أصبح البيت فى الشعر الجديد لا يتألف من شطرين متساويين فى عدد المقاطع ، كما هو الشأن فى الشعر المألوف ، وإنما يتألف من مقطع أو عدة مقاطع يختلف عددها فى بيت عنه فى سائر الأبيات ، دون أن يخضع ذلك لقاعدة مقررة أو نظام معروف ... وهذا هو الفارق بين الشعر الذى يسمونه جديدا ، والشعر الذى نعرفه ونألفه . وهو كما رأيت فارق شكلى فنى ، لا يتعدى الشكل إلى المضمون بحال من الأحوال . ولكن ما الذى عمل على ظهور هذا الشعر ؟ .

فى رأينا أن هناك عدة عوامل أدت إلى ذلك ، ومن أهمها :

أولا : انتقال مجتمعنا العربى من إطار الحياة الخيالية السلبية ، إلى نطاق الحياة الواقعية الإيجابية . فانحسر الشعر الرومانسى الخالص أو كاد ، على حين طغى الشعر الواقعى وساد .

والفارق بين اللونين فارق فى الهدف والاتجاه وطبيعة المضمون من غير شك ، ولكن بعض الشعراء تجاوزوا الحد ، فأحدثوا فى الشعر هذا التغيير الذى يمس الشكل ، متأثرين بالشعر الغربى الحديث من جهة ، وليثيروا انتباه الناس إليهم وإلى شعرهم من جهة أخرى .

ثانياً : تجنى بعض النقاد على الشعر العربى القديم خاصة ، والأدب العربى عامة ، واتهامهما بالجمود والضيق والتكلف ، مما حدا بالكثيرين من الشباب إلى إهمال هذا الأدب ، والاتجاه إلى الأدب الغربى لدراسته ومحاكاة كل ما فيه من صور وألوان .

ثالثاً : سيطرة الصحافة على الأدب فى السنوات الأخيرة ، وضعف الثقافة العربية لدى الكثيرين من أدباء الشباب ، فمال الأدب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحديث ، ومنه الشعر ، إلى السهولة التي نوشك أن تكون ابتذالا . وإلى الثورة الجامحة على القيود الفنية التي تتطلب جهداً ودراسة .

هذه هي أهم العوامل التي أدت إلى ظهور هذا الشعر ... ونسأل بعد ذلك : ما الذى ساعد على انتشاره ؟ .

ونجيب عن ذلك فنقول :

إن أول عامل ساعد على انتشار هذا الشعر ، هو توقف مجلة الرسالة عن الصدور ، بعد أن استمر يصدرها أديبنا العظيم الزيات سنوات طوالا ، وكانت الرسالة هي وحدها المجال الفسيح الذى لا يتحقق فى غيره الظهور والتفوق لشاعر من ناشئة الشعراء ، أو مذهب من مذاهب الشعر ، كما كانت تهدم كل محاولة يريد بها أصحابها هدم الثقافة العربية والأدب العربى ، سعيا وراء مآرب شخصية ، ومنافع ذاتية ، ولا تعترف بالثورة على القيود الفنية التي بدونها لا يكون الأدب فنا ، وإنما يصبح ثرثرة فارغة ، ولغوا عقيما .

ويلى ذلك فى الأهمية أن اختفاء الرسالة قد مكن لبعض المجلات اللبنانية فى مجال الأدب ، فوسعت صدرها لهذا اللون من الشعر ، ونوهت بأصحابه بينما طويت صفحاتها عن الشعر المألوف ، وأهملت أصحابه إهمالا منقطع النظير !

ويأتى بعد ذلك أن بعض النقاد المحدثين قد تعصبوا للشعر الجديد ، لا لإيمانهم بقيمته ، واعترافهم بجدواه ، ولكن لأنه سيفتح الطريق أمامهم إلى الشهرة السريعة المستفيضة ، إذا هم عملوا على أن تكون له السيادة والقيادة فى مجال الأدب .

وهكذا انتشر هذا الشعر ، وملك أصحابه الغرور ، فظنوا أنهم الشعراء ، وأن المجد قد دان لهم ، فأخذوا يطلعون علينا كل يوم بديوان جديد ، وساعدهم على ذلك أن أغلب هذا الشعر لا يحتاج إلى التأنى وبذل الجهد إلا إذا كانت الثرثرة الفارغة تحتاج إلى شيء من ذلك وأن الديوان الواحد لا يحتاج إلى أكثر من عشر قصائد تكتب كل كلمة أو كلمتين فى سطر ، فيمتلئ الديوان ويفيض .

ثم نسأل أصحاب هذا الشعر : لماذا تنكبتم طريق الشعر المألوف ، وسرتم فى طريق الشعر الجديد ؟ .

وتعال معى نسمع ما يقولون .

يقولون إن شعرنا الجديد ، فى إطاره الجديد ، يتيح لنا الحرية للتعبير عن تجاربنا الجديدة .

ويقولون إن شعرنا الجديد لا يجعل القصيدة مكونة من أجزاء لا يتم فيها التماسك والامتزاج ، ولكنه يجعلها وحدة متكاملة تنساب كما ينساب الماء فى النهر العظيم ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو الجدول الرقراق ، وبذلك تقدم لنا صورة متكاملة السمات والقسمات ، متآلفة الألوان والظلال .

ويقولون إن هذا الشعر لا يضطر صاحبه إلى استخدام كلمات يكمل بها بيته ، ويصل بها إلى قافيته ، دون أن تضيف هذه الكلمات شيئا إلى جوهر الصورة التى تتألف منها القصيدة .

هذا ما يقولون .

ونحن فى رفق وهوادة نقول لهم :

إذا كنتم تريدون بالحرية فى مجال الشعر ، الحرية المطلقة ، فنحن نعترض على ما تريدون ؛ لأن تلك الحرية هى الفوضى التى تهدم دون أن تبنى ، ومن ثم لا تصلح أساسا لعمل إيجابى نافع ، فى أى مجال من مجالات الأدب ، وفى أى قطاع من قطاعات الحياة .

وإذا كنتم تريدون الحرية المنظمة الملائمة ، فإن هذه الحرية تتجلى فى شعرنا المألوف المعاصر على نحو يحقق لهذا الشعر التطور المطلوب ، والحيوية المفقودة ، وإلا فهل كان امرؤ القيس والأعشى ، أو جرير والفرزدق ، أو أبو تمام والمتنبى . . هل كان هؤلاء يقولون قصائدهم على النمط الذى يقوله العقاد فى قصيدته عن « المصرف » :

فى سكتى أبدا . وما
من سكة أبدا إليه ، ولست ألقى عندما
أصف الطريق أو الحمى
انظر بعينيك البناء سما وطال وأظلما
واسأل : أهذا مصرف ملئوا جوانبه دما ؟
تجد الصواب مجسما

أو على النحو الذى يقوله إلياس فرحات فى قصيدته « الحمامة » :

يا عروس الروض يا ذات الجناح يا حمامة
سافرى مصحوبة عند الصباح بالسلامة
واحملى شوق فؤاد ذى جراح وهيامه

هذا هو التجديد الذى لا يقوم على التبديد ، وهذه هى الحرية التى لا تضل القصد ، ولا تنحرف عن الطريق ؛ لأنها دائما تنظر إلى الماضى ، وتتأمل الحاضر ، وتتطلع إلى المستقبل .

أما تماسك القصيدة تماسكا عضويا ، واعتمادها على الصورة المتكاملة الموحية ، فذلك أمر قد فرغ من تقريره نقاد الشعر منذ سنوات وسنوات ، ونحن نجده فيما كتبه العقاد وطه حسين وميخائيل نعيمة ، كما نلمسه واضحا فى شعر العقاد وأبى ماضى وعلى طه وأمثالهم من الشعراء المعاصرين الذين لم يكتب واحد منهم قصيدة واحدة على مثال هذا الشعر الجديد ، وإن كانت قصائدهم حافلة بالتجديد ، كما ينبغى أن يكون التجديد .

بقى بعد ذلك ما يزعمه أنصار هذا الشعر « الجديد » من أن الشعر المألوف يضطر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صاحبه إلى أن يستخدم كلمات يكمل بها البيت، ويصل بها إلى القافية ، دون أن تضيف هذه الكلمات شيئاً جديداً إلى البيت أو القصيدة .

ونحب أن نقول أولا إن الكلمات تستعمل فى الشعر لأغراض أهمها إضافة معنى جديد ، أو إلقاء مزيد من الضوء على معنى سابق ، أو انسجام الصوت ، وتناسق النغم فى القصيدة ، فما يظنه هؤلاء الغافلون كلمات لا معنى لها فى الشعر المألوف ، ليس إلا كلمات ذات معنى مقصود ، حين نفهم « المعنى » فهما واسعا عميقا ، بحيث يشمل ما تشعه الكلمة من ضوء ، وما تبعثه من نغم ، وإن لم يكن لها فى سياقها معنى جديد .

وليس معنى ذلك أن الشعر المألوف يخلو من الكلمات التى كان ينبغى أن تستبعد منه ، ولكن معناه أن هذه الكلمات إن وجدت فى الشعر المألوف فلها نظائرها فى الشعر الجديد، وهى هنا وهناك عيب من عيوب الشعر ، سواء كان هذا الشعر من هذا اللون أو ذاك .

ومن قال إن « كمية » الكلمات هى مقياس بلاغة الكلام ، فكلما زادت هذه الكمية ، نقصت البلاغة ، وحين تنقص تلك ، تعظم هذه وتزيد ؟! ألا يتذوق هؤلاء الناس بلاغة الكلمات إلا إذا عدوها على الأصابع ، أو قاسوها بالأشبار ، أو كالوها أو وزنوها بما شاءوا من المكاييل والموازين ؟ .

ثم أين الكلمات التى لا معنى لها فيما أسلفناه من شعر العقاد وفرحات ؟ أيمكن أن نحذف كلمة واحدة من هذا الشعر دون أن تختل الفكرة ، وتهتز الصورة ، ويضطرب الإيقاع .

والآن فلنقرأ هذه المقطوعة من قصيدة « جديدة » عنوانها « من شاعر سورى إلى مواطن أمريكى » :

لكن رئيسك يحسبنى
يحسبنى هنديا أصفر
هنديا من أو كلا هو ما
ويريد استملاك الدنيا
بالدولار
وأنا يؤسفنى . .
يؤسفنى . .
ان أرهن حجراً من وطنى
دولارك لا يشرى شيئا
لا يشرى ذمم الأحرار

فانظر كيف كرر الشاعر كلماته فى هذه المقطوعة الصغيرة من القصيدة ، لا لشىء إلا لمراعاة الإيقاع والتنغيم ؟ وهذا النموذج من الشعر ليس من شعر نكرة من نكرات ما يسمونه الشعر الجديد ، ولكنه من شعر نزار قبانى . وهو من رواد هذا الشعر، وإن كان قد نفض يديه منه ، وعاد إلى سواء السبيل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قلنا فى أول المقال إن اختلاف عدد المقاطع فى بيت عنه فى سائر الأبيات ، هو الفارق بين الشعر الجديد والشعر المألوف ، ونضيف هنا فارقا آخر بين هذين اللونين من الشعر ، وإن كان هذا الفارق لا يظهر إلا عند طائفة من الشعراء تجاوزت ثورتهم كل حد ، فأهملت القافية كل الإهمال ، أو منحتها الحرية المطلقة ، فهى تظهر كما تشاء ، وتختفى كما تريد ، من غير ضابط أو مقياس .

ولنقرأ معا هذه الأبيات :

يا سائرا والعزم فى هيمونه أراه
احمل لهم ... لإخوتى هناك
دمى . . دم الرفاق حيث يوجدون
وعذرنا
فنحن لا نزال
عيوننا مشدودة إلى السماء
نذب عن حقولنا جحافل الجراد
والبوم والغربان ...

إلى آخر ما قال ، هذا الشاعر المفضال !

فهنا تختفى القافية التى لها أثر كبير فيما يشيع فى الشعر من إيقاع وترنيم ، وهنا أيضا تكرار للكلمات دون أن يكون هناك داع إلى هذا التكرار .

ثم يبقى بعد ذلك هذا السؤال الأخير : هل استطاع هذا الشعر الجديد أن يقدم لفن جديد من فنون الشعر لم يقدمه له الشعر المألوف ؟

لقد قدم لنا الشعر المألوف أروع النماذج من الشعر القصصى والتمثيلى وشعر الملاحم ، فأين النماذج التى قدمها الشعر الجديد فى هذه الفنون ؟ وأين الفن الجديد الذى أضافه إليها هؤلاء الشعراء « المجددون » ؟

على أن الشعر الجديد يفقد فى كل صوره عنصرا هاما من عناصر الفن ، هو عنصر التنسيق ، لأنه يوزع مقاطعه الموسيقية توزيعا أساسه الفوضى لا النظام ، ومن ثم تصبح موسيقا الشعر أقرب إلى موسيقا النثر ، مع أن الموسيقا هى العنصر الأساسى الذى الذى يفرق بين الشعر والنثر من أول وهلة ، وقبل أى تنقيب .

ونحن نجد فى قصيدة إلياس فرحات أن الشطر الأول يختلف عن الشطر الثانى فى عدد المقاطع ، ولكن انظر إلى الشاعر كيف جعل هذا الاختلاف لا يقف عند البيت ، ولكنه يتجاوزه إلى المقطوعة ، بل يتجاوزه إلى سائر المقطوعات ؟

وهاك مقطوعة أخرى من القصيدة ، لتتبين صدق ما نقول :

رفرفى فى روضة « الأفق الجميل » وتغنى
وانظرى محبوبتى عند الأصيل وتأنى
فهى إن تسألك عن صب عليل كان هنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكذلك صنع شاعرنا العظيم العقاد فى قصيدته ، فلاءم بين مقطوعاتها ، بحيث صارت القصيدة آية من آيات التوزيع الموسيقى الجميل ، والتناسق الصوتى البديع ، ولنستمع معا إلى هذه المقطوعة :

فيه دم لا شك فيه
فى كل طرس أو كتاب أو سجل يحتويه
ودم المقتر والسفيه
يجرى هناك ، وأنت تحسبه من الورق الرقيه
نغليه كالدم فى العروق سرى ، وكالدم نتقيه
وسل المدلس والنزيه

إنه التنسيق الذى يدرك الشاعر بحاسته الفنية الأصيلة أنه الإطار الذى لابد أن تتجلى فيه كل صورة من صور الفنون .

وإنصافا للحقيقة نقول إننا نتذوق جمال هذا الشعر الجديد فى بعض النماذج ، ولكنها نماذج نادرة قد حرص أصحابها على شىء من التنسيق فى توزيع المقاطع المختلفة ، والقوافى المنوعة ، فاحتفظوا لشعرهم بالنغم المميز ، والإيقاع الذى لا يشبهه فى النثر إيقاع .

وهؤلاء الشعراء كلهم من الذين درسوا موسيقا الشعر المألوف ، وفى ظلالها عاشوا يقولون الشعر سنوات .

فهذه النماذج أبدها لونا من ألوان التجديد لا تخرج الشعر من جوهره المعروف ، ولا تنحرف به عن تطوره الملائم ، وفرق كبير بين أن نجدد فى الشعر العربى ، وبين أن نأتى بما يخالف طبيعة هذا الشعر ، ثم نقول إننا قد أتينا بشعر جديد !

أما هذه « القصائد » الكثيرة التى جادت بها قرائح الكثيرين من « الشعراء » الذين انتهزوا فرصة هذه الفوضى فأحدثوا هذه الأشياء التى تجردت من كل لون من ألوان الإيقاع والتنسيق . فلا نقول عنها إلا أنها لغو أطفال ، وإن صدرت عن رجال أو أشباه رجال !

وبعد ، فقد بدأ صوت هذا الشعر يخفت ، ولن يرتفع هذا الصوت بعد ذلك . وبدأت أمواجه تنحسر عن الشاطىء ، ولن تعود إليه أبدا . وسيظل الشعر المألوف ، بجوهره الأصيل ، وطبيعته الفنية ، خالدا خلود الفن ، باقيا ما بقيت الحياة .

ابراهيم محمد نجا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مع قضايانا

إنّنا عائدُون

للأستاذ احمد الشرباصي

لا يختلف عربيان واعيان ، ولا مسلمان عاقلان ، في أن نكبة فلسطين كانت الشوكة الكبيرة المسمومة التي غرسها الاستعمار الغربي في قلب الشرق العربي الإسلامي ، وإذا كانت هذه المحنة قد طوت بين جنباتها منحة - إذ أيقظت القلوب وهاجت النفوس فانبعثت الثورة ، وأقبلت الصحوة ، وأخذنا طريقنا نحو التحرير والتطهير والتعمير ، وشرعنا ندعم كياننا العربي ونثبت وجودنا المؤمن - فإنه ما زال في رقابنا دين مستحق نحو عروبتنا وإسلامنا ، نذكره ولا ننساه ، وإذا كنا أحيانا نخفيه ولا نبديه . فإننا على الدوام نتطلبه ونرتجيه ، وهو أن تعود فلسطين ، أو أن يعود أهل فلسطين إلى فلسطين ؛ لأن الله عز شأنه وجل أمره ، يريدها عربية إسلامية . فيجب أن تكون . « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

يجب أن تعود فلسطين ، ولذلك نهتف في الصباح والمساء قائلين مع المشردين من أبناء فلسطين : « إننا عائدون » ... ولكن من نحن حتى نقول « إننا » ؟ ... إن « نا » ضمير يدل على الجمع أو العظمة ، فالله الكبير المتعال يقول مثلا : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، والله قادر بسلطانه وسطوته على أن يحفظ ذكره ، وأن يجمع له من أسباب التعظيم والتأييد ما يبقى به ويدوم ، فمن نحن ؟ ...

نحن أولا ننبسط ونتسع في رحاب رقعة كبيرة قديمة هي الشرق الروحي المؤمن ، والشرق هو مهبط الديانات ومبعث الرسالات ومسرى دعوات السماء والروح ، ومن الشرق أشرقت المدنيات في مصر والشام والهند ، ولذلك سمي « الشرق » ! ..

ثم نحن نتجمع ونتركز في رقعة أضيق نطاقا ، ولكنها أعمق روحا ونفسا ، وهي رقعة العروبة التي تقع في صميم الشرق ، فنحن العرب ، العرب الذين اختارهم ربهم ليكونوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حملة رسالته وناشرى دعوته بين العالمين ، فكان ذلك تكريما من الله أى تكريم .

ثم نعود فننبسط فى رقعة أوسع وأفسح ، ننبسط فى مجموعة المسلمين ، والمسلمون هم الذين يردد كل واحد منهم قوله تعالى : « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » ، « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وهم الذين يقول ربهم فى كل من استقام ضميره منهم : « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين » .

ثم نعود فنكون مزاجا عجيبا فى هذه المنطقة الكريمة - منطقة العروبة المؤمنة - فنمثل العرب المسلمين أو المسلمين العرب ، فيتمثل فينا الوعاء الطاهر والروح النبيل ؛ لأن العروبة وعاء الإسلام ، والإسلام روح العروبة ؛ فنحن العرب الذين أسلموا وآمنوا ونحن المسلمين الذين تجرى فى عروقهم خصال العروبة ، وإذا كان مهيار الديلمى يقول عن نفسه :

وجمعت المجد من أطرافه
سؤدد الفرس ودين العرب

فالعربى أولى بالفخار والازدهار ، لأنه تحلى بشيم العروبة الأصيلة التى زكاها وأعلاها وقواها رب العالمين ، حتى قال جل جلاله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ! .

والمسيحى العربى فينا - وإن كان مسيحيا فى دينه وعقيدته وعبادته التى يتمتع بحريته فيها - هو فى الوقت نفسه مسلم بلسانه وبيانه ، مسلم بلغة القرآن المجيد التى يتحدث بها ، مسلم بالعادات والتقاليد التى يشترك فيها مع جيرته وأبناء بيئته المسلمين ، مسلم بقوميته التى يغار عليها مع زملائه فى الوطن المؤمن الكبير ، فالكل فى خدمة العروبة وإعزازها سواء !.

فنحن أبناء الشرق والعروبة والإسلام ، نحن الجامعين بين فضائل الإيمان وفضائل القومية ، نحن الموثقة أواصرنا بحمى ربنا وسمو مبادئنا وجلال تاريخنا ، نحن الذين نقول : « إننا عائدون » ! .

وإذا قلناها فى إخلاص وإجماع ، وبعزم وتصميم ، استمعت الدنيا ووعى التاريخ واستجاب القدر ؛ لأن رسولنا الصادق المصدوق يقول : « يد الله مع الجماعة » ويقول : « لا تجتمع أمتى على ضلالة » ويقول : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين حتى تقوم الساعة » .

وشاعرنا يقول :

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلى
ولا بد للقيد أن ينكسر !

نعم : إننا عائدون بإذن الله إلى أرضنا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ووطننا وحمانا فلسطين ، لأننا نؤمن بالله سبحانه ، والله جل جلاله من أسمائه « المبدئ المعيد » . ولأننا نريد أن تكون أعزة في بلادنا ، أبطالا في ديارنا ومن أجل حريتنا وكرامتنا . وآباؤنا العرب الأماجد يسمون البطل الشجاع « معاوداً » ، لأنه يعاود الكرة مرة بعد مرة ، ولا يمنعه ما رأى من شدة الحرب أن يعود إليها ، وأمير القوم عند العرب يسمونه « العود » تشبيها له بالجمل الكبير الذي تعود الرحلة ، وعاود المسير ، واعتاد تحمل المصاعب والمشقات ! .

إننا عائدون إلى فلسطين ؛ لأن فلسطين موطن أبينا إبراهيم عليه السلام ، ونحن أولى الناس بإبراهيم أبي الأنبياء لأن نبينا محمداً صلوات الله وسلامه عليه هو أولى الناس بإبراهيم كما يقول القرآن الكريم : « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » ويقول: « قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا » ويقول : « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا » ويقول : « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا » ويقول : « قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا » .

وما دام ديننا هو دين إبراهيم الحنيف الذي كان مسلما ، وما دام نبينا مأمورا بأن يتبع هذه الملة الحنيفية السمحة ملة إبراهيم ، وما دمنا مأمورين باتباع هذه الملة المسلمة المستقيمة التي دعا إليها إبراهيم وآمن بها ، فنحن إذن الأمة الوارثة لتراثه ، ونحن أولى الناس به ، وأحق الناس بأن يغار على موطنه ودياره .

وإننا عائدون إلى فلسطين ؛ لأن فلسطين مولد عيسى عليه السلام ، ونحن أحق الناس بعيسى عليه السلام ؛ لأنه النبي الذي سبق نبينا ، وهو الذي بشر بنبينا : فكانت هذه البشارة إيذانا بأن محمداً الخاتم الجامع هو الوارث لعيسى كما أنه الوارث لغيره من الأنبياء : « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » .

ونحن أولى الناس بعيسى ؛ لأننا نحن الذين كرمناه وطهرناه ونزهناه ، ولم نحرف في قوله ، ولم نسرف في أمره ، ولم نغال في الارتفاع به ، كما أننا لم نظلم بهضمه حقه ، وهذا كتابنا ينطق في عيسى بالحق والصدق ، ويصفه وصف التكريم والتعظيم ، وينعته نعت التمجيد والتحميد ، فيقول عنه : « إذ قالت الملائكة يا مريم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » . ويقول : « إذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس فى المهد وكهلا ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى ، وتبرىء الأكمه والأبرص بإذنى ، وإذ تخرج الموتى بإذنى ، وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين . وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون » . ويقول على لسان عيسى : « قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا . ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون » .

إننا عائدون إلى فلسطين ، لأنها بلد الأنبياء والمرسلين فيها نبتت شجرة النبوة وتفرعت أغصان الرسالة ، ونحن الأمة التى انتهت إليها مواريث النبوات والرسالات ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » . ويقول : « ألم ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » . ويقول : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » . ويقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » .

إننا عائدون إلى فلسطين ؛ لأنها أولى القبلتين فى الإسلام ، فإلى عاصمتها بيت المقدس وإلى المسجد الأقصى فيها ، كان رسولنا عليه الصلاة والسلام يتجه فى صلواته ، وظل ردحا من الزمن يتخذ من بيت المقدس وجهة وقبلة ، حتى أمره الله جل جلاله بالاتجاه إلى الكعبة ، فكان هذا الجمع بين القبلتين فى الإسلام مزجا إلهيا كريما يوحى بوثيق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الارتباط بين مكة والقدس ، وبين القبلة السابقة والقبلة اللاحقة الدائمة الباقية ، فإذا اتجه المسلمون إلى الكعبة فى صلواتهم مرت بخواطرهم ذكرى الاتجاه النبوى إلى بيت المقدس ، فأدركوا أن مواريث النبوة لا تتوزع ولا تتقطع ولا تتجزأ ، لأنها هبة الله ، فيجب أن تبقى مصونة تحت لواء الله : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم » .

إننا عائدون إلى فلسطين ؛ لأنها مسرى نبينا عليه الصلاة والسلام ، ونهاية رحلته الأرضية فى حادث الإسراء ، وبداية رحلته السماوية فى حادث المعراج ، وكان اتخاذ فلسطين مقراً لهذه البداية وتلك النهاية رمزا قويا إلى أن فلسطين هى واسطة العقد فى وطن المسلمين . وأنها يجب أن تكون فى قمة الإعزاز عند المؤمنين ، وبخاصة أنها كانت الموطن لإمامة النبى محمد لإخوته الأنبياء والمرسلين ، فوق أنها بلد الإسراء والمعراج والله جل جلاله يكرم هذه الذكرى ، ويعطيها حقها من الرفعة والسمو . فيقول : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

وإننا عائدون إلى فلسطين لأنها ثالث الحرمين ، والرسول يقول : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا . والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى) ، ولا يتيسر لأبناء الإسلام أن يشدوا رحالهم إلى المسجد الأقصى آمنين مطمئنين ، أعزاء كرماء ، إلا إذا كانت فلسطين حرة عربية مسلمة ، ولذلك يجب أن نعود إلى فلسطين ، وأن نهتف من الأعماق قائلين : إننا عائدون ! .

أحمد الشرباصى

الإيثار

ذكر من قصص الإيثار أن كعب بن مامه آثر رفيقه الظمآن بالماء على نفسه حتى مات هو عطشا ونجا الظمآن ، وفيه يقول حبيب بن أوس الطائى :

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كيف انتشر الاسلام

الأستاذ عباس طه

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » صدق الله العظيم .

أراد الله تعالى أن تكون بلاد العرب مهبطا لأنوار الدين العالمى الذى هو آخر الديانات والرسالات ، فأرسل به خاتم أنبيائه محمدا صلى الله عليه وسلم ، فلما تم نزوله ، واختار الله رسوله لجواره انتشر نوره فى الخافقين ، فعنى الباحثون بمعرفة المسالك التى سرى منها إلى العالم كله . ومن هؤلاء الباحثين المستشرق الألمانى الأستاذ « مارتن هارتمان » الذى عنى بهذا الموضوع فى كتابه « الإسلام » فكتب فيه بحثا قيما نعتمد عليه فى هذا المقال:

لبلاد العرب منفذان إلى الشرق وهما : العقبة ، وهى على طريق الشام والطف بجوار نهر الفرات ، وقد انتشر الإسلام منهما إلى الشام وأرمينية وبلاد القوقاز وأزربيجان ووصل إلى بخارى وكابل عاصمة بلاد الأفغان فى القرن السابع وإلى خوارزم فى أوائل القرن الثامن . وما زال يمتد حتى تصدى حدود الصين من تيانشان ودخل مدينة كاشغار من بلاد المغول ويبلغ بلاد السند ، وكانت مدينة مولتان مركزا للدعوة الإسلامية ، ومن هناك انتشر فى شمال الهند حيث ظهر فى سنة ١٠٠٥م رجل من مدينة لاهور يقال له الشيخ إسماعيل أبلى فى الدعوة إلى الإسلام بلاء حسنا ، وتلاه فى الدعوة إليه فى تلك الأصقاع رجل يقال له محيى الدين تشيشتى توفى توفى سنة (١٢٣٤) م .

وقد اشتد انتشار الإسلام فى ذلك العهد بشمال الهند حتى آل إلى المسلمين الملك فى البنغال (سنة ١٢٠٠) م كما توج أول ملك مسلم فى كشمير من بلاد المغول سنة ١٣٠٠ م ومنها انتقل الإسلام إلى تبت الصغرى ، وقد وصل إليها أيضا من ولاية يونان فى جنوب الصين .

دخل الإسلام إلى بلاد الصين من منفذين: الساحل الجنوبى ومن الولايات المتاخمة لبلاد التركستان .

وقد روى أن علاقات حسنة تبودلت بين بغداد والصين على عهد الخلفاء العباسيين وكان الدعاة المسلمون يؤمون تلك البلاد من طريق ما وراء النهر .

وقد ظهر الإسلام مبكرا فى بلاد الصين على بعد الشقة بينها وبين البلاد العربية حتى أنه بنى مسجد فى ولاية شينزى سنة ٧٤٢ م أى بعد البعثة المحمدية بنحو مائة سنة ، وكان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أثر هذه الحركة أن انتشر الإسلام فى شمال الصين بدخول قبائل الويجور فيه ، وقد وصل بعضهم إلى المناصب الحكومية الرفيعة ، ونزح لهذا السبب كثير من الفرس إلى الصين ونشروا فيها لغتهم حتى أن كثيرا من مسلمى الصين يعدون الفارسية لغة المثقفين منهم .

وقد دخل فى الإسلام كثير من اليهود ، هناك فزاد بهم زيادة كبيرة يصعب تقديرها .

ولما دخلت بلاد التركستان المسلمة إلى حوزة « الصين » ، واحتك المسلمون بأهلها تعرفوا منهم سماحة الإسلام وفضائله فكان ذلك سببا فى زيادة انتشاره فى تلك الأصقاع .

وفى هذا العهد بدأ ظهور رؤساء وقادة من أصل تركى فى الصين حتى أن القيصر الصينى كين لنج تزوج أميرة تركية ، وأمر ببناء مسجد إكراما لها ولحاشيتها .

وقد اشتهرت أسماء رجال من الترك تولوا الإدارة والقيادة العسكرية ، كذلك وجد نحو عشرين ألف أسرة تركية فى مدينة بكينج عاصمة الصين ، وقد كان لهم ثلاثة عشر مسجدا يقيمون فيها الصلاة . وارتفع شأن المسلمين فى الصين إلى حد أنهم أحدثوا ثورة فى كانصو وشينزى سنة ١٨٦٤ فلم تنجح الحكومة فى إخمادها إلا بعد مكافحتها عشر سنين ، وفى هذه السنة نفسها تمكن يعقوب بك الطشقندى من اقتطاع التركستان من المملكة الصينية فلم تستطع الحكومة استردادها إلا بعد موت هذا الزعيم .

أما المنفذ الآخر الذى سلكه الإسلام إلى الصين : وهو الساحل الجنوبى ، فقد عرفه العرب والفرس منذ زمن بعيد ، وقد تأسست جالية إسلامية فى كانتون منذ العصور الأولى فى الإسلام . وروى أن الخليفة العباسى أرسل أربعة آلاف جندى لمساعدة قيصر الصين فى بعض حروبه . وكان المسلمون يفدون من بلادهم للعيش فى الصين . لذلك قويت شكيمتهم هناك .

إن الذى يتأمل بعد الشقة بين بلاد الصين وبلاد العرب لا يسعه إلا أن يكبر تلك الروح التى كانت تدفع المسلمين إلى تجشم هذه المتاعب لنشر دينهم فى الخافقين ، ويدرك أنه بمثل هذه القلوب الكبيرة تعتز الأمم وترقى وتبنى لنفسها ولخلفائها مجدا يخلد خلود الدهر . وقد عجز دعاة الأديان الأخرى عن أن يصلوا إلى الصين إلا فى القرون المتأخرة ، وعجزت المدنية الأوربية عن أن تتعدى الحدود الشرقية للصين حتى آخر القرن التاسع عشر .

ولكن المسلمين لم يجتازوا حدود السواحل فحسب ، بل استطاعوا نشر ديانتهم وثقافتهم فيها أيضا .

عباسى طه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

١- الدعوات الإسلامية
٢- والإسلام ووحدة الجماعة

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرضت صحيفة « التايمز » الأدبية لكتابين عن الإسلام فى عدد واحد ، وهو العدد الصادر فى الحادى عشر من شهر أغسطس الماضى (سنة ١٩٦١) .

والكتابان هما : كتاب « الدعوات والصلوات الإسلامية » Moslem Devotions لمؤلفته السيدة كونستانس بادويك ، وكتاب « الإسلام ووحدة الجماعة » Islam and the Intepation of Society لمؤلفه : الدكتور مونتجومرى وات ، أشهر المؤلفين عن الإسلاميات من المستشرقين الانجليز فى الوقت الحاضر .

ينقسم كتاب الدعوات إلى ثلاثة أقسام : قسم الدعوات والصلوات المفروضة ، وقد جمعت فيه المؤلفة آيات من القرآن الكريم ، ومن التحيات ودعوات القنوت ، التى تتلى فى الصلوات الخمس وفى غيرها من صلوات يؤديها المسلم أحيانا وإن لم تكن من أركان العبادة .

والقسم الثانى : يشتمل على دعوات توافق دعوات الصلاة وتضاف إليها من قبيلها على سبيل التوسع والتفسير .

والقسم الثالث : تسبيحات مستقلة يتعبد بها المسلم على انفراد أو مع الجماعة ، وأكثرها من دعوات الصوفية باللغة العربية ، وغير العربية .

والمؤلفة تسمى هذه الأقسام الثلاثة بأسماء ترتضيها وتفضلها للدلالة على غرضها ، فمنها قسم داخل الصلاة المفروضة وقسم على عتبة الصلاة المفروضة ، وقسم خارج هذه الصلاة يختاره المسلم ولا يلزم أن يكون من باب الفرائض ولا من باب السنة النبوية ، بل يجوز لكل مسلم أن يختار له عبارته ومعناه ومناسبته على حدة أو مع إخوان له فى الطريق وفى حلقات الأذكار الخاصة .

وجملة ما اختارته المؤلفة مقبول عند جماعة المسلمين مع اختلاف المذاهب ، إلا طائفة منه يتمادى بها الشطط إلى القول بالحلول أو القول « بوحدة الوجود » على النهج الذى يرفضه أهل السنة بالإجماع ، وهو ذلك النهج

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذى يوشك أن يتطوح بأهله إلى تأليه الكون بمظاهره المادية وبواطنه الخفية ، وليس هذا القسم من الدعوات بالكثير وإن كان ناقد الكتاب يقول إن دعواته أقرب إلى تسبيحات المتصوفة منه إلى العبادات العامة أو العبادات المقررة للجميع ، وهى على حد تعبيراتهم « العبادات الأرثوذكسية » .

ويقول ناقد الصحيفة الأدبية : « إن نشر هذه الدعوات بين المسيحيين ، وهى مما يغلب عليه اللطف المستحب ، خليقة أن تقرب أسباب التفاهم بين الديانات فيما هو أقرب الأمور إلى جوهرها جميعا وهو العبادة . وإن العبادة الإسلامية بأسلوبها الصوفى على الخصوص لتحمل كثيراً من معانى المشابهة والمشاركة بينها وبين العبادة المسيحية » .

ويمضى الناقد قائلا : « ولم تقصر المؤلفة اختيارها على هذا النوع — يعنى نوع الدعوات الصوفية الخالصة — بل هى تعرض لنا ما يلتبس بشىء من الكثافة فى أوراد المتصوفين المعاصرين ، وأن هذين النمطين من أنماط الدعوات الصوفية ليظهران معا بين المسلمين كما يظهران متصاحبين فى تقاليد أكبر الكنائس الغربية » .

نقول : إن عيب هذا الكتاب وأمثاله أن مؤلفيها يحشرون فيها كل ما ينقلونه عن الإسلام إلى صعيد واحد ، ولا يكتفون بالجانب الخالص منه متعللين بدعوى الحيدة واجتناب التحيز لهذا الفريق أو ذاك فيما ينسبونه إلى أتباع الديانة التى هم غرباء عنها ، متهمون بالغرض إذا تشيعوا لفريق من أتباعها على غيره . . . ولولا هذا الخلط الذريع لكانت هذه الدعوات عنوانا صالحا للديانة الإسلامية فى جوهرها ، وهو جوهر العبادة كما قال ناقد الكتاب .

وعندنا أن الإسلاميات التى تنشر فى الغرب تحتمل الترتيب والتقديم بالأولية من وجهة النظر الإسلامية ، فأجدرها بالنشر — وأولها فى هذا الترتيب — أمثال هذه الدعوات والصلوات ، على شريطة السلامة من شوائب التصوف الكثيف كما وصفه ناقد الكتاب ، ومن شوائب التصوف المدخول الذى تطرق إلى الإسلام من بقايا الديانات الشرقية الخالية ومنه ذلك الإغراق فى دعوى الحلول ودعوى « الإلهية الكونية » التى تسمى عند أصحابها بوحدة الوجود ، ولا ينكر المسلم أن يؤمن بالتجلى الإلهى فى آيات الكون بين السموات والأرضين ، فإنه مأمور بالبحث عن هذه الآيات بنصوص الكتاب ووصايا الأحاديث النبوية ، ولكنه ينكر أن يؤمن بالوثنية الكونية التى تصدق على من يؤله الكون كما تصدق على من يؤله جزءا من أجزائه ، فهو فى تنزيهه للوجود الإلهى لا يرفض عقيدة من العقائد كما يرفض هذه « الوثنيات » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإذا سلم كتاب الدعوات الإسلامية من أوراد أدعياء الصوفية ، ومن لوثة الحلول ووحدة الوجود فكل ما بقى منها فهو الدين الحق على أفضل ما يكون فى عقل الإنسان وضميره ، وليس لدين من الأديان دعوات أو صلوات ترتقى إلى أفق من التنظيم أرفع من أفقها الذى ارتفعت إليه فى الإسلام .

فى البرهمية سبحات من التصوف الروحانى تعلو إلى الذروة بين الدعوات الدينية ، ولكنها تفارق التوحيد دائما كلما أوغلت فى أعماق العقيدة أو رجعت إلى التشبيه بالقوى الطبيعية . وكثيراً ما ينتهى بها أسلوبها فى التنزيه إلى فناء : كالعدم يتساوى فيه الوجود المطلق و « اللاوجود » على الإطلاق ! .

وفى غير البرهمية من الديانات الكبرى أوصاف للإله تهبط بالخالق إلى مشابهة الخليقة وتنسب إليه أفعال كأفعال أرباب الديانات الأولى ، وهذه جميعا شوائب للإيمان بالربوبية يتنزه عنها الإسلام . ولا تخفى على غير المسلمين بل يحسبها بعضهم غلوا فى « الإبعاد بين الخلق والخالق ! » .

ودعوات الإسلام حقيقة أن تسكت المتخرصين عليه ممن يتهمونه بالمادية أو بالوقوف عند حدود الحياة « العملية » التى تتجافى بالمسلمين عن صفاء الروح وتلصقهم بنعيم الأرض حتى حين يتصورون نعيم السماء .

ولو أن كتاب الدعوات الإسلامية خلا من الدعوات المدخولة لكان فى الطليعة من الكتب التى يحق لها النشر بين الأوربيين من وجهة النظر الإسلامية . ولكننا نستكثر على مؤلف غير مسلم أو مؤلفة غير مسلمة أن يعمل لإبراز الإسلام على هذه الصورة المثلى ، وحسبه أنه يعف عن محاسنه فلا يطمسها .

* * *

أما الكتاب الآخر عن الإسلام ووحدة الجماعة فقد كتبنا عنه منذ شهرين فى مجلة منبر الإسلام ، وخلاصته فى بضعة سطور أن الدعوة المحمدية كانت دعوة تجديد بين أناس غير محافظين ؛ لأن كفار قريش كانوا قد تبدلوا فى معيشتهم وخالفوا سنن البداوة العربية من قبلهم ولكن الفارق بين تجديدهم وتجديد الإسلام أن الإسلام أعطى ضمير الفرد « مثلا أعلى » يستقيم عليه وجوده بين أبناء قومه وبين بنى الإنسان عامة ، وأنه أعطى الجماعة الإسلامية كيانا يسمى « الأمة » ويجعل لها من ثمة قبلة واحدة وإمامة واحدة تثبت على تقلبات الأيام وصروف التاريخ .

وإنما نعود إلى الكتاب على هذه الصفحات لنعلق على تعليق الصحيفة الانجليزية ، فإن ناقد التاريخ - على خلاف العادة فى هذه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الصحيفة - قد أنحى على الكتاب ومؤلفه إنحاء يكاد أن يذهب إلى الإهانة والتنديد، ولعله بهذا المسلك العجيب يعزز الشبهة التي تساور أذهان قراء الصحيفة في المستويات الأخيرة، وهي شبهة الهوى المصبوغ بصبغة التطرف الاجتماعي الذي يقترن أحيانا بالإسرائيليات ونزعات الهدم والفوضى في الفن والأدب. وكأنما استحق الدكتور مونتجومري ذلك الإنحاء عليه من ناقده المتطرف لأن كتابته في نظره قد تحسب من قبيل المحاباة للإسلام. وإن تكن في نظر القارئ المسلم دون حق الإسلام في التعظيم والتحقيق.

وأكبر مآخذ الناقد على مؤلف الكتاب أنه نسي «قابلية الدين» للمفارقات وهو يكتب عن الإسلام وعن النظم السياسية والاجتماعية في تاريخه. فاستعظم على الإسلام أن ينجو من الاتهام بمصادمة الواقع ومخالفة المعقول، كأنه كان يطالب المؤلف بتكرار المقال عن جمود النظام الاجتماعي في الإسلام لأنه لم يقرر مبادئ الاجتماع التي تتابعت بعد قيام دعوته لينقض بعضها بعضا إلى هذا الزمن الأخير، وليس تعليقنا على هذا التعليق إنكاراً لما ادعاه عن موقف الإسلام من المذاهب الاجتماعية التي ظهرت منذ قيامه ولا تزال تظهر إلى اليوم، ولكننا نعلق عليه لنقول إن الإسلام قد استوفى شرط الدين حقا لأنه عقيدة تثبت على تقلب المذاهب الاجتماعية ولا تزول مع كل عقيدة منها، وقد يزول نظام رأس المال ويزول غيره من النظم التي تعاديه أو تواليه، ولكن الإسلام يقيم المجتمع نظاما قويما لا يعنيه تبدل الأسماء حين يكفل له تحريم الاحتكار ويوجب فيه إنصاف العاملين ومعونة العاجزين عن العمل، وأيما نظام يمتنع فيه كنز الذهب والفضة وتداول الثروة بين الأغنياء، ويلتزم فيه المجتمع بأعباء الضعفاء والمحرومين فهو نظام إسلامي مشروع، وهو كذلك نظام إنساني متجدد، والمسلمون الذين يطبقونه أناس مفروض فيهم أنهم خلائق عاقلة، تنطلق أيديها بتدبير مصالحها ولا تملى عليها قبل ولادتها إملاء الحروف والبنود، لكي تطاع على السماع، ولا تسمح لمن تملى عليهم بموقف غير موقف الخضوع والاتباع.

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آراء وأحاديث

كلمة الأستاذ الأكبر في هيئة التخطيط:

في مساء يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول (٢٨ أغسطس) اجتمعت هيئة التخطيط لقانون الأزهر الجديد ، وافتتحها فضيلة الإمام الأكبر بالكلمة التالية:

إخواني :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إن الأزهر الذي حمل رسالته بأمانة وسهر عليها في مدى عشرة قرون كاملة يعالج فيها تفسير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبين للمسلمين أخلاق الإسلام وآداب الإسلام ، والمعاملة التي أخرجها الله لعباده — إنه الآن على أبواب عهد جديد مجيد إن شاء الله .

وإني لأجد نفسي بين عدة لجان أتردد في أيها أبدأ بشكره ، أنبدأ بشكر رجال الإقليم الشمالي على تلك الزيارة الكريمة ؟ أم بشكر رجال الإقليم الجنوبي على استقبال إخوانهم الشماليين للعمل على تنظيم الأزهر تنظيما يتفق مع مبادئه .

أيها الإخوان :

لقد مرت على الأزهر عدة تنظيمات ، ولكن لم يكن من بينها تنظيم كهذا التنظيم الذي صدر به القانون أخيرا . والذي أقره مجلس الأمة لإقليمي الدولة الشمالي والجنوبي ، هذا التنظيم الذي يتناول الأزهر من بدايته إلى قمته فيتناول جمعيات تحفيظ القرآن الكريم كما يتناول كليات الطب والزراعة والهندسة بجانب كليات الدراسات الإسلامية والعربية ، وهو يشتمل على الخير كله الذي يعم الأزهر ويعم العالم الإسلامي بهذا البعث الجديد ، وكلنا يعرف مهمة الأزهر في الحياة وهي مهمة لها خطرها ومكانتها .

وهذا التنظيم يشمل هذه المهمة ويؤكدها.

وإني أحمد الله وأشكره ، على ما أنعم علينا من هذه النخبة الكريمة من علماء الإقليمين الذين سيكون لمجهودهم المشكور المتواصل أعظم الأثر في تخليص الإسلام من الشبهات التي علقت به وليست منه وإظهاره دينا كريما لا شائبة فيه ولا جمود .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا شيء مما ستعالجونه أيها الإخوان ، والذى هو بين أيديكم ، تعالجونه بما أعرفه فيكم من الإخلاص والإيمان وما ينتظره منكم الأزهر والعالم الإسلامى كله .

وقد بدا لى فى رحلتى إلى الشرق الأقصى أن هناك شعوبا تتطلع إلى الأزهر وتنتظر منه الإيمان والإرشاد وتنتظر أن يقدم لها غذاء لأرواحها شهيا لاغصة فيه ، وقد مرت على الأزهر أطوار ذاق فيها مرارة الجمود ومرارة العقم .

وقد آن الأوان لأن ينفض هذا الغبار ويظهر مبادئ الإسلام قوية واضحة ، فلا اجتهاد أغلق بابه ، ولا حرية ناقمة يحجر فيها على الإنسان فى سبيل الفهم والعلم والتطور .

وإنى أضع هذه الرسالة بين أيديكم مع ثقتى فى أنكم ستبذلون جهدكم بما عرف فيكم من إخلاص وكفاءة وإيمان .

ولست أخص بالشكر جماعة دون جماعة ، ولكن أشكر الله الذى هيأ رجل الجمهورية الأول الرئيس جمال عبد الناصر وهيأ لرجال الأزهر ورجال الجمهورية جميعا لهذا الإعداد العظيم الذى يؤكد رسالة الأزهر ويدعمها .

وختاما لكم تمنياتى أن يكلل الله جهودكم بالنجاح والصلاح .

وفقنى الله وإياكم أجمعين .

وفى هيئة التخطيط العالمى :

وفى الجلسة التى عقدتها هيئة التخطيط للمعاهد الأزهرية ألقى فضيلته الكلمة الآتية :

باسم الله ، وبحمد الله ، وشكره ، وباسم حق الأمة علينا فى التعليم ، وباسم حق الإسلام علينا فى الانتشار والذيوع نفتتح الجلسة مع إخوانى وأبنائى رجال التعليم والتهذيب والتثقيف مستعينين بالله للوصول إلى الغرض المقصود وإلى الهدف المحدد لهذا القانون الجديد الذى وحد بين طوائف الأمة وجعلها طائفة واحدة فى التفكير والتثقيف بعد أن كانت فيما أرى ويرى الناس طائفتين يشبه أن تكونا متخاصمتين كل طائفة لها تفكيرها ولها وجودها ولها دائرة عملها ، ولا شك أن الأمة التى تلتئم من طوائف هذا شأنها تكون أمة هزيلة ضعيفة فى تصورها لأهداف حياتها . أما الآن فنحن نرحب برجال التربية والتعليم ، والأزهر يضع يده وجميع إمكانياته معهم فى النهوض بالأمة والسير بها فى سبيل التقدم والازدهار .

ولن يكون هناك بعد هذا رجل أزهرى ، ورجل تربوى ، بل الكل أزهرى والكل تربوى . وهذا من فضل الله علينا ، وهذا هو المنطق الوحيد الذى حظيت به تلك الوحدة التى سرنا إليها فى الجمهورية العربية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإنا نشكر الله سبحانه وتعالى على أن مهد لنا ذلك السبيل ، فكنا بالأمس طائفتين يشبه أن تكونا متخاصمتين ، كان الأزهرى ينظر إلى غيره وغيره ينظر إليه كما ينظر الأباعد بعضهم إلى بعض ، وكأن لم يجمعهما وطن واحد ولم تظلهما سماء واحدة ، ولم يفترشا أرضا واحدة ، ولكن من الأمس فقط اجتمع الأزهرى مع غير الأزهرى متصافحين متنافسين مشتركين فى المهمة وفى الهدف وفى السعى إلى الغاية التى يهيئونها لأبناء الجمهورية العربية لا فرق بين مصرى ولا بين سورية فالكل سواء فى سورية ومصر والجمهورية العربية بإقليميها وبأجزاء كل إقليم ، أصبح الجميع وحدة لا تعدد بينها فى التفكير ولا فى الهدف ، وهذه غاية كنا نرجوها من الله من عهد بعيد . كان الأزهرى ينظر إلى غيره كما ينظر إلى الأجنبى ، وكان الأزهرى ينظر إلى غيره أيضا نظرة اشمئزاز أو كما يخيلها له وجوده الدينى ، فيفاضل بين نفسه وإخوانه الأزهريين وبين إخوانه غير الأزهريين ، ولكننا الآن والحمد لله قد اجتمعنا جميعا حول مائدة واحدة لبحث قانون التعليم فى الجامع الأزهر ـ التعليم المشترك بين أبناء الأمة جميعها ـ الذى يبتدئ بتحفيظ القرآن الكريم ، وهو هو الأساس فى التعليم العام والتعليم الخاص عندنا وعند غيرنا ، ومعاذ الله أن يكون هناك غيره فكلنا مراد ذو تفكير واحد ، فنبتدئ التعليم من تحفيظ القرآن الذى هو الأساس المقدس عند الجميع وينتهى بالكليات فى التعليم الجامعى العام . هذه هى الجلسة الثانية ، وقد سرتنى بالأمس الجلسة الأولى التى كانت تمثل طوائف التخطيط الجامعى للجامعة الأزهرية وقد وصلنا والحمد لله إلى ما اطمأنت إليه قلوبنا ونحن سائرون أيضا معهم إلى أن نصل إن شاء الله لما يطمئن قلوبنا فنحن متحابون والله سيسهل لنا بلوغ الأهداف والوصول إلى الأغراض ، وإنى أكل بعد ذلك العمل إلى الإخلاص الذى نؤمن به عند إخواننا رجال التربية والتعليم ، وبعد أن أشكرهم على تلك الجهود التى بذلوها . أما أبناؤنا رجال الأزهر فإنى أدخر لهم عند الله شكراً لا يعاد له شكر لا منى ولا من أكبر منى فإن شكر الله وثواب الله هو أجزل من شكر العباد وعلى الله التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

فى لجنة التنظيمات الإدارية :

وألقى فضيلة الأستاذ الأكبر الكلمة التالية فى اجتماع هيئة تخطيط التنظيمات الإدارية والمالية واللوائح للمعاهد والكليات :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

باسم الله والحمد لله نفتتح الاجتماع الثالث لهيئات التخطيط لقانون تنظيم الأزهر الجديد الخاص بهيئة تخطيط التنظيمات الإدارية والمالية واللوائح لمعاهد الأزهر وكلياته ، وإني طالما تمنيت على ربي أن تجتمع طوائف المثقفين الدينيين والمدنيين حول مائدة واحدة هي مائدة العلم والتثقيف .

وإني لأثق في إخلاصكم للقيام بوضع الخطط والأسس التي تهدف للوصول بالأزهر إلى مستقبل متكامل ، وأكرر شكري باسم الأزهر وباسم المسلمين لكم على جهودكم ، وإني إذ أذكر هذا أسجله في تاريخ حياتي وفي تاريخ الأزهر الذي ظل عشرة قرون كاملة يحمل رسالة الدين ونشر اللغة العربية .

وإن شاء الله سيستمر عشرات القرون حاملا لواء الدين والعلم كل ذلك بفضل إخلاصكم وتآزركم في النهوض به ، وفقكم الله للخير .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

شيخ الأزهر يستقبل :

مدير جامعة الادفنتست بأمريكا :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه دكتور والف واطسن ، مدير جامعة الادفنتست بواشنطن . يرافقه مستر روبرت دارنل الأستاذ بكلية الشرق الأوسط في بيروت ، ومستر وليم لاشر الأستاذ بكلية الادفنتست والأستاذ عنتر يعقوب سكرتير جمعية الادفنتست بمصر الجديدة .

وقد دار الحديث حول جهود الأزهر في سبيل نشر الثقافة الإسلامية في أنحاء العالم وفي سبيل نشر السلام في الأرض ، كما تناول ما يقدمه الأزهر لطلاب البعوث الإسلامية الذين تزيد جنسياتهم على الخمسين وتهيئة أسباب الراحة والاستقرار لهم .

ثم سأل الزائر عن مستقبل الأزهر بعد إعادة تنظيمه ، فأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر بأن الأزهر في ظل القانون الجديد سيكون دينياً وعلمانياً ، وسيخرج الأطباء والمهندسين ، وسيوفدهم إلى العالم الإسلامي وسيعالج الطبيب الأزهري القلب والروح بجانب علاجه للبدن .

وسأل الزائر فضيلته عما إذا كان هناك وسيلة للتعاون بين الديانات للدعوة إلى السلام في أنحاء الأرض ، فأجاب الأستاذ الأكبر بأن الديانات من الله ، والله وحده هو السلام ، ودعوته إلى خلقه باسم السلام . الذي هو عنوان الإسلام ، فالإسلام يدعو إلى السلام ، وإلى دار السلام والله تعالى يقول : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا . ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فعبر الزائر عن إعجابه بمبادئ الإسلام. ثم صرح لفضيلة الأستاذ الأكبر بأنه عضو في جمعية السبتيين التي توجد لها إدارة في واشنطن، وفروع في أنحاء العالم، وهي تقوم على الدعوة إلى السلام والبعد عن الخمر والميسر والتدخين وأكل الخنزير.

وقد دعا الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة الولايات المتحدة وقال: وسأكون في استقبال فضيلتكم في واشنطن وسيكون لهذه الزيارة أثرها الطيب.

فوعده فضيلته بتلبية هذه الزيارة، وشكره على مشاعره الطيبة.

ويستقبل أيضاً إمام عمان:

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمنزله سمو الأمير غالب بن علي إمام عمان، يرافقه شقيقه الأمير طالب بن علي. والشيخ أحمد ابن عبيد، والشيخ سليمان محمد.

وقد شهد المقابلة الأستاذ الدكتور محمد البهي مدير الإدارة العامة للثقافة الإسلامية، والأستاذ أحمد نصار مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر.

ودار الحديث حول واجب العلماء والأمراء في مؤازرة الكفاح من أجل الحرية في جميع البقاع، وبخاصة في عمان.

قال فضيلة الأستاذ الأكبر: إن الأزهر يضع يده في أيديكم لتؤكد تضامننا ووحدتنا لمحاربة المستعمرين الطغاة بما حارب به رسول الله، وللعمل على دعم السلام وتأكيده في كل مكان، وإني ليحزنني أن أسمع عن مجيات عدن باعتبارها محمية من المستعمرين، إن هذا من باب الابتلاء، ابتلينا بهذه الحماية من المستعمرين ولكن في وقت قريب سيزول هذا الاستعمار البغيض. إننا نريد أن تكون البلاد لأهل البلاد، نريد أن نكون أقوياء في الدفاع عن أوطاننا، وفي الاحتفاظ بكرامتنا.

ثم تطرق الحديث حول إعادة تنظيم الأزهر فقال الزائر: لقد سررنا بتطوير الأزهر، وهنيئاً أنفسنا بهذه النهضة الموفقة. كما زاد من سرورنا أن الأزهر سيكون له مجمع بحوث إسلامي يضم بين أعضائه ممثلين من مختلف البلاد الإسلامية للعمل لتوحيد الرأي ليخرج على جميع المسلمين في رأي موحد على أساس من كتاب الله وسنة رسوله. بغض النظر عن اختلاف المذاهب.

ثم طلب سموه من فضيلة الأستاذ الأكبر أن تمثل «عمان» في هذا المجمع الإسلامي الكبير. كما صرح بأنه سيعمل على إيفاد الطلاب من عمان للدراسة في الأزهر بعد التخلص من الاحتلال البغيض.

ثم أضاف الزائر أن عدد سكان عمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مليون ونصف مليون من المسلمين مذاهبهم مختلفة ، وأكثر المذاهب عددا مذهب الأباضية.

فقه الأباضية :

وقد صرح الدكتور محمد البهى المدير العام للثقافة الإسلامية بأن الأزهر سيعنى بفحص تراث الأباضيين ، حتى تكون كلمة المسلمين واحدة ، ثم أعلن أن إدارة الثقافة على استعداد لتلبية كل رغبة لنشر الثقافة الإسلامية فى أى مكان ، كما وعد ببحث كتاب « جامع ابن بركة » فى الفقه الإسلامى الذى قام بتأليفه الشيخ أبو محمد عبد الله بن بركة ، وهو من المخطوطات القيمة ، حتى يمكن الانتفاع به .

وقد شكر فضيلة الأستاذ الأكبر إمام عمان على زيارته وقال له : إنها لمناسبة سعيدة أن اقترنت زيارتكم لنا بمناسبة كريمة هى ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنه لفأل طيب نرجو أن يكون بادرة طيبة لجمع الكلمة وتوحيد الجهود لمقاومة الغاصب فى عمان وفى كل مكان ، وفى نشر السلام فى الأرض ونرجو أن يمنحنا الله القوة والوحدة ويهيئ لنا سبيل التضامن لنواجه كل دولة باغية ، ولنعمل جاهدين حتى يعم بلادنا سلام وخير ورخاء .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وفاة عالم جليل

نعى إلينا - والمجلة مائلة للطبع - فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن عيسى مدير المجلة السابق ومدير تفتيش العلوم الدينية والعربية ، والمجلة إذ تشارك أسرته وإخوانه وتلاميذه شعور الأسى تتوجه مخلصة إلى الله العلى القدير أن يتغمد فضيلته بالرحمة وأن يسكنه فسيح جناته ، وفاء ما قدم للعلم والدين من جليل الخدمات .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

نقد وتعريف

محمد عبد الله السمان

١ — وسطية الإسلام

لفضيلة الشيخ محمد محمد المدني :

رسالة لأستاذنا الشيخ محمد المدني هي إحدى حلقات دراسات في الإسلام التي تصدرها وزارة الأوقاف ، بحثها جاء مركزاً وافياً صغر حجمها ، وهدفه أولا أن يقتنع المسلم بأنه يعتنق أكمل الأديان وأعدلها ، وفكرته آية كريمة من كتاب الله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ... » .

أما أسلوب البحث فهو الإفصاح عما يراود الأفكار من شبه ، وأما معنى الوسط فتعريفه في اللغة : اسم لما بين طرفي الشيء ، وهذه كلها بمثابة مقدمات بين يدي البحث .

عرض أستاذنا بعد ذلك لمظاهر الوسطية : المزاوجة في طبيعة الإنسان ، الاعتراف بالواقع البشري ، مسايرة الفطرة وتهذيب الغرائز ، بساطة العقيدة ويسر التكاليف .

وواصل فضيلته بحثه بفصل عن هدي الإسلام في الزواج والطلاق ، فالزواج سنة طبيعية لا بد منها في بقاء النوع الإنساني ، ورابطته مقدسة أسماها القرآن « عقدة النكاح » إشعاراً بأنها رابطة وثيقة يجب الحرص عليها ، وأن فصم ميثاقه الغليظ مما لا يحبه الله تعالى .

وتحدث فضيلته عن الوضع الاجتماعي لكل من الرجل والمرأة . فالأحكام التي تشرع للناس ويصلح عليها شأنهم هي التي توافق طبيعتهم وواقع أمرهم ، ثم ختم أستاذنا بحثه بدراسة موجزة عن بعض أصول الأحكام : القطعيات والظنيات في الشريعة .

أسلوب المشرع في العقائد والعبادات والمعاملات ، مجيء التكاليف في حدود الاستطاعة ، وهو المعبر عنه بنفي الحرج .

إن موضوع الرسالة لم يلتزم كله المدلول اللفظي لكلمة الوسطية ، لأن أستاذنا لم يربط به بعض بحوثه . كالزواج والطلاق وتحديد الوضع الاجتماعي للمرأة والرجل ، وفضيلته عني بعرض المعاني الإسلامية عرضاً موفقاً وإن كان لم يتخلل هذا العرض مناقشة كما عودنا في كثير من دراساته ، وهو بلا شك من المعروفين بغزارة العلم ، وعمق التفكير ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٢ — تأملات فى المجتمع العربى

للأستاذ مالك بن نبى

المؤلف عالم جزائرى ، ثقافته أوربية فى التخطيط والمنهج ، إسلامية فى الفكرة والهدف ، وهو مهندس يعنى بالنظريات الرياضية فى شتى أبحاثه التى قدمها للمكتبة العربية تحت عنوان « مشكلات الحضارة » وهى زهاء العشرة .

وكتابه الجديد تناول فيه : الصعوبات فى المجتمع ، والمبررات فى المجتمع ، القيم الإنسانية والاقتصادية ، الديمقراطية فى الإسلام ، التضامن الإفريقى الآسيوى ...

وأستاذنا المؤلف يرى أن عبارة ... الديمقراطية فى الإسلام . . مما لا تشعر عادة بأنه يتضمن مسلمة لم يسلم بها أحد تسليم المقتنع ، وإنما نسلم بها خضوعا لمسايرة العرف الذى فرضته علينا الحضارة الغربية ، حتى أصبحنا نضم إلى الإسلام كل ما نعتقد أنه ذو قيمة حضارية دون أى تمحيص فيما يربطه أو يحدد درجة ارتباطه بالإسلام أو ينزه عنه الإسلام ، فلفظة الديمقراطية تعبر عن سلطة الشعب . وهى لفظة مستوردة عرفت فى اللغة اليونانية قبل خمسة قرون قبل الميلاد ، ولفظة الإسلام لم تعرف إلا فى القرآن . إذن فالصلة التاريخية والجغرافية مفقودة ، ومعنى هذا أنه لا ارتباط بين الديمقراطية . . والإسلام .

لا ريب فى أن مدلول لفظة الديمقراطية هو حكم الشعب ، والإسلام لا ينكر لهذا المبدأ . والتزام المسلمين بالقرآن فى الحكم لا ينفى الاعتراف بوجوده ، فالقرآن نصوص بمثابة أصول . يفسرها ويخرج فروعها المسلمون . والدساتير الوضعية القديمة والحديثة لها إطار وخطوط عريضة ، يعمل فكر الشعب داخلها ، ويشرف على تطبيقها ، وأعتقد أن أمر الشورى الوارد كمبدأ فى القرآن نفسه ، إن دل على شىء فإنما يدل على الاعتراف بوجود الشعب المسلم .

ولا يمكن بعد ذلك أن يكون التباعد التاريخى والجغرافى يبعد كلمة الديمقراطية عن الإسلام ، ما دامت مدلولات الديمقراطية هى الاعتراف بوجود الشعب ، والمؤلف فى نهاية هذا الفصل يتفق معنا . بل يرى أن عناصر التشريع الإسلامى تكون الجانب الاجتماعى فى الديمقراطية الإسلامية ، وأن المبادىء التى قررها الإسلام فى المجالين السياسى والاجتماعى وضعها فى أساس ما يمكن أن نطلق عليه الديمقراطية الإسلامية .

المؤلف أستاذ متمكن من الثقافة الإسلامية ، وإن كنا نود أن تكون عنايته بالأحاديث

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النبوية أدق لاسيما فى الحديث المشهور الذى سأل فيه جبريل الرسول عن الإسلام والإيمان.

٣ — بين يدى عمر

للأستاذ خالد محمد خالد

الأستاذ خالد فى كتابه الأخير هذا ، أديب فنان رقيق الإحساس ، أجلسنا على مائدة عمر بن الخطاب ، وقدم لنا ألوانا شهية من سيرته ـ رضوان الله عليه ، وهو يذكر فى مقدمته أنه : لن يكتب تاريخا لعمر ، ولا يزيد الناس معرفة بعظمته وشأنه . ولا يزكى على الله نفسه بالكتابة عن رجل أحبه واصطفاه ، والمحاولة التى يصدرها أكثر تواضعا من هـــذا كله ، إنه يصغى إلى أمير المؤمنين ... لا أكثر ، ويتطلع إليه لا أقل .

وهكذا يعرض الأستاذ خالد شخصية عمر الذى كان إسلامه استجابة لدعوة الرسول حين دعا الله أن يعز الإسلام بأحب العمرين إليه : عمرو بن هشام «أبى جهل» وعمر بن الخطاب ، وفاز بها عمر ، ووسع الناس بإسلامه خيرا . ثم شخصية عمر الحاكم الكبير القلب ، التى كبرت أمانة الحكم لديه ، فتمثل المسئولية الدقيقة إزاء هذه الأمانة ، حتى كان دائب المناجاة لنفسه فى ظل عمل يظن نفسه أنه غير موفق فيه : ماذا تقول لربك غدا ؟ .

ثم شخصية عمر الحاكم الكبير القلب ، الذى كبرت لديه مسئولية الحكم ، فتعمق فى العدل والمساواة وإطلاق حرية الرأى والنقد لأساليب حكمه ، والسمو إلى أرفع درجات التواضع .

هكذا يعرض لنا الأستاذ خالد عمر بن الخطاب الذى لم يكن رجل سلطان لأنه فوق السلطان ، وإن مشهدا واحدا من مشاهده لخير مما طلعت عليه الشمس وغربت من عروش وتيجان وزخرف وصلف ، وإن الكمال الإنسانى حين أراد أن يحقق وجوده المادى المحسوس تجسد فى نماذج نادرة وباهرة من البشر ، وإن أحد هذه النماذج العليا ، لهو عمر بن الخطاب .

كما يقول العالم الأديب : الأستاذ خالد محمد خالد .

٤ — أحمد بن حنبل

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومى

كتاب الأستاذ الدومى يعرض شخصية أحمد بن حنبل ، الإمام الممتحن بين محنة الدين ومحنة الدنيا ، دعاه الكلام عن محنته هذه إلى إيراد تفسير لغوى للمحنة لم يسبق إليه فيمن كتبوا عن محنة الإمام ، وقد عرض هذا التفسير اللغوى فى سطور ص ٩٠ مستخرجا من قواميس اللغة مدلول لفظة « محن » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما الكتاب فى مجموعه فهو يقدم بشهادات من الفقهاء والمحدثين للإمام وترجمة موجزة لنشأته، ثم يعرضه كشخصية واضحة، ويتناول قصته مع المعتزلة، والنص الكامل لرسالته على الجهمية والزنادقة، وما لقيه من اضطهاد فى حكم المأمون وأخيه المعتصم، والواثق والمتوكل بنى المعتصم، ثم انفراج الأزمة فى عهد الأخير وإقبال الدنيا على الإمام وتعرضه لمحنتها.

وفى الكتاب تسجيل لقصة «خلق القرآن» وهى مخطوطة نادرة لابن الإمام، ثم للنص الكامل لكتاب الإمام عن الصلاة.

الحق أن المؤلف بذل مجهودا فى كتابه الذى يقع فى ثلثمائة وأربعين صفحة تقريبا، والمراجع التى اعتمد عليها مراجع أصيلة، ولم ينقصه جانب التحليل السريع لكثير من الأحداث والمواقف، ولا المسحة التاريخية لها، فجاء الكتاب بعد ذلك رحلة ذهنية ونفسية يقطعها القارئ فى أيام معدودة.

إلا أنه من الملاحظ أن فضيلة المؤلف لم يتقيد تقيدا تاما بالعنوان الذى رضيه لبحثه، فهو كما نعلم «الإمام أحمد بن حنبل» بين محنة الدين ومحنة الدنيا، ولا نظن أن إضافة رسالة الإمام عن الصلاة إلى الكتاب وهى فى أربعين صفحة مما يتصل بموضوع الكتاب، كما أن الاستشهاد بما يستلزمه البحث من مخطوطة ابن الإمام كان يكفى بدل تسجيل نص المخطوطة التى جاءت صفحاتها فى حوالى أربعين صفحة أيضا. وكنا نود أن يستغل هذه الصفحات الثمانين فى صلب موضوع، المحنة وهو موضوع الكتاب، لاسيما وأن المؤلف لم يناقش آراء المستشرقين فى المحنة وهى كثيرة، ولم يكن فى مراجعه إلا كتاب المستشرق «باتون».

ومع هذا فالكتاب جدير بأن يتخذ لنفسه مكانا فى المكتبة الإسلامية.

* * *

٥ — القضاء والقدر

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

الأستاذ عبد الكريم الخطيب قدم فى العامين الأخيرين بضعة بحوث إسلامية أخذت مكانها فى المكتبة الإسلامية. وهذا كتاب جديد يعرض قضية القضاء والقدر بين الفلسفة والدين، سنكتفى بالتعريف به فى هذه المرة لنعود إلى مناقشته مرة أخرى لجدارته بالمناقشة والنقد، لأنه يتناول مشكلة دينية خطيرة، لا زالت تشغل الأذهان، ويختلف حولها كثير من العلماء والفلاسفة والمفكرين.

والبحث دراسة كاشفة لمفاهيم ثلاثة:

«الجبر والاختيار. الأسباب والمسببات. الخير والشر».

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قدم المؤلف لبحثه بمدخل يتناول إيجاز عالم ما وراء المادة ، ثم اتبع هذا المدخل ببحث عن الإنسان هذا الكون الصغير ، ثم أفرد المؤلف بابا للجبر والاختيار عند الإنسان ، وبابا للخير والشر إذ كان القضاء والقدر متعلقا بهما ، ثم يجيء بعد هذا مبحث القضاء والقدر ، وينتهي الكتاب بخاتمة تؤيد أمرين : الإيمان بالقضاء والقدر ، وترك المنازعة في القدر والتنقيب عنه .

والبحث في مجمله دراسة منطقية متعمقة ، ومجهود فكري ضخم لا غنى لباحث عنه .

* * *

٦ — تسلية المحزونين

للشيخ محمد محمود يوسف

فضيلة المؤلف لقي ربه بالأراضي الحجازية قبل أن يرى هذا الكتاب ، وموضوعه : جولة روحية ممتعة ، في حقيقة الدنيا ، وحكمة الابتلاء ، ووسائل النجاة في هذه الحياة ، وألوان من الحكم والطرائف الشهية ، ثم موعظة أبي الحسن . . علي الرضا بن موسى الكاظم ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين ثم أرجوزة تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي . وهي في المواعظ والحكم ، وكذلك الموعظة الشعرية لصالح بن عبد القدوس .

إن موضوع الكتاب فيه تسلية حقا للذين تخلت عنهم الدنيا ، أو منحتهم الأيام نعمة الابتلاء . والنفس في حاجة ماسة إلى الترويح ، لاسيما إذا كانت وسيلته جولة روحية ممتعة في كتاب الله وأحاديث رسوله ، وحكم السلف الصالح . .

* * *

٧ — إصدار

للأديبة السيدة عزيزة الابراشي

هذه قصة تدور حول قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين » وهي قصة جديرة بالتقدير ، ودليل جدارتها تقريرها في وزارة التربية والتعليم للإقليم الشمالي .

إن هذه القصة انتزعت وقائعها من صميم المجتمع الذي تحيا فيه ، كما يقول ناشرها ، الذي رأى في نشرها تدعيما لأخلاق هذا الجيل الذي كثرت أمامه المزالق وأغراه ما في الحضارة الحديثة من تهور وانطلاق . .

وحوادث القصة تدور حول فتاة عاشت في بيئة منحرفة متحللة ، حاولت أن تتمرد على تقاليدها لتعود إلى حظيرة الأخلاق الإسلامية ، ولقيت صعابا ومتاعب ، وجاهدت جهاداً عنيفاً ، حتى استوت في النهاية على سفينة النجاة . .

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بريد المجلة

وفاة الأستاذ أحمد شفيع السيد :

نعت مشيخة الأزهر في الثامن من ربيع الأول سنة ١٣٨١هـ إلى ربوع العربية وديار الحنيفة فضيلة الأستاذ الكبير أحمد شفيع السيد أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية كما نعاه تلاميذه المدرسون الأوائل بوزارة التربية والتعليم ، فكان لرحيله المفاجئ وقع أليم في الدوائر الدينية والتربوية والأدبية ، وتصاعدت عليه زفرات حارة لم يحبسها أنه انتقل إلى سعة عفو الله ورضوانه العميم .

لقد ظل الفقيد قرابة خمسة وعشرين عاما يمنصبه في الكلية يغرس في نفوس أبنائه حب الأدب والعلم ، ينمي ما يبرز من المواهب والملكات تنمية يسددها البصر الثاقب ويحوطها العطف النبيل ، فكان درسه الأدبي سلسلة تتصل بدروس من سبقه من أشياخ الأدب السلفي كالمرصفي والمهدي والسكندري وعبد المطلب ، وكان رحمه الله راوية لا يشق له غبار فهو يحفظ من شعر الجاهلية والإسلام وتراث بني العباس والأندلس ما لا يكاد يلم به سواه ، ومن جميل ما يحمد له أنه كان يروي كثيراً من القصائد السياسية المعاصرة التي كانت تقوم بعض الأسباب دون إذاعتها كهجاء المنفلوطي لعباس ، ومرثية محرم لابراهيم الوردائي الفدائي المصري ، وكلام بيرم التونسي في فؤاد ، وحديث شوقي عن عرابي ؛ فيمتعنا بهما في مجالسه إمتاعا يزيده ما يرويه من الطرائف الأدبية التي تزدحم بها كتب الأمالي والنوادر ، وله في هذا الميدان سبق ظافر ، حتى إن حديثه العادي لا يخلو من نكتة ذوقية أو تورية فنية يرسلها عفو الساعة كما تجيء .

وكان من عاداته أن يتبسط مع طلابه في الموازنة والنقد تبسطا سمحا نبيلا ، حتى ليروق له أن يتخلى عن بعض آرائه تشجيعا لطالب أبدى ملاحظة مهمة ، أو عقب على شرحه بجديد ، وأذكر أني عارضت بعض آرائه في ابن زيدون مدفعا في مغالاة أمام زملائي بالفصل ، فابتسم الرجل ابتسام من يستمع إلى التأييد لا التفنيد ، ثم أطرى وجهة نظري إطراء مشجعا . ومما قاله إذ ذاك إن سلامة المقدمات دليل لا يخطئ على صواب النظر مهما اختلفت النتائج بيني وبينه ، فكانت سماحته الكريمة درسا لا أنساه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كما أني حدثته ذات مرة عن أسباب الخلاف الأدبي بين زكي مبارك وعبد العزيز البشري ، ومضت سبعة أعوام أصدر بعدها ترجمة حافلة للبشري ، وفي خلالها ما حدثته به منسوبا إلى في عطف وتشجيع .

ولد رحمه الله بالإبراهيمية شرقية في أبريل سنة ١٩٠٣ ثم التحق بالأزهر عشر سنوات نال بعدها شهادة العالمية سنة ١٩٢٦ متخطيا بعض سني الدراسة عن طريق الامتحان الخارجي حيث لا يمنع القانون إذ ذاك ، ثم اشتغل بالمحاماة الشرعية فترة قصيرة جاوزها إلى التدريس بالمعاهد الدينية تسع سنوات فانتقل بعدها إلى كلية اللغة سنة ١٩٣٧ وصار أستاذ الأدب بها كما تقدم ، وقد أشرف على كثير من الرسائل العلمية التي تقدم بها طلبة تخصص المادة في البلاغة والأدب فكان يقترح الموضوع ويعد مراجعه ويرسم منهجه ، حتى أعان نخبة ممتازة من طلابه أصبحوا بعد حين زملاءه بالكلية فرعوا له حق الإرشاد والتوجيه ، ولم يشغله التدريس عن التأليف فأصدر كتابا عن الأدب الفاطمي والأموي ورسالة قيمة عن المتنبي وأربع مجموعات مختارة من أدب العصور ، كما كتب عدة تراجم تحليلية للبارودي والمنفلوطي والبشري وصفي الدين الحلي ، وله ديوان شعري ينحو فيه منحى البحتري سلاسة ورونقا ، وقد اشترك مع مع زميله الأستاذ محمود رزق سليم فأخرجا كتابا حافلا عن الأدب الحديث وزعت ملازمه متفرقة على الطلاب دون أن يجمع ، وله غير ذلك مقالات ذائعة وبحوث شوارد .

أما أخلاقه الكريمة فشاهدنا القوي على أصالتها المتينة أنك لا تعرف بين زملائه العلماء وأبنائه الطلاب إنسانا واحدا لا يلهج بالثناء عليه ، فقد كان رحمه الله يعيش لغيره لا لنفسه ، وكثيرا ما تردد على المصالح العامة والوزارات المختلفة في شئون الضعفاء من ذوي الحاجات متحملا كل عنت وإجهاد لينهض بعاثر ، أو يذهب بمحنة ، وقد يعطي من مرتبه المحدود إذا أعوزت الحاجة وقامت الموانع ، وله في هذا المجال أنماط من الفتوة الإسلامية جديرة أن تعيد مجد الأريحية وقصص المروءة ، ولست أحابيه في ذلك فقد تقدم إلى عمله بين يدي الله ولم يبق للمحاباة مجال يتوهمه الناس ، وكان يحشم نفسه الرد على كل رسالة تأتيه في شأن من شئون البذل والمسعى بعد أن ينفق غاية الجهد في تحقيق ما يستطيع ، كما كان يسطر لزملائه وطلابه رسائل بديعة تبتدئ دائما باسم الله وحمده والصلاة على نبيه ثم تفيض بضروب من المثل السائر والقافية الشرود كما نعهد في رسائل حفني ناصف ومحمد المويلحي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وحمزه فتح الله مترسما فى أكثرها طريقة ذوى البلاغات من صدر القرن الرابع الهجرى مترسلا تارة ، وساجعا تارات . فهو مرة أبو حيان ومرات ابن العميد ، ولك أن تزيد .

أما ديوانه الشعرى فسأجعله موضع حديثى القادم فى مجلة الأزهر ، وإنى إذ أستمطر عليه سحائب الرحمات أتلو قول الله عز وجل يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، وإنا لله ؟

محمد رجب البيومى

إلى صاحب اللغويات :

قال العلامة الأستاذ محمد على النجار فى لغوياته التى نشرت بعدد المحرم سنة ١٣٨١ تحت عنوان « فلان كفء للعمل » :

« وقد نبهنى الأستاذ الجليل محمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية إلى أن الاستعمال المنقود . . . » .

وقد لفت نظرى فى تعبيره السابق أنه عدى الفعل « نبه » إلى مفعوله الثانى بحرف الجر « إلى » والصواب أن يعدى بعلى : فكذا ورد فى المعجمات :

ففى « مختار الصحاح » ـ المعجم المدرسى ـ « ونبهه أيضا على الشىء وقفه عليه فتنبه هو عليه » .

وفى القاموس « وهذا منبهة على كذا » .

وفى الأساس « تنبهت على الأمر تفطنت له » وفى لسان العرب « ونبهته على الشىء وقفته عليه فتنبه هو عليه » .

وقد دفعنى إلى كتابة هذا ما أعرفه من حرص الأستاذ النجار الشديد على تقويم كل تعبير معوج ورده إلى أصله العربى السليم ، وهو حرص يشكر عليه أجزل الشكر ؟

أحمد قاسم أحمد

مدرس أول بقنا الإعدادية للبنين

هل يجوز بناء حوانيت تحت المسجد ؟ :

وجه السيد محمد على حسين ، من عدن ، السؤال التالى إلى لجنة الفتوى بالأزهر وإلى لجنة الفتوى بإدارة الوعظ .

« مسجد قديم قد تخرب فى عدن وأراد أهله إعادة بنائه ، وليس له موارد ينفق عليه منها ويخشى أن تتعطل إقامة الشعائر فيه ، فهل يجوز بناؤه بحيث يجعل أسفله حوانيت ليصرف من ريعها على مصالح المسجد » .

فأجابت عنه اللجنة بهذا الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأن ذلك جائز شرعا لا حجر فيه كما هو صريح مذهب الإمام أحمد رضى الله عنه ، قال فى « كشاف القناع »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجزء الثانى صفحة ٤٧٣ طبعة العامرية الشرقية : (ويجوز رفعه ، أى المسجد ، إذا أراد أكثر أهله ذلك ، وجعل تحت سفله سقاية وحوانيت ، نص عليه فى رواية أبى داود) والله تعالى أعلم ؟ .

ووضعت لجنة الفتوى لتابعة لإدارة الوعظ بالأزهر البحث التالى عن هذا الموضوع :

لم ترد نصوص من الكتاب والسنة تتناول هذا الموضوع بخصوصه ولذلك اجتهد الفقهاء فيه على ضوء المصلحة العامة التى أكدت وجوب مراعاتها النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة وعمل الخلفاء الراشدين والسلف الأخيار .

ومن هنا اختلف الفقهاء فى جواز استغلال شغل المساجد ببناء الحوانيت والمساكن أو عدم جواز ذلك ، وفى زوال صفة المسجدية عنها إذا تهدمت أو استغنى عنها ، أو عدم زوالها تبعا لرعاية المصلحة أو لرعاية التعظيم المطلوب لها ؛ ففى حاشية ابن عابدين - الجزء الثالث صفحة ٥١٢ — « إن شرط كونه مسجدا أن يكون سفله وعلوه مسجدا لينقطع حق العبد لقوله تعالى : وأن المساجد لله » .

بقاء صفة المسجدية وزوالها :

أما بقاء صفة المسجدية أو عدم بقائها فيرجع إلى الأسباب المباشرة فى إقامتها ، فهل إذا تهدم ما حولها واستغنى عنها تزول صفة المسجدية مراعاة لزوال هذه الأسباب أو لا تزول مراعاة للأثر الذى حدث واستقر ، فقد جاء فى فتح القدير — الجزء الخامس صفحة ٦٤ — ولو خرب ما حوله واستغنى عنه يبقى مسجدا عند أبى يوسف لأنه إسقاط منه فلا يعود إلى ملكه ، وعند محمد يعود إلى ملك الباني فصار كحصير المسجد وحشيشه إذا استغنى عنه ، وجاء فى حاشية ابن عابدين — الجزء الثالث صفحة ٥١٣ — ولو خرب ما حوله واستغنى عنه يبقى مسجدا عند الإمام، والثانى — أى أبى يوسف — أبدا إلى قيام الساعة ويعاد إلى الملك — أى الباقى - أو ورثته عند محمد » .

فرأى محمد ، وهو من أئمة الأحناف ، أن المسجدية تزول عن المسجد عند ما يتهدم ما حوله ويستغنى عنه ، ويرجع أصله إلى المالك أو ورثته وحينئذ للمالك أو لورثته أن يتصرفوا فيه من جديد حسبما يشاءون . بل إن المسجد يجوز أن ينقل من مكان إلى مكان آخر للمصلحة ، ويزول عن المكان الأول صفة المسجدية ؛ فقد جاء فى المغنى لابن قدامة - الجزء السادس كتاب الوقوف والعطايا — « لنا ما روى أن عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد لما بلغه أنه قد نقب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بيت المال الذى بالكوفة : انقل المسجد الذى بالتمارين واجعل بيتاً فيه قبلة المسجد ، فإنه لن يزال بالمسجد مصل ، وكان هذا بمشهد من الصحابة ولم يظهر خلافه ، وقد ذكر ابن قدامة هذا الدليل بعد أن ساق الخلاف فى هذا الموضوع يقوى به رأى الحنابلة فى جواز نقل المسجد وزوال صفة المسجدية عنه تبعا للمصلحة .

بقاء الحوانيت :

أما بقاء الحوانيت بأسفل المساجد أو استغلال علوها للسكنى فقد حكى ابن قدامة خلاف الفقهاء فيه وقوى الجانب الذى يرجحه حيث قال فى المغنى ـ الجزء السادس كتاب الوقوف والعطايا ـ « إذا جعل علو داره مسجدا دون سفلها أو سفلها دون علوها صح . وقال أبو حنيفة لا يصح لأن المسجد يتبعه هواؤه ولنا أنه يصح بيعه ويصح وقفه كالدار جميعها ولأنه تصرف يزيل الملك إلى من يثبت له حق الاستقرار والتصرف فجاز فيما ذكرنا كالبيع ، وجاء فى كتاب الدين الخالص للشيخ محمود خطاب « ويجوز نقض منارة وجعلها فى حائط المسجد لتحسينه ويجوز تحويل بابه من جهة إلى جهة أخرى للحاجة ويجوز رفعه أى تعليقه ـ إذا أراد أكثر أهله ـ أى أهل المنطقة التى يقع فيها المسجد وجعل تحت سفله سقاية وحوانيت » .

رأى اللجنة :

والذى نراه أن خلاف الفقهاء فى أمر الحوانيت أو السكنى فى سفل المسجد أو فى علوه لا يقف أمام الضرورة ؛ فإن المساجد ـ كى يبقى الإشراف عليها ويدوم الاهتمام بها ـ لا بد لها من موارد ثابتة ، وقد تكون هذه الموارد حوانيت للتجارة أو بيوتا للسكنى فى سفل المسجد أو فى علوه. وقد اعترف بالضرورة كمبدأ عام فقهاء الحنفية ومثلوا لها بضيق مساحة البلدة وكثرة السكان فيها فقد روى عن أبى يوسف أنه جوز لوجهين ـ أى العلو والسفل ـ حين قدم بغداد ورأى ضيق المنازل فكأنه اعتبر الضرورة ، وروى محمد بن الحسن أنه حين دخل الرى أجاز ذلك كله أى بناء الحوانيت والمساكن فى السفل والعلو » : فتح القدير الجزء الخامس ٦٣ والله أعلم .

فضل بعض الأيام بوجه :

لبعض الأيام فى الإسلام تاريخ وذكريات كيوم بدر وفتح مكة ، ولبعض الأماكن قدر وقداسة كالبيت الحرام والمسجد الأقصى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولبعض الليالى والأمسيات أضواء ونفحات كليالى الإسراء ، والهجرة ، والقدر فهى من أمسيات الله التى توحى بذكريات تحيا بها موات القلوب وتطامن بها من نزعات النفس ونزغات الإثم .

وقد امتدت المغالاة إلى بعض الليالى فألصقت بها ما ليس منها ، وأضفت عليها ما تبرأ الحقائق منه ، وما تؤيد الأسانيد بطلانه . وليلة النصف من شعبان من هاتيك الليالى التى تطاول عليها التمويه والتشويه حتى كاد يطمس وجه الحقيقة . إذ اعتمد البعض على أحاديث واهية واهنة ، وأقوال مريضة عن فضلها ومكانتها وأن من صام نهارها وقام ليلها ودعا بدعائها فى مسجد مع جماعة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كانت أوزاره ومجترحاته مثل زبد البحر ! وهطل عليه الرزق من حيث لا يدرى ولا يحتسب ، ومن بعد ذلك كله ينسخ الله عمره المحدد ويكتب له فى هذه الليلة عمراً جديداً مديداً ! ! .

فلا عجب أن رأينا العامة ومن لا يعرف المساجد ولا تعرفه بيوت العبادة يسرع إلى المسجد قبيل غروب شمس يوم النصف من شعبان ويصلى ركعتين بنية طول العمر ، ثم يرفع يديه مع الرافعين ويجأر بالدعاء الموضوع الخاص بها وهو « اللهم ياذا المن ولا يمن عليه » ويكرر الدعاء مرة أخرى لرفع البلاء ومرة أخيرة لمنع الشقاء والاستغناء عن الناس ! ! . ويعتمد الداعى على ما فعله فى هذه الليلة ويركن إليه ثم يفعل ما بداله بعد ذلك معتقداً أن دعاء النصف يجب كل خطيئة ويمحو كل سيئة .

أما النصوص الشرعية التى يعتمد عليها الباحث ليعلم أن كل مظاهر هذه الليلة بدع دخيلة لا تقرها الشريعة الصرفة الخالصة ، ومفتريات زائفه ومحدثات باطلة وأضاليل وأباطيل من هذه النصوص ما جاء فى كتاب العارضة للقاضى أبى بكر بن العربى : « ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يساوى سماعه » وفى كتاب الأحكام « ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه ، لا فى فضلها ، ولا فى نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا إليه » وقال الإمام النووى فى كتاب المجموع « صلاة الرغائب لأول جمعة من رجب ، وصلاة ليلة النصف من شعبان بدعتان منكرتان »

ولا يغتر أحد بأنهما ذكرا فى كتابى : قوت القلوب ، وإحياء علوم الدين ، ولا بالحديث المذكور فيهما إذ أن كل ذلك باطل .

وهناك غير ذاك من الأدلة على أن هذه الليلة ليلة عادية تحيا كسائر أخواتها من ذلك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما أورده الحافظ بن الجزري في كتابه «الحصن» والفقيه أبو شامة في كتابه «الباعث».

وقد أزال المغفور له الأستاذ الإمام محمد عبده ما ران على وجه هذه الحقيقة من سحائب وشوائب فقال في ص ١٣٢ من تفسيره جزء عم ... أما ما يقوله الكثير من الناس من أن الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة النصف من شعبان وأن الأمور التي تفرق فيها هي الأرزاق والأعمار، وكذلك ما يقولونه من مثل ذلك في ليلة القدر فهو من الجرأة على الكلام في الغيب بغير حجة قاطعة، وليس من الجائز لنا أن نعتقد بشيء من ذلك ما لم يرد به خبر متواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم. ومثل ذلك لم يرد؛ لاضطراب الروايات وضعف أغلبها، وكذب الكثير منها.

ومثلها لا يصح به الأخذ في باب العقائد ومثل ذلك يقال في بيت العزة ونزول القرآن فيه جملة واحدة في تلك الليلة، فإنه لا يجوز أن يدخل في عقائد الدين لعدم تواتر خبره عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لنا الأخذ بالظن في عقيدة مثل هذه وإلا كنا من الذين قيل فيهم «إن يتبعون إلا الظن»، وقد وقع المسلمون في هذه المصيبة: مصيبة الخلط بين ما يصح الاعتقاد به من غيب الله ويعد من عقائد الدين، وبين ما يظن به للعمل على فضيلة من الفضائل.

وعن هذه الليلة يقول فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت في كتابه الفتاوى ص ١٧٥، «والذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظت روايته عن أصحابه وتلقاه أهل العلم والتمحيص بالقبول إنما هو فقط فضل شهر شعبان كله لا فرق بين ليلة وليلة، وقد طلب فيه على وجه عام الإكثار من العبادة وعمل الخير، وطلب فيه الإكثار من الصوم على وجه خاص؛ تدريبا للنفس على الصوم وإعداداً لاستقبال رمضان، حتى لا يفاجأ الناس فيه بتغيير مألوفهم فيشق عليهم. وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الصوم أفضل بعد رمضان؟ فقال: شعبان لتعظيم رمضان. أما خصوص ليلة النصف والاجتماع لإحيائها وصلاتها ودعاؤها فإنه لم يرد فيها شيء صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يعرفها أحد من أهل الصدر الأول».

محمود بن الشريف
عضو مراقبة الكتاب
بوزارة التربية المركزية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Re-organisation of Al-Azhar University is a new revolution

By

Abd El-Moneim Khattab

More than one thousand years ago, The Fatimi leader "Gawher" had built Al-Azhar Mosque. He had built it to be a place for worshipping, but gradually, the Mosque has become, not only a place where prayers are performed, but also a school where Muslims receive religious educations.

At present time, the government of revolution issued the law of the re-organisation of Al-Azhar university. The new law stipulates that besides the faculties for Islamic studies, other faculties will also be established for Engineering, Industries, Agriculture, Medicine and Administration.

Moreover, the law maintains that Al-Azhar is the greatest Islamic authority, upholding Islamic heritage and its dissemination, and the graduation of highly educated men of Religion who participate in all fields of activity and production, besides being the cultural tie that binds Arab, Islamic and foreign institutions. According to the articles of the law Arabic will be the language of studies, other foreign languages will be taught compulsory and Al-Azhar will undertake everything related to higher education and research.

Also, the law stats that the university degrees will be made equivalent to other United Arab Republic universities. The faculties degree will be equivalent to B.A. the Specialisation degree will be equivalent to the M.A., And the scholar degree in Islamic or Arabic Studies will be equivalent to Ph. D. . Due to the new law, Al-Azhar has become, not only a religious university, but also a civic one which shares in all fields of Religion and life.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

which is situated on the east. A road about 90 k.M. long joins Mecca with Guda. The Former's height above the red sea level is about 280 Meters.

The sacred temple is situated in the middle of Mecca. Its area surface is about four feddans and a quarter. In the midst of the sacred mosque there is a building about 15 meter height and its area surface about 150 square meters. Its ceiling is adorned with attractive ornaments and set up on three pillars made of aloes wood, every pillar is about a quarter meter and it is built of strong blue stones.

This building is called Kaaba or the house. At times it is called the sacred home or the aged one. It is the Kibla of all Moslems throughout the world. Kibla or the prayer niche, is the place towards which all the prayers direct their faces and hearts.

The stone situated there now is a symbol which shows the place where Abraham stood up to pray.

It is ment by evident signs or plain memorials, the proofs that show the truth of Mohamad and that he calls unto the way of God on the basis of Abraham religion.

It is ment by "who entereth it is safe" that it is a place protected from harm or hurt, God says. "Have they not seen that we have appointed a sanctuary immuve (for violence) while mankind are ravaged all around them? Do they then believe in false and disbeliene the bounty of Allah" (The surah of the spider verse 67).

God replies Abraham's request to make it safe when he raised up his eyes to the sky and prayed for safety "And when Abraham said "My Lord made safe this teuitory and preserve me and my sons from serving idols" (the Surah of Abraham, verse. 35).

In the end, pilgrimage is not a compulsory duty, but one must be able to shoulder its task at first and foremost.

In fact, God is not in need of people. Mohamad is but a messenger, Messengers like of whom had passed away before him. He whom does not believe and he who turns back does no hurt to Allah, and Allah will reward the Handful.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Mohamed does not call the people to do something quite different from what the prophets before him had called.

God says "He hath ordained for you that religion which he commended unto Noah, and that which we inspire in three "Mohamed" and that which we commended unto Abraham and Moses and Jesus saying : Establish the religion, and be not divided therein. Dreadful for the idolaters is that unto which thou callest them. Allah chooseth for himself when he will, and guideth unto himself who turneth (to reward him) (Surah the counsel V. 13).

In another place God emphasizes this case plainly. He says "And strive for Allah with the endeavour which is his right. He hath chosen you and hath not laid upon you in religion any hardship, the faith of your father Abraham (in yours). He hath named you Muslims of old time and in this (scripture) that the messenger may be a witness against you, and that ye may be witnesses against mankind. So establish worship, pay the poor-due and hold fast to Allah. He is your protecting friend. A blessed Patron and a blessed Helper!"

Pilgrimage is one of the clear proofs that Islam is the same religion of Abraham. The sanctuary that Abraham had built with the help of his son Ismael is held in high respect and estimate in Islam.

To clarify this point of view God says : " Lo! the first sanctuary that was founded for mankind, was that in Becca-blessed and a guidance to human beings.

In it are evident signs, even the standing place of Abraham, and he who entereth it is safe. And the pilgrimage to the temple is a service due to God from those who are able to journey thither. And as to him who believeth not, verily God can afford to dispense with all creatures!" (Surah, the family of Imran, verse, 97).

If was said that the angles or Adem or his son shayth had built the Kaaba, but this is mere imagination. It is a matter of fact that it had been erected up by the Prophet Abraham and his son Ismael " And when Abraham and Ismael were raising the foundations of the house. Abraham prayed : Our Lord, Accept from us (this duty) Lo! thou only thou, art the hearer, the knower." (the Surah of the cow. verse 127).

It is not meant by the first sanctuary that it was the first one which had ever been built on the earth, but it is meant that it is the first sanctuary appointed with the view to worship God sincerely.

Becca is Mecca and it is called in some Arabic references "the mother of villages". Its harbour is Guda

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE FIRST SANCTUARY

BY

Dr. Gamal Eldin Al-Ramadi

The jews spared no effort to hinder Islam from spreading amongst the Arabs. They left no stone unturned, and used all the weapons of wickedness, mischievousness, slander, and calumny for that purpose.

They surrounded Islam with an atmosphere of falsehood. They pretended that the delicacies which God prohibted had been prohibited for many years ago on Noah, Abraham, Israel, and the children of Israel. They were not the only people interdicted form enjoying delicacies owing to their opression.

The jews pretended that, with the object to deny all sorts of opression and iniquity relating to them and to accuse the glorious Qur'an of being wrong.

But God says "Because of the wrong doing of the jews we forbade them good things which were before made lawful unto them, and because of their much hindering from Allah's ways and of their taking usury when they were forbidden it, and of devouring people's wealth by false pretences. We have prepared for those of them (who disbelieve) a painful doom" Surah the women verse 160.

God reveals their falsehood several times and shut their mouths with God's outstanding proofs. God says in the surah of the family of Imran.

"All food was lawful unto the children of Israel, save that which Israel forbade himself (in days) before the Torah was revealed. Say : produce the Torah and read it (unto us) if ye are truthful.

[The Surah of the family of Imran verse 93].

Amongest their hollow lies they pretended that they followed the religion of Abraham and simulated that it did not differ from their religion with the intention of preventing the people from adopting Islam and inducing them to stick to the jewish religion.

God defies the jews once more and declares frankly in His glorious book that Islam does not differ from the old religion of Abraham, and

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

has forbidden the adornment of God which He has brought forth for His servants and the good provisions ?" (Verses 31-32, Surah 7.)

These verses do not call man to ignore the actuality of life. The second verse does not deny the adornment, while the other asks one to attend to his adornment especially at the time of devotion. Islam wants man not to perfer the life of the world on the other one. Qur'an says "Our God, give us (thy bounties) in this world !" But they will have no portion in the Hereafter. And there are men who say "Our God, give us good in this world and good in the Hereafter, and defend us from the torment of fire !" (Surah 2. verses 200-201.)

To prefer world on the Hereafter, means to prefer materialism on spiritualism which is the human values that can be conceived by the human mind and which one considers it the goal of his life. These values are justice, respecting relationship, and human brotherhood ... etc. Because the spiritual existence will last for ever, the religion calls it Hereafter. And in the Hereafter, God will reward one or punish him accordind to his deeds during his life in the world.

Thus, Islam in its orientation of man, neither changes his nature, nor outweighs one side over the other. It wishes to creat an identety for the human being. That identety is dualistic, contradictious and positive, It may be subjected to materialism and perhaps controls it. That identety feels the tangible things, and thinks over the unseen ones, it may be influenced by the actual life and it may affects the sensational world and controls it.

Equitably and justly, Islam deals with that identety in all aspects of life. And because Islam is the normal source of orientation, it is the religion of mankind. Therefore, the society which strives hard to achieve a better life, should embrace Islam as its faith and system of life.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

which He has multiplied in varying colours (and qualities): Verily in this is a sign for men who celebrate the praises of God (in gratitude). It is He who has made the sea subject, that Ye may eat there of flesh that is fresh and tender, and that Ye may extract there from ornaments to wear; And thou seest the ships therein that plough the waves, that you may seek (thus) of the bounty of God, and that you may be grateful. And He has set up on the earth mountains standing firm, lest it should shake with you; and rivers and roads; that you may guide yourselves. And marks and sign-posts and by the stars (men) guide themselves. Is then who creats, like one that creats not? Will Ye not receive admonition? If Ye would count up the favours of God, never would Ye be able to number them: For God is oft-forgiving, most merciful." (Surah, the Bee, verses 4-18).

Not only the Qur'an describes the human nature as a positive and printable nature, or does not affected by sensational world but also appeals to human mind and comprehention for a rational judgement. So Qur'an says "Surely there is a sign in this for a people who reflect" "Surey there are signs in this for a people who understand."

It is quite obvious that mind cannot correctly judge, unless it is impartial and also out of any impression. In order to issue a sound judgement, Islam wants man not to neglect his sensational life, but to raise his reasonable ideas upper it. The next verses explain these facts clearly "And in yourselves, do you not see" (Surah the wind, verse 21).

"And gave you ears and eyes and hearts, little it that you give thanks" (Verse 9. Surah 32).

"And God brought you forth from the wombs of your mothers-you know nothing and He gave you hearing and sight and hearts that you might give thanks." (Verse 18. Surah 16.)

In his loneliness, man can comprehense Divinity as well as he can apprehend that, from his actual life. Thus, man with the help of his thought, can be above the material actuality, with touch of it and without being far from it. To enable minds to issue a reasonable judgement, Islam wants people not to be under pressure of actuality and its influences. From this comes the meaning of the Asceticism in Islam. Asceticism does not mean to shun the actual life, but it attracts only the attention against resignation to materialism. Qur'an says "O children of Adam, attend to your adornment at every time of prayer." „Say: who

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

actual and sensational world, dismissing the relation between this orientation and the human nature.

Surely, materialistic or actuality in any orientation, gives the interest to man's life through its actuality alone. Hence, it is not more suitable to the human nature, than the ideal rationalism, which only considers the thinking and understanding, without giving the effects of actual existence upon man's life any consideration.

From the above mentioned facts it can be concluded that, if there is a reasonable orientation, which heeds the contradiction of the human nature, and heeds also the influences of the actuality upon man's life, this orientation will be more suitable and comfortable for the human nature. It will lead the man and his society to the required goal to realize a better human standard.

Islam is the natural origin of orientation :

But, is Islam the origin of that reasonable orientation? Does it call the Prophet to be connected with the actuality and to examin it in the same time? Surely, when Islam calls one to believe in God, it guides him to come nearer to actuality, and also to seek proofs, of the existence of God, in his actual life. Qur'an says :

"He has created man from a sperm-drop; and behold this same (man) becomes an open disputer! And cattle He has created for you (men): From them you drive warmth, and numerous benefits, and of their (meat) Ye eat. And Ye have a sense of pride and beauty in them, as you drive them home in the evening, and as you lead them forth to pasture in the morning. And they carry your heavy loads to lands that you could not (otherwise) reach except with souls distressed: For your God is indeed most kind, most merciful. And (He has created) horses, Mules, and donkeys, for you to ride and use for show. And He has created (other) things of which Ye have no knowledge. And unto God leads straight the way, but there are ways that turn aside: If God had willed, He could have guided all of you. It is He who sends down rain from the sky: From it Ye drink, and out of it (grows) the vegetation on which Ye feed your cattle. With it He produces for you corn, olives, Date-palms, grapes, and every kind of fruit: Verily, in this is a sign for those who give thought.

He has made subject to you the Night and the Day; the Sun and the Moon; and the Stars are in subjection by His command: Verily in this are signs for men who are wise. And the things on this earth

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

do not exactly represent the principles of that orientation as it is supposed to be, especially when it is examined by an impartial mind. However close the people reaction to these principles, it may be rejected by some of them, at least, in their interior feelings. They also cannot respond themselves with the principles of this orientation. Hence, we cannot consider this orientation as a true representation for this society.

Actually, the "deeds of the people of Al-Madinah" are not considered in the view of the Shafie school as an islamic regulations, although the Malakite school considered it as an islamic rules explained by the Prophet " peace may be upon him ". In this respect, Shafie said " I only accept the authentic and uttered Hadith ". It is quite apparent, that the deeds of Al-Madina people — that Shafie considered it as an incomplete proof for the authentic Hadith - are of those who had been closely associated with the Prophet and the time of revelation. They were the frist pioneers of Islam, and nearer to the islamic teachings than the others, therefore, we must put their time and society in our consideration. The Prophet Mohamad Said " The century in which I live is the best, then those who come after mine, then those who come after them ".

According to these two main sources, we come to conclusion that, when the principles of any orientation are compatible with the human nature in its formation, its developement and also its entention ; it will be completely convenient, especially, in guiding people and getting their interest. This will be realized after purifying their minds of other sediments so completely and replacing it with the new and the good.

Confidently, the human nature can be discribed as a nature of rational animalism and nature of spiritual materialism. It contains both dualistic and antagonistic. Moreover, it always inclines to have a connection with the sensational world, although it has the direction to be separated from it.

The human nature also has the ability to invistigate the actual existence of life, and also it can be affected by it. Being directed by a certain orientation and continuously affected by the actual existence, the human nature, or what so called the sensational world has been removed away from its normality, as if it is guided by another orientation to be higher than the actual existence, and to have the ability of testing this orientation. It will be, as far as it is away from the connection with the

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

enemy, so long as they are not aggressors. In this respect, Qur'ansays "And if they inclined to peace, incline thou also to it and trust in God, surely He is the hearer, the knower".

[Surah the fighting, verse 61].

Moreover, Islam neither degrades the unbelievers, nor deprives them any of their rights. It treats them kindly and justly, so long as they are not tyrant or aggressors. Qur'an says "And let not hatred of a people incite you not to act equitably. Be just that is nearer to observance of duty, and keep your duty to God".

[Surah the Table, verse 8].

Islam differs from other ideologies, which direct modern societies in thier attitude towards unbelievers, whether they are individuals or communities. These modern philosophical ideologies attempt to limit the scope of Islam and its effect, to a certain period, namely, the period of the prophet Mohamad "peace may be upon him", to a certain place which is the Arabian peninsula, and also to a certain people that is the primitive arabian tribes. They also claim that Islam cannot contribute its share towards the development of the modern human civilization, and also cannot keep what it already have obtained through this civilization. Therefore, they presumes that, to be a Muslim is to remain at the primitive stage or to cease the human progress to advance, and both the two, actually, are contrary to the human ever changing nature.

Surely, the criterion upon which the validity of Islam or the other modern ideologies, Such as Democracy, capitalism and Socialism ; is the human standard which assure the main human characteristics. The more, the principles of Islam or the modern ideologies, nearer to the human standard, is the more valid and suitable for human life. On the contrary, the more deviate and away from it, is the more unsuit to the human nature and unfit to the desirable life which man yearns and endeavours to attain through the stages of his life, from infancy to maturity.

Undoubtedly, the above mentioned standard is the goal of every one in his life, it is also the main purpose of the orientation in the name of the Divine guidance or the name of enlightening by means of knowledge, knowledge that comes from tbe contemplation of the universe or from the activity of the human minds.

As a matter of fact, when any human society is controlled by a certain orientation, its experiences

Actually, the party of the stooges of colonialists was indebted, in several ways, to the other party that held tight and adhered to Islam. It was kept away from belonging to colonialism, it felt dignity and honour because of maintainace and defence of their country against the colonialists, instead of gaining them because of serving the enemy. Now, it is the seventh year, since the begining of the Algerian war against french colonialism. The only motive for going on this long struggle is their belief and religion. Thanks to old Algerians who cultivated islamic teachings into the minds of youngesters. The french colonialism, in order to destroy the algerian nationalism, forbade the young men of learning Arabic language and attending mosques. Moreover, prevented teaching glorious islamic history, and at the same time, french imperialists provided their schools with false-knowledges about Islam, while glorifying France and its civilization. Neverthless, the struggle broke out and continued, mainly because of the algerian belief in God and Islam. Surely, it is the duty of all governments of the islamic states to revise their glorious history and that of their oponents for considering their turn, knowing that those who had embraced the islamic values, facilitated their way to leadership after gaining independence, and being sure that the existence and power of their country is not in ignoring Islam and its teachings, but in keeping the islamic spiritual and intellectual heritage.

Muslim's conduct does not represent Islam:

However, it is not our will to justify the Muslim's present condition in any society, also not to pick up the islamic teachings from their recent state as the the Orientalists mostly did. As a matter of fact, Muslim's conduct does not represent the islamic teachings completely, but the Qur'an and the prophetic traditions are the two fundamentals which represent, fully, Islam and its teachings.

Indeed, Islam is the religion which deals with all societies, it controls the structure of individuals and families, the relationship between person and another and also between Muslims and those who reject faith.

The present policy of some of the great nations is to depreciate any citizen who does not believe in their ideology, while other nations regard, as their enemies, any nation does not follow their policy and carries it out. But Islam due to its universality, neither harms any society which opposes its ideology and its way of life, nor regards it as an

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Islam and its teaching, with some of islamic studies written by the European Orientalists into their own languages. The aim of these studies was to undermine the relations between Muslims and their religion. In such studies for example, they assumed that the Prophet Mohamed "peace may be upon him" was of excessive sexual inclination, more than a person of devine message, because he married more than a woman. Also, they defamed Islam claiming that its spread was by sword not by complete conception. They tried to misinterpret the fundamental principles of Islam, such as Al-Jehad in God's way, the Muslims unity and Divorce. They explained Al-Jehad as an aggression and persumed that the untiy of Muslims induce isolation and cut the relations between Muslims and others.

Moreover, they said that Divorce results in disintegration of family life. Muslims do it only to have a chance to satisfy their sexual lusts. It is said also that Islam is the religion of primitive people, hence, it does not suit the recent human civilisation. Being fit for people of the past, does not mean that it is suitable for people of the present time.

Those who have their culture in a western style, when they read these notions cannot refute or deny them, because what they know about Islam is limited by the outwordly features of their Muslim citizens. Unfortunately, these features on the hand of habits and customs, express their stagnation, while on the hand of behaviour, they denote to their laziness and headlessness of indulging into a new progressive life.

But mostly, those western cultured believe in the notions of the Orientalists, about Islam, its principles and Prophet. This may be why they strongly wish to turn the Islamic society, keeping religion's guidance away from the society's affairs. They attempt to confine Islam to be limited in worship, to be a mere relation between man and God without any connection with other individuals or societies.

Verily, the belief of this group in Islam and God — although wrongly understood — caused disturbance to colonialists and drove them out of the country. As a matter of fact, the present independent islamic societies did not obtain their freedom as a result of the international organization efforts, but their liberty was due to the strugggle of patriots in God's way. Therefore, all the islamic nations enjoyed their liberty and freedom as a result of Al-Jehad, one of the important islamic principles which, wrongly, considered by the imperialists as an aggressive extention.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ISLAM AND SOCIETY

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The Director General of Islamic Culture Administration

When the colonialists evacuated the Islamic countries after the national movements which delivered them from its grip, and consequently, they obtained their political independence, the Islamic societies started to observe the contemperary societies which have been progressed in the industerial and scientific rezearches and they are trying to develop their national economical standard everywhere.

As a result of these efforts, the economical standard and the individual income increased. However, it is necessary also that these societies should look for the reasons and factors of its weakness and backwardness in the past, to eliminate it out completely.

But where these reasons and factors are? Are they in being far from Islam and its principles as mentioned in Qur'an and prophetic traditions? Or are they realized in the adherents of Islam, those who are following its principles and carrynig out its teachings?

A sort of colonialism was evacuated, but another one was attempting to enter in the same time. The frist one, which faced the national independence movements, succeeded in deviding the society into two parties. Colonialists prepared the frist party to help them in the interior governmental affairs. Naturally it was nearer to their aim and intention, but far away from Islam and its principles.

The other party, embraced the Islamic values and principles, therefor, the colonialism weakened and humiliated it. The Islamic principles and values, after this separation, became a matter of controversy between these two parties, especially when one of them accepted the Islamic teachings and proceeded with moulding the life according to it. Meanwhile, the other party developed on aversion to the other's ideas and tried to displace Islam completely, particularly from being a way of life.

During the period of occupation, colonialists used to supply their party, who was keeping away from

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

at all times and places. For the call to be always successful, it must be properly owned both materially and spiritually. All these forces were provided by both the call and the personality of the greatest emigant " Mohamad peace be upon him ".

As a mtter of fact, present dey emigration, is an image of emigration in olden times, when the believers had conquered the infidles and scored a great Victory over them. Nowadays, Muslims exchange visits and their leaders are doing their utmost to serve their best interests. They could conquer the imperialists, and drove them to withdraw from their lands. This Victory has come as the realisation of God's promise to true Muslim in the Quranic Verse: " God had promised, to those among you who believe and work righteous deeds that He will, of a surety, grant them in the land, inhritance (of power), as He granted it to those before them, that He will establish in authority their religion — the one which He has chosen for them, and that He will change (their state), after the fear in which they (lived), to one of security and peace : They will worship Me (alone), and not associate aught with me, if any do reject faith, after this they are rebellious and wicked ".

[Sûrah Al-Noor, Verse 55].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

had met with the hostility and antagonism of his family (koraish), because he had destroyed their idols and attacked their creeds and principles. The example set by the Prophet in resisting and eliminating the wrong, must therefore be followed by every one. The great harm done to Him by the people of Mecca, at the commencement of his call, must nspire our minds with lofty values. His conduct was to emigrate from a place of tyranny and aggression, to one of security and peace. When He found that it was defficult to plant his new principles in the land of Mecca, the prophet made his way to the good land of Medina where He preached his new Religion and sowed its good seeds, following in this matter the saying of God "From the land that is clean and good, by the will of its cherisher, springs up produce, (rich) after its kind: But from the land that is bad, springs up nothing But, that which is niggardly".

The call of Islam is a universal one, It is for all peoples be those, in Mecca or in Medina, in the East or in the West. It is a call for all places and times as well. Therefore it is the duty of true Muslims to preach this faith and buiid it up on a basis of good society which accepts and performs its duties according to islamic instructions, right principles and best conduct.

The memory of the emigration its causes and results, must bring to the mind of true believers a sense of the greatness of the principles of Islam, lead them along the right way which humanity at large must follow at critical periods of its history and guide them to solve their problems in peace.

O Muslims, how I wish to recommend you to liberate your hearts from sins and to glorify no one besides God. This will lead the tyrants and the aggressors to fear you and respect you as well. I advise you to free your character from bad habits and hateful customs to win the hearts of all mankind. I advise you to liberate your souls from despair and to live your life in peace and brotherliness. I also advise you to preach your Religion all the world over with keenness and islamic enthusiasm. Many a wrong call had succeeded through international trickery and persistence its falsehood. For examplel the inperialists depended on such persistence in preaching their tyrannical principles, and their efforts unfortunately met with success, but a wrong call cannot remain successfu,

those who die in sin against their souls, they say "in what (plight) where ye?" They reply: "weak and oppressed were we in the earth" They say: "was not the earth of God spacious enough for you to move your selves away (from evil)? Such men will find their abode in Hell — what an evil refuge?". (Surah, the Women, section 14. verse 97).

As a matter of fact, emigration leads to solidarity which is the cause of success and victory of nations. The emigrants of Mecca had mobilized themselves and formed with the inhabitants of Medina the great force which conquered idol-worshippers, stamped out their kingdom and established Right on solid foundations. Verily, the Prophet's emigration was a victory bestowed on both the Prophet and his faithful followers by God. The Qur'an states in this context "If you help not (your leader), (it is no matter): For God did indeed help him, when the unbelievers drove him out: He had no more than one companion: They were two — in the cave — and He said to his companion "Have not fear, for God is with us".

This was indeed a great triumph and good support for the Prophet — peace be upon Him — and all the believers. It is also a good lesson for those who preach: good and vertues, belief in God and freedom, right, justice security and peace. It teaches them how to struggle against evil, aggression, idolatry and slavery.

Emigration had changed peoples' tendencies and inclinations. It turned them from the way of evil and misery to the path of good and happiness. Emigration resulted in heathens sitting aside the worship of their idols, believing heartily in their Creator, asking only their God's help, seeking salvation from their plight, substituting Right for wrong, light for darkness, freedom for exploitation and slavery, strength for weakness and prosperity for poverty. It had laid the foundations for a happy life and guided peoples to permanent security and peace.

One who preaches new principles usually faces defficulties and obstacles, especially if his Call has any relation with religion, faith or morality. This is because human souls would resist any change. Peoples usually are devoted to what they inherit from their predecessors whether it be faiths, habits or traditions. So was the Call for Islam. Prophet Mohamad — peace be upon him —

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

INSPIRATION OF PROPHETIC EMIGRATION

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

O Muslims, peace be upon you.

The emigration from Mecca to Madina by Prophet Mohamad and his faithful friends, is one of the most outstanding events in Muslim annals. It was an effective factor in the spread of the Religion, the Victory of Right and the defeat of the wrong.

The emigration brought the emigrants close to other peoples with whom they concluded consequent upon these contacts and agreements, emigrants developped into an independent nation and issued local laws to regulate and control relations with its neighbours. These laws constituted strong foundations for the structure of a super society, they also helped towards the regulation of emigrants, dealings on a basis of justice, equality and peace with their new neighbours.

The Prophet's emigration was both spiritual and corporeal. Mohamad with a group of devoted followers had left their Motherland and abandoned their families and properties for the sake of the Religion with their hearts and souls full of unshakeable faith and profound belief in it. They were confident that God would not accept the emigration merely of the body, but required also the emigration of the soul.

The Qur'an glorified emigration as a religious rite, as well as one of the duties of every Muslim who can afford it if circumstances would justify emigrating. The Qur'an further stated that a wronged Muslim who has the ability to emigrate, but would not do it, is considered — in the sight of God — as one who has abandoned the prayer.

In this respect the Qur'an says: "When angels take the souls of

his frist khaliph (Abu Bakr), then to Omer's finger afterwards. The ring was put in the finger of Othman who was very careful to keep it, and who did his utmost in doing so untill he went, one day, to the well of Arice, so as to revive the memory of the prophet by visiting the well and sitting in its shed, the matter to which Othman as well as Omer and Abu Bakr was accustomed since they had gothered together with the prophet in this very shed.

On this day, Othman took the ring off his finger and began to move it between his fingers, but unfortunately it fill into the water. Then Othman and the people strived hard searching for the ring through the water but in vain. Othman was very sorry to lost the ring of the prophet and it occured to his mind that the lost ring was both a supporting force and guiding light. When Othman lost the ring, he did not despair of God's aid, but he doubted himself to be so efficient as the two khaliphs before him ; Omer the hero of the shed and Abu Bakr the hero of Apostasy. Consequently, he authorized some of his relations to rule over the people in his name. Those authorized agences, ruled the people according to their passion and were subjected in their ruling to favouritism and sectarianism, the matter which extended the disorder and dissintion and led at last to the attrocious assasination of Othman on the hands of the rioters.

The above mentioned indications which are the symbols of the language of Distiny were written on both the face of Othman and on the pages of his history. Symbols that were interpreted by the successive happenings one after the other. These bappenings were as a whole a group of sufferings met by Qthman who financed and supported the army of Usrah " difficulty ".

The genuine predications of the prophet concerning Othman and his fate, were items of revelation that show genuineness of the great leader who was chosen by God to deliver his noble Call. Through this genuineness, the prophet was able to choose this refind group of emmigrants in which hearts, the prophet sowed the seeds of piety, to which hands he delivered the torch of struggle and on which shoulders, he put the responsibility. Then the prophet left the world, left it sured of his follower's capacity, looking with satisfaction at them building mosques and expanding Islam on both Roman and Persian Impires.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

the people of Paradise, and that he will also suffer certain misfortunes" said the Prophet that was chosen by God to deliver his mission and to recieve his revelation. When Abu Mousa told Othman this bad news and congratulated him for the good tidings, Othman the martyr entered, but he did not find a place for him on the bench, then he sat down facing them on the other side of the well.

It was the will of God that the five persons who have greatly influenced both the life of Arabism and the history of mankind, to be gothered together on the board of this well abounding in life among these arid sands and deaf stones. Those five persons were : The God's Prophet who had led through God's light, all the errant mankind to the most straight way and to the noblest end. The second was the two Khaliphs of the Prophet (Abu Bakr and Omer) who have proceeded with the Call after him, made up the preaches, strengthened the weakness during the year of Apostasy and extended the light of Islam beyond the Arabian beninsula. The third was the Khaliph through which the Prophet's prediction came true and who suffered the predicted misfortune that caused the dissension and disrupt of the Muslim nations. The last one was the Judge of the arbitration who was taken in by Amr son of Al-Aass to issue the Judgement that fractionalized the united nation into two different nations and that made of the one compact religion seventy two conflicting sects.

But the well of Arice has certain other indications in the life of the third khaliph. These indications are as follow : The sitting of the Prophet and the two Omers (Omer Ben Al-khattah and Abu Bakr) beside each other on one Side of the well, and the sitting of Othman alone on the opposite one, was interpreted by saied Ben Al-Mosaiab as a sign that the Prophet and the two omers will be tombed together in Aaisha's room, and that Othman will be tombed alone in another place.

The Prophet's prediction of Othman's misfortune, was a grieve that fill Othman's heart now and then, but Othman used to relieve himself from this grieve by means of his staunch believe in God, his firm believe in Distiny assigned by God, and his strong will to sacrifice his soul and money in the cause of God. The latest one of these indications was the fall of the Prophet's ring in the well of Arice. The story of this ring was that the prophet used to put a silver ring in his finger through the latest period of his life. After the death of the prophet, the ring found its way to the finger of

Abu Mousa traced the prophet's footsteps, until he reached the well of Arice. Then he entered its shed and found the Prophet sitting down on a bench built around the well. No sooner had he saluted the Prophet, than he was taken by the power of the prophet's majesty and solemnity, that he said to himself " I shall be the Prophet's doorkeeper today ".

A while after, a knock at the door was heard. "Who is knocking at the door" said the pious doorkeeper : "This is I." Answered Abu Bakr "This is Abu Bakr asking permission said Abu Mousa to the Prophet". At this moment, the Prophet was considering the numerous hardships that has befallen him, his people, and his companions for the sake of the Call. He was also remembering the emmigranis' sincerity, their keeping of pledges and sufferings of expatriation, poverty and harm for the sake of God's pleasure. Then the Prophet was filled with admiration and contents. So when He heard Abu Mousa mentioning the name of his friend at home, and his companion in the cave of Hirâa, he said to Abu Mousa "let him enter, and tell him that he will be one of the people of Paradise."

When Abu Mousa allowed Abu Bakr to enter and informed him of the good tidings, he entered and sat down beside the Prophet on the bench. Abu Mousa returned once again to the door, expecting his brother to come, because he let him completing his ablution, with the intention of joining him at the Prophet's presence, while he was coming to the Prophet. But Abu Mousa said to himself : "If my brother comes at this moment, he shall have share of this prophetic goodness that would benefit him in the Hereafter. But this goodness was the share of Omer who was at that instance knocking at the door. " Who is it ?" said Abu Mousa in a hast and eagerness. " It is I." said Omer. "Wait a little" said Abu Mousa and he went to the Prophet to take the permission." let him enter and tell him that he will be one of the people of Paradise". Then Omer entered and sat down beside the Prophet and Abu Bakr on the bench. Abu Mousa returned again to the door, listening from behind it to any movement, hoping that it may be his brother footsteps. After a short time the door was knocked at. The matter which made Abu Mousa's heart beat rappidly and made the hope shown on his face. "Who is coming ?" said Abu Mousa. "This is I" answered Othman son of Affan. Then Abu Mousa asked him to wait, and went to the Prophet to take permission for the new commer. "Let him enter and tell him that he will be one of

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ON THE WELL OF ARICE
from the memories of Rabia Al-Awal at (Yathrib) Tiba

by
AHMED HASSAN EL-ZAYAT
Editor - in - Chief

On one splended morning of the spring in the lunar month of Rabia Al-Awal, and along the quiet way of the sacred city Tiba (Yathrb), The Prophet " peace be upon him " went out searching for calmness and contemplation. The Prophet who was accustomed to loneliness in the deserted cave of the mountain of light (Gabal Al-Nneor), was still prefering the lonelinss as he was fond of thinking and contemplating, as means of approach to God. So he directed himself to the west of Yathreb, towards the mosque of Qubàa. He went alone besides the walls in good humour and with thankful spirit, wached by all and endeared in every heart, till he reached the well of Arice.

This spacious and pure well was protected against the sun by a shed of palm trees branches. That shed had had a door and was surrounded by gardens and fields everywhere. The Prophet entered the shed as he was accustomed to do so every monday, so as to practise his solititude. After he had performed his ablution, the prophet sat down on a bench built on the edge of the well and indulged in silent devotion, clear of every sign of worldly affairs. Such spiritual prophetic worship, that approaches the Prophet to his God, links earth with heaven, legislation with reality and the finite with the infinite, is not to be conceived, neither by the minor human mind, nor through the defective earthly explanation. The worship of Mohamad at the well of Arice was aiming, like his worship at the cave Hiraà, at seeking the aid and support of God through inspiring contemplation on God's wisdom and power.

On that particular day, Abu Mousa Al-Ashàri got up from his bed aiming to accompany the Prophet all the day. He looked for him in the mosque but did not find him, then he enquired about his place and was told that he has just led his way to the distrect of Qubàa, so.